مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (٣) العدد(١٠)- يونيو ٢٠٢٤م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: x ١٤٥-٢٨١٢ الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢- ٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

المتسولون في القاهرة عصر سلاطين المماليك بين الحاجة والتحايل (دراسة تاريخية)

د. عمرو عبد العزيز منير
عضو هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (10)- June 2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

المتسولون في القاهرة عصر سلاطين المماليك بين الحاجة والتحايل (دراسة تاريخية)

د. عمرو عبد العزيز منير

عضو هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة جنوب الوادي

ملخص الدراسة

تسلط هذه الدراسة الضوء علي أحد أهم الظواهر الاجتماعية التي برزت في العهد المملوكي، ألا وهى ظاهرة التسول و الفئات المتسولة التي تتكسب من هذه الأنشطة التي حظيت بازدراء كبير من قِبل المجتمع و السلطة وأيضا المؤرخين، وهي ظاهرة ليست بحديثة وإنما وجدت في عصور سابقة علي العصر المملوكي، وهذا لا يمنع إنها تمتعت بسمات وملامح ميزتها عن الفترات السابقة عليها تبعا للمتغيرات الاجتماعية المختلفة المشكلة لتلك الحقبة. ومن ثم تتناول الدراسة هذه الفئات التي عاشت علي هامش المجتمع تبحث عن المال لتسد احتياجاتها الأساسية في ظل متغيرات متلاحقة اجتماعيا واقتصاديا .

كلمات دالة: المتسولون، المماليك، الفقراء، عصور وسطى، القاهرة، تاريخ اجتماعي.

Beggars in Cairo in the Mamluk Sultanate Era: Between Need and Deceit (A Historical Study)

Abstract

This study sheds light on one of the most important social phenomena that emerged during the Mamluk era, namely the phenomenon of begging and the begging groups that earn from these activities, which were met with great disdain by society and the authorities, as well as historians. It is a phenomenon that is not modern, but rather existed in periods before the Mamluk era, which does not prevent it from enjoying characteristics and features that distinguished it from the periods that preceded it according to the different social variables that constituted that era. Hence, this study deals with these groups that lived on the margins of society, looking for money to meet their basic needs in the face of successive social and economic changes.

Keywords: Beggars, Mamluks, Poor, Middle Ages, Cairo, Social History.

مقدمة

التسول ظاهرة اجتماعية، ظهرت منذ القديم، ترتبط في أصلها بالتفاوت الطبقي وبالاختلالات البنيوية للنسيج الاجتماعي والاقتصادي و ضعف آليات التنمية البشرية؛ أبطالها أُناس على هامش المجتمع يبحثون عن السند، ويلتجئون إلى غيرهم طلبًا للصدقة والمساعدة بالمال و الطعام و غيرهما. كما قد يتحول التسول إلى ممارسة منظمة لتكديس الأموال و الاغتناء السريع لدى بعض الأفراد و الجماعات أو إلى نصب و احتيال وارتكاب لبعض الجرائم...الخ. والعنصر المشترك في كافة ظواهر التسول هو التواكل على الغير والتوقف عن السعي لإيجاد عمل حقيقي والاكتفاء بهذه الحرفة والتعود عليها، وقد كان التسول محل اهتمام كثير من المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى. وفي وقت لم يوافق فيه أغلب الكُتاب على التسول العلني، ويمتدحون فضائل الفقراء الذين يخفون حاجتهم عن بقية المجتمع، أي الفقراء المتعففين.

التحديات المعنوية التي تطرحها حالة التسول في مجتمع يُقصي المتسولين عن حدوده المادية والرمزية، وفي الوقت نفسه يزيد من عددهم ويجعلهم أكثر ظهوراً في مراكز المدن، حيث تزدهر الأعمال التجارية، وينمو الاقتصاد ويتضخم في اتجاهات شتى، فيما يظل المتسولون على هامشه، غير مرئيين من السلطة التي ترى أنهم مجرد عالة عليها، مما يؤكد أهمية عدم تجاهل تام لرؤية الأبعاد الحقيقية لحياة التسول، وما فيها من قسوة وعنف في العصر المملوكي.

ومن ناحية أخرى، نجد إن المتسول، المحظور والمذموم، الشريد الذي يمد يده للمارة والعابرين في الشارع، ويواجه العنف والتحيز، يجسد في كثير من الأحيان نقيض الرجل الناجح الذي، من خلال عمله ومشاركته في آلية التبادل الاجتماعي والاقتصادي، يتمتع بالمال والاستقرار وسائر الحقوق الاجتماعية. **والتساؤل:** من أين تأتي مثل هذه النظرة إلى الحياة بين الوجود الرسمي المتفق عليه، والآخر المنبوذ؟ هل المتسول في العصر المملوكي هو فقط هذا الإنسان السائل والمجرد، الذي تم اختزاله إلى احتياج وافتقار؟".

من حسن الأمور، أن التسول تمت معالجته أدبيًا وفنيًا على نحو ما تمثل في عدد من الدراسات الأدبية واللغوية مثل: دراسة" تطور شخصية المكدي في المقامات من الهمذاني

إلى الحريري"[١]، "شخصية المكدي عند الجاحظ"[٢]، "الكدية في "البخلاء" للجاحظ"[٣]،" أثر الكدية على المجتمع في العصر العباسي"[٤]، "أدب الكدية في العصر العباسي"[٥]. مع العلم أن هذه لدراسات لم تنشغل بالموضوع من زاوية البحث عن صورة المتسول في الأدب العربي، بقدر انشغالهما بقضايا التعرف على شخصية المكدي في نماذج من النثر العربي، وأن **النواة الأولى لنشوء الكدية** هي الحاجة الفعلية للمال ومعها تطورت شيئا فشيئا فاتخذت مهنة من قبل بعض الأفراد، لأنها لا تكلفهم شيء سوى طلب المال من غير جهد جهيد.[٦]

الدراسات السابقة:

إذا كان التاريخ الاجتماعي قد لقى اهتمامًا من الباحثين المصريين والعرب، فإن موضوع دراسة **التسول في العصور الوسطى** لم يحظ بالاهتمام الكافي وقد تمت المعالجة الأكاديمية التاريخية لموضوع التسول عربيًا من زوايا الفقر أو التصوف أو الطبقات الدنيا أو الأوضاع الاجتماعية للقرية المصرية. كانت الدراسة الموسومة بـ" الطبقات الدنيا فى القاهرة فى عصر دولة المماليك" من الدراسات[٧] التي جذبت انتباه الباحثين للتعمق في الطبقات الاجتماعية، القابعة في أسفل السلم الاجتماعي في القاهرة المملوكية، وما ارتبط بها من مظاهر اجتماعية شتى بعد أن فتح سعيد عاشور بكتابه الموسوم" المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك"[٨] أبوابًا كانت موصدة تخفى وراءها كنوزًا معرفية في التاريخ الاجتماعي تأسيسًا لاتجاه جديد في الدراسات المملوكية والاهتمام بدراسة الطبقات والقوى الاجتماعية، والعادات والتقاليد، والمعتقدات ومظاهر الحياة اليومية، والأسواق، والطوائف الدينية والاجتماعية المختلفة والحرافيش والزعر والعامة[٩]. وفي هذا الإطار نجد دراسات

---

[١] إبراهيم حمادو، **تطور شخصية المكدي في المقامات من الهمذاني إلى الحريري**، حوليات الجامعة التونسية، تونس ١٩٨٦م، ص ١٥٧ – ١٨٤.

[٢] وديعة طه النجم، **شخصية المكدي عند الجاحظ، مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، ١٩٥٩م، ص ٣٢٩ – ٣٣٨.

[٣] مالك نظير يحيا، **الكدية في "البخلاء" للجاحظ**، مجلة جامعة تشرين للبحوث، دمشق، ٢٠١٣م، ص ١٥٥ – ١٦٩.

[٤] أفراح رحيم علي، **أثر الكدية على المجتمع في العصر العباسي**، مجلة آداب ذي قار، جامعة ذي قار – كلية الآداب، ع ٤٠، ٢٠٢٢م، ص ٢٨٤ – ٣٠٦.

[٥] أحمد الحسين، **أدب الكدية في العصر العباسي**، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٦م.

[٦] خالد أبو الليل، **صورة اليهودي في التاريخ والقصص الشعبي العربي**، مجلة الدراسات الشرقية، ع٤٧، القاهرة ٢٠١١م، ص ٥١٨، ٥١٩.

(٧) محاسن محمد على حسن الوقاد: **الطبقات الدنيا فى القاهرة فى عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)**، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، ١٩٩١.

(٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٢م.

(9) Abou-Ghazi, Emad. Mamluk Studies in the Arab World ،Leiden ،E .J.Brill ،2021. p. 488.

سلطت الضوء وبصورة مكثفة على دراسة ما يمكن أن نطلق عليه بالخصوصية المجتمعية المشكلة للحواضر، مثل: دراسة "عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك "[١٠]، ودراسة "الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين"[١١]، ودراسة "القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك"[١٢]، ودراسة" المهمشون في مصر عصر سلاطين المماليك"[١٣] وجميعها دراسات قدمت إشارات عابرة مقتضبة إلى مجتمع (المتسولين) في إطار مناقشة القضايا الاجتماعية والاقتصادية العامة للعصر المملوكي .

وقد سبق وأن حضر المتسول في عدد من الدراسات التاريخية كي يجسد رمزاً يدل على الفقر والتهميش الإنساني. بدءاً من دراسة إير لابيدوس الذي ضمن فصلا عن العامة في كتابه المدن الإسلامية في العصور الوسطى[١٤] مرورًا بوليم برينر، وإلياهو آشتور بكتابة مقالات مثيرة للاهتمام حول الفقر والعوز الفاقة إضافة إلى دراسة جويتين عن خزينة الجماعة التي كانت تقدم لفقراء اليهود، وصدقات الطائفة اليهودية على يد موشي جيل، ومارك كوهين بدراسة بعض التماسات اليهود الفقراء للحصول على المساعدة من جماعتهم وصولا إلى الدراسة الرائدة لآدم صبرة عن" **الفقر والإحسان في مصر عصر سلاطين المماليك**" التي تعد دراسة رائدة عن الفقر والإحسان في العصر المملوكي وشيوع التسول كوسيلة للحصول على البر وما خلفه من مؤلفات كثيرة وناقش بمنهجية علمية الدور المتزايد للدولة المملوكية في الإشراف على ممارسة التسول ومنح الصدقات في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[١٥] والدراسات السابقة تظهر السائل/المتسول في صور متعددة تعكس الأبعاد الاجتماعية والفلسفية، مروراً بالأسئلة الأخلاقية والروحية حول المجتمعات التي ينتمي إليها، إذ يطيح التسول عبر قوة الفقر الغاشمة بعدة مفاهيم وقيم إنسانية نبيلة، منها العدل والكرامة والجمال وعزة النفس، لتهيمن بدلاً منها القسوة والمهانة والقبح التي تؤطر حياة المتسول.

---

[١٠] علاء طه رزق، **عامة القاهرة عصر سلاطين المماليك**، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م.

[١١] أحمد عبد الرازق، **الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١١م.

(١٢) مجدي عبد الرشيد بحر، **القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

(١٣) هالة السيد محمد، **المهمشون في مصر عصر سلاطين المماليك**، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان ٢٠٢٠م.

[١٤] إيرا لابدوس، **مدن إسلامية فى عهد المماليك**، ترجمة، علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.

(١٥) آدم صبره: **الفقر والإحسان في مصر عصر سلاطين المماليك**، ترجمة قاسم عبده قاسم، سلسلة المشروع القومى للترجمة، العدد ٥٠٩، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٥ – ٨٧ .

وظلت دراسة آدم صبرة مصدر اقتباس لعدد من الأُطروحات مثل دراسة: "الفقر والإحسان في الحجاز وأثرهما على الحياة العامة ٤٠١ – ٦٠٠هـ / ١٠١٠ – ١٢٠٣م)[١٦]، دراسة بعنوان "الفقر والإحسان في بلاد الشام وأثرهما على الحياة العامة ومواجهة الغزو الصليبي والهجمة المغولية خلال المدة ٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩٠م دراسة تاريخية حضارية"[١٧]، وعلى غرارها جاءت أطروحة بعنوان: "المهمشون في الحجاز ودورهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م"[١٨]. ورعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي[١٩].

تلى ذلك، دراسات شتى ترصد مظاهر وصور التسول بين **أرباب الحرف والطوائف** في المجتمع المصري مثل دراسة: أرباب الحرف والصناعات في المجتمع المصري في العصر المملوكي الأول[٢٠]، وبالتزامن معها جاءت دراسة "وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر"[٢١] التي تناولت وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك بشتى أنواعها واحتراف بعض المتسولين لهذه الحرف، ثم توالت دراسة "وسائل التسلية والترفيه في مصر العصر الفاطمي"[٢٢]،. ودراسة "الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية"[٢٣]، ومؤخراً، تناول البعض "طبقات العامة والحرافيش

---

(١٦) سلطان الصواط، **الفقر والإحسان في الحجاز وأثرهما على الحياة العامة ٤٠١ – ٦٠٠هـ / ١٠١٠ – ١٢٠٣م)**،رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ٢٠٢٢م.

(١٧) سعدية موسى الزهراني، **الفقر والإحسان في بلاد الشام وأثرهما على الحياة العامة ومواجهة الغزو الصليبي والهجمة المغولية خلال المدة ٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩٠م دراسة تاريخية حضارية**، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى ٢٠٢٣م.

(١٨) ريهام علي يحيى، **المهمشون في الحجاز ودورهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م**، كلية الآداب، جامعة لملك عبد الغزيز، ٢٠٢٤م.

(١٩) ريما صالح القرناس، **رعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي**، مركز تاريخ مكة، ٢٠٢٠م.

(٢٠) نسيبه جاد سليمان جاد: **أرباب الحرف والصناعات في المجتمع المصري في العصر المملوكي الأول (٦٤٨ – ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢م)**، أطروحة ماجستير، كلية السياحة والفنادق، قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية، جامعة الاسكندرية، ٢٠١٤.

(٢١) لطفى أحمد سيد أحمد نصار: **وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك فى مصر(٦٤٨ –٩٢٣ هجرية ١٢٥٠ – ١٥١٧ ميلادية)**، أطروحة (ماجستير). كلية الآداب. قسم التاريخ، جامعة عين شمس ١٩٨٧م.

(٢٢) هيفاء محمد عاصم: **وسائل التسلية والترفيه فى مصر فى العصر الفاطمي، (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١)**، أطروحة ماجستير، مجلة كلية التربية، قسم التاريخ، العدد السادس، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦.

(٢٣) محمد غنيم محمد الصياد، **الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية**، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦م.

زمن المماليك"[٢٤]، وتزامن أيضاً معها دراسة "الصدقات في العصر المملوكي" [٢٥]، وهى دراسات اقتصر تركيزها على السلطة الحاكمة[٢٦]، ومن الدراسات ذات الصلة بالموضوع، دراسة "الحياة اليومية عصر سلاطين المماليك"[٢٧]، ودراسة "المؤسسات الخيرية ودورها الاجتماعي في مصر عصر سلاطين المماليك"[٢٨] ودراسة محمد حيدر "دور دولة المماليك في إدارة مؤسسات الفقراء في بلاد الشام ٦٤٨/ ٩٢٣هـ - ١٢٥٠ / ١٥١٦م"[٢٩]، وأطروحة عبير الدوسكي بعنوان:" الخدمات العامة لدولة المماليك البحرية في مصر "[٣٠]، دراسة بعنوان "رعاية الفئات المحتاجة وآثارها في بلاد الشام خلال العصر المملوكي دراسة تاريخية حضارية "[٣١]، وتمت الإشارة لحياة المتسولين في الأسواق كجزء من نسيج الحياة اليومية والإطار العام من منظومة الأسواق في تلك الفترة. في كثير من الدراسات التاريخية التي صورت المتسولين في سياقات اجتماعية واقتصادية أوسع، ووضحت كيف تؤثر الأنظمة والظروف الخارجية على حياتهم بالتوازي مع تقديم علاقات إنسانية بين المتسولين وأفراد المجتمع الآخرين. وتعد دراسة" أضواء على بعض ممارسات الزعر في مصر في العصر الفاطمي "٣٥٨-٥٦٧ هـ. / ٩٦٨-١١٧١ م."[٣٢] واحدة من الدراسات التي أصلت تجسد الحياة الاجتماعية والفكرية لنماذج متناقضة من الزعر والعامة في العصور الوسطى، وتأتى قريبًا

---

(٢٤) عامر نجيب موسى بركات، **الحرافيش زمن المماليك** ؛ دمشق٢٠١٢؛ أحمد راوي محمد عبد الجابر: **الرياضة في مصر الإسلامية من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (٣٥٨-٩٢٣هـ/٩٦٩-١٥١٧م)**، أطروحة دكتوراة، كلية السياحة والفنادق، قسم الارشاد السياحي، جامعة الفيوم، ٢٠٢١.

(٢٥) محمد فرج حافظ خفاجي، **الصدقات في العصر المملوكي** ،مجلة فكر وإبداع، ج١٠٦، عدد نوفمبر، القاهرة ٢٠١٦م، ص ٢٢٦.

(٢٦) مزمل حسن صديق الطيب: **حياة السلاطين ووسائل تسليتهم ورياضتهم فى دولة المماليك الجراكسة، (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)**، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، العدد، جامعة الفيوم، ٢٠٢١. وأيضاً، فاضل جابر ضاحى، ورود نورى حسين الموسوى، **وسائل التسلية للطبقة الحاكمة في عصر المماليك الشراكسة**، مجلة كلية التربية، العدد الثامن عشر. جامعة واسط ٢٠١٨م.

(٢٧) قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية عصر سلاطين المماليك**، دار عين، القاهرة ٢٠٢٢م ؛ نبيل محمد عبد العزير: **الملاعيب في عصر السلاطين المماليك**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢٨) بسمة حسني غنيمي، **المؤسسات الخيرية ودورها الاجتماعي في مصر عصر سلاطين المماليك**، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١٩م.

(٢٩) محمد حيدر، **دور دولة المماليك في إدارة مؤسسات الفقراء في بلاد الشام ٦٤٨/ ٩٢٣هـ - ١٢٥٠ / ١٥١٦م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية ٢٠١٩م.

(٣٠) عبير الدوسكي، **الخدمات العامة لدولة المماليك البحرية في مصر"** رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد ٢٠١٠م.

(٣١) شريفة محمد العتيبي، **رعاية الفئات المحتاجة وآثارها في بلاد الشام خلال العصر المملوكي** – رسالة دكتوراه جامعة القصيم ٢٠١٧م.

(٣٢) أشرف خليل إبراهيم خليل شعلان، **أضواء على بعض ممارسات الزعر في مصر في العصر الفاطمي "٣٥٨-٥٦٧ هـ. / ٩٦٨-١١٧١ م."**، المجلة العلمية، كلية الآداب، جامعة طنطا، ع٥١، ٢٠٢٣م، ص ٣٣٩ – ٣٥٥.

منها في المعالجة دراسة نجوى كيرة "حياة العامة في مصر العصر الفاطمي"[٣٣]، ودراسة محمد فياض "عناصر النهب واللصوصية في مصر العصر الفاطمي"[٣٤].

أما في سياق العصر المملوكي تأتي دراسة رشا فؤاد" الزعر والحرافيش في مصر العصر المملوكي"[٣٥]، وفي السياق ذاته دراسة "الزعر في دمشق أواخر العصر المملوكي" التي تتبعت بدايات ظهور الزعر والتطرق إلى نشاطهم الذي أصبح لافتاً للنظر في أواخر العصر المملوكي، وناقش إيلاف عاصم في دراسته" الحرافيش والزعر في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣ هـ. / ١٢٥٠-١٥١٧م"؛ تأثير الحرافيش في المجتمع المصري والشامي فضلا عن الأعمال التي قاموا بها والتي كانت تعد غريبة عن عادات وتقاليد المجتمعات الإسلامية وكذلك موقف سلطة المماليك من هاتين الطائفتين والأسباب التي أدت إلى تراخي السلطة في قمعهم[٣٦]. وانشغلت آمنة محمود بدراسة: "تنظيمات الزعر والحرامية في دمشق عصر المماليك الجراكسة ٧٨٤ – ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٧ م من خلال كتابي مفاكهة الخلان وإعلام الورى لابن طولون الدمشقي"[٣٧]، وتأتى قريبًا من هذه المعالجة دراسة" الزعر في دمشق أواخر العصر المملوكي"[٣٨] تميزت دراسة محمد نور فرحات الموسومة بـ" الدور السياسي للجماعات الهامشية في مصر: بحث في التاريخ الاجتماعي لجماعات الجعيدية والزعر" بحرص المؤلف على توسيع رؤية القارئ لإدراج حياة التسول ضمن نطاق الحياة العامة للجعيدية، وتأتي "دراسة وتحقيق لمخطوط ذم الهول والذعر من أحوال الزعر والعصبيات وما يحصل في ذلك من الفتن والبليات للإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي ابن المبرد الصالحي الحنبلي (٨٤١هـ – ٩٠٩هـ): (من الورقة /٩٠ – ب/ إلى / ١٦٧ –

---

[٣٣] نجوى كمال كيرة، **حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤م.

[٣٤] محمد السيد محمد فياض، **عناصر النهب واللصوصية في مصر العصر الفاطمي**، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة ٢٠١٥م

[٣٥] رشا فؤاد النمكي، **الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا ٢٠١٢م.

(٣٦) إيلاف عاصم، **الحرافيش والزعر في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣ هـ. / ١٢٥٠-١٥١٧ م**، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع ١، كلية التربية، جامعة الأنبار، ص ٣٨ – ٥٢.

(٣٧) آمنة محمود عودة الذيابات، **تنظيمات الزعر والحرامية في دمشق عصر المماليك الجراكسة ٧٨٤ – ٩٢٣ هـ /١٣٨٢ – ١٥١٧ م من خلال كتابي مفاكهة الخلان وإعلام الورى لابن طولون الدمشقي"**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٣٥، ع ١٣٧، الكويت ٢٠١٧م، ص ١٣٥ – ١٨٩.

(٣٨) عودة رافع عودة الشرعة، **الزعر فى دمشق أواخر العصر المملوكي**، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، مج ٢٠، ع ٤٠، الأردن، ٢٠١٤م، ص ١٠١ – ١١٦.

أ/) ليقدم نصًا مغايرًا عن أثر الزعر والهبات في خلخلة النظام الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع[٣٩]. وناقش محمد فياض:" ظاهرة الخوف وأثرها على المجتمع في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣ هـ /١٢٥٠-١٥١٧م"، ودور الزعر والمتسولين في تفاقم حالة الهلع وتأثيراتها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[٤٠].

من هنا تأتي اشكالية الدراسة التي بين أيدينا في إلقائها الضوء على المتسول في مصر خلال العصر المملوكي؛ لدراسة بعض جوانب الصورة الذهنية عنهم عبر نصوص أدبية وتاريخية ووثائقية؛ صحيح أن دراسة "التسول" تندرج تحت منظومة الفقر والحياة اليومية في العصر المملوكي، إلا إنه سوف يتم تناول التسول بشكل كفيل بتسليط الضوء على ماهيتها، من ناحية، وتداعياتها الاجتماعية، من ناحية أخرى، بالإضافة إلى إشكالية العلاقات بينها وبين السلطة، مع الأخذ في الاعتبار، مقارنتها بالعواصم المتوسطية الحضرية الأخرى، ومن ثم وقع اختيارنا علي دراسة هذه الظاهرة تحديداً.

ومن هنا، تبرز **أهمية هذه الورقة البحثية** التي تهتم بذلك الفرع المجهول الذى يقتصر على تناول التأريخ لطبقة عانت طويلا من التهميش، وبالتالي، سوف تطرح الورقة التساؤلات التالية: ماهية التسول؟ وما الفئات التي مارست التسول في العصر المملوكي؟ وما مظاهر التسول التي انتشرت في القاهرة المملوكية؟، ما علاقة ظاهرة التسول بالجريمة؟ ما التدابير التي اتخذتها الدولة لضبط وتقليل انتشارها؟.

وباعتبار أن دراستنا تعتمد في جانب منها علي ما يُعرف **بالمنهج الوصفي التاريخي**، كما إنها جديدة في تناولها المفصل لهذه الفئات؛ فإنها سوف تقوم بمعالجة **نقاط تالية**: السعي نحو معرفة الفئات الممارسة للتسول، وأدواتها وملامحها، وفضاءاتها التي تتحرك في إطارها، والوقوف على دوافع التسول في قاهرة المماليك، وأنواع التسول الموجود في القاهرة المملوكية، ومعرفة هل هناك علاقة بين التسول والجريمة، ومعرفة موقف الدولة والمجتمع من التسول،

---

(٣٩) أيمن حسن ضميرية، **دراسة وتحقيق لمخطوط ذم الهول والذعر من أحوال الزعر والعصبيات وما يحصل في ذلك من الفتن والبليات للإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي ابن المبرد الصالحي الحنبلي (٨٤١هـ – ٩٠٩هـ): (من الورقة /٩٠ – ب/ إلى / ١٦٧ – أ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان، السودان ٢٠٠٣م ،ص ١- ٤٠٤.

(٤٠) محمد السيد محمد فياض، **ظاهرة الخوف وأثرها على المجتمع في مصر في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣ هـ. = ١٢٥٠-١٥١٧ م**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ع ٣٠، ٢٠١٩، ص ١٨٥ – ٣١٧.

وهل اكتنفت ممارسات المتسول، طرقاً، احتيالية، أخرى؟، وماذا عن الموقف السلطوي من هذه الطوائف، وكيف يمكن تقييمه؟.

أولا: **فئات المتسولين:**

بادى ذى بدء التَّسَوُّل في **اللغة:** (تسول) سَوَّلَ وَسَأَلَ واستعطى، والتسول أصلها التسؤل، وهي مأخوذة من مادة (س أ ل)، والسؤال ما يسأله الانسان، وقيل (أوتيت سؤلك يا موسي) بالهمز، وبغير الهمز، السؤل الحاجه التي تحرص النفس عليها، التَّسْوِيل: تَحْسِينُ الشَّيْءِ وتزيينُه وتَحْبِيبُه إِلى الإِنسان لِيَفْعَلَهُ أَو يَقُولَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ[٤١].: والتسول **اصطلاحا:** هو طلب الصدقة من الأفراد في الطرق العامة، والمتسول هو الشخص الذي يتعيش من التسول ويجعل منه حرفة له ومصدرا وحيدا للرزق. وإجرائيا يعرف التسول أنه طلب مال، او طعام، او المبيت من عموم الناس باستجداء عطفهم وكرمهم إما بعاهات أو بسوء حال أو بالأطفال، بغض النظر عن صدق المتسولين او كذبهم[٤٢].

---

[٤١] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ): **لسان العرب**، (ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ)، ١١/ ٣٥٠، ١٣/ ٤٢٢٩؛ إبراهيم مصطفىٰ، وآخرون: **المعجم الوسيط** (القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م)، ١/ ٤٦٥.

[٤٢] مالك بشير عبد القادر، علي مسعود صالح، **التسول بين الحاجة والامتهان وكيفية العلاج**، جامعة سبها –كلية الآداب، ٢٠١٩م، ص ٥.

ـ المكدون[٤٣]

لم يكن تاج الدين السبكي هو الكاتب المسلم الوحيد الذي استشعر الحرج من سلوك المتسولين المحترفين في العصور الوسطى[٤٤]، إذ إن الأدب العربي القديم أنتج سلسلة من الكتب التي تناولت المتسولين المحترفين، والمشعوذين وأرباب الحيل والصوفية المزيفون، وهم من يُطلق عليهم جميعًا لقب "**بنو ساسان**"[٤٥] إذ إن حِرفة التسول بالحِيَل وجماعات المحتالين لم ترتبط بظروف الحَراك الاجتماعي الذي انتشر في المجتمع الإسلامي منذ أيام الجاحظ المتوفىٰ سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، الذي ذكر أن له كتابًا يسمىٰ «حِيَل المكْدِين»[٤٦]، ولكن الظاهرة ترجع بجذورها إلىٰ أزمان سابقة على الجاحظ ونمت وتطورت وتسارعت وتيرتها ومعدلاتها في مصر وبلاد الشام إبان حكم دولة سلاطين المماليك، في وقت كانت القاهرة وجهة رئيسية للوافدين أو اللاجئين السياسيين الذين نزحوا عن أوطانهم لأسباب عدة، وقدموا إلىٰ هذه الدولة

---

[٤٣] المكدون: هم المتسولون والشحاذون والمحتالون، وانتشرت الكدية في العصر العباسي الثاني، وعرف الساسانيون بالكدية في القرن الرابع الهجري. انظر: طه هاشم الدليمي: **المكدون في التراث العربي** (بغداد، مجلة التراث الشعبي، ع١١ السنة ٦، ١٩٧٥م)، ص١٠٣؛ سيد عشماوي، **الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث** ،القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م، ص٢٦.

[٤٤] السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ)، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، ط٢، مكتبة الخانكي، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٤٧، ١٤٨.

-(٤٥) ساسان: هو الكاهن الزردُاشتي الأعظم، وجد الملك أزدشير الأول مؤسس الإمبراطورية الساسانية، وبنو ساسان قد تعني الفرس، ولكنها هنا أصحاب الكُدية، وهم قوم يتجولون في البلاد يتكسبون بالأدب أو الحِيَلة علىٰ الناس. وقد أطلق عليهم اسم «بني ساسان»، واشتهروا في العصر العباسي وتشمل كل المحتالين والمتسولين بأشكالهم وطرائفهم كافة. وقد خصص لهم الجوبري فصلًا كاملًا لكشف أسرار بني ساسان.

(٤٦) يختلف اللغويون في الكدية وأصلها، فيرىٰ بعضهم أن الفعل (كدىٰ) بكاف مفتوحة ودال مهملة مشددة، بمعنىٰ «سأل»، قد سمع في كلام العرب وليس معربًا ولا مولدًا ولا محرفًا، ويرىٰ البعض أنه ليس كذلك، وليست التكدية عند جماعة المكدين والمتسولين مجرد السؤال والاستجداء كما قد تفيده هذه الكلمة بمعناها الساذج فقد أخذت معنىٰ اصطلاحيًّا متعدد الوجوه كثير الدلالة، فأصبحت تتضمن معنىٰ الاحتيال للمال بمختلف الوسائل والأساليب غير المشروعة، وقد كان ظهور الكدية في المجتمع العربي منذ أيام الجاحظ المتوفىٰ سنة ٢٥٥هـ ،حتىٰ إن البغدادي يذكر أن للجاحظ كتابا يسمىٰ (حِيَل المكدين). علىٰ أن الذي يظهر أن تعقد الحياة في القرن الرابع الهجري وشيوع المذاهب المختلفة فيه والغفلة التي أطبقت علىٰ العامة في ناحية الدين في ذلك العهد، قد مكن لهذه الطائفة أن يمتد نفوذها ويقوىٰ سلطانها في ذلك العهد اسمًا اصطلاحيًّا جديدًا هو (الساسانيون)، ويعود السبب في هذه التسمية إلىٰ نشوء طائفة من المكدين من الساسانيين بعد انتهاء مملكتهم، فكانوا يطوفون في البلدان ويَقُولُون نحن من بنىٰ ساسان فينتسبون إلىٰ ملوكهم ثم يتذللون في السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم فيقع الإشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتىٰ شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس إذا رأوا سائلًا متمسكنًا قالوا: ساساني، وقيل: إن ساسان اسم رجل معين، وهو أول من أسس الكدية فنسبوا إليه، كما كان لديهم موهبة أدبية يحتالون بها علىٰ الناس كشأن ما نسميه في مصر «الأُدباتية»، وحتىٰ مطلع القرن العشرين ارتبطت جماعات من المكدين «الشحاتين» بأنماط فنية تكاد تقترب من الدراما الشعبية، كان البعض منهم «لهم مواكب تسير في الطرقات يستدرون عطف النساء بغناء عامر بالأسىٰ والشجن، كان أكبرهم سنًّا يتقدم الموكب بشعره الأشعث ويحمل بين يديه حجرًا يدق به علىٰ صدره – الذي اسودَّ من كثرة الدق عليه – في إيقاع غنائي تحيط به مجموعة من الأطفال – في ثياب مهلهلة – يرددون بعد كل فقرة غنائية وكأنهم كورس مدرب – يا كريم يا رب. عمرو عبد العزيز منير، **أهل الحيل والألعاب السحرية في عصري الأيوبيين والمماليك**، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة ٢٠١٩م، ص٦٧.

طلبًا للأمان[٤٧] كابن دانيال الموصلي أحد أبناء العصر المملوكي الذي قدم لنا صور المتسولين المختلفة باختلاف **أبعادها الثلاثة:** البيولوجية (المادية أو الحسية)، والسوسيولوجية (الاجتماعية)، السيكولوجية (النفسية)، في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، من خلال كتابه «طيف الخيال». في بابة عجيب وغريب، وهي تتضمَّن أحوال الغُرباء[٤٨] المحتالين من الأدباء الآخذين بهذا الشأن، المتكلمين[٤٩] بلغة الشيخ ساسان[٥٠] والأدباء القوَّالين[٥١] ومن الواضح من البابات أن هذه الفئات الاجتماعية الخدمية لم تكن هامشية في حياة المجتمع في عصر السلاطين المماليك[٥٢].

هذه الشخوص تظهر بجلاء أساليب الحيل في التسول وادعاء المرض وكل سبيل للخداع؛ لاستدرار العطف في النثر والشعر بل وفي بابات خيال الظل لابن دانيال الموصلي، (ت ٧١٠هـ) [٥٣]؛ يظهر دعوته أن يستخدم بنو ساسان المظاهر الخادعة وإحداث العاهات

---

(٤٧) للمزيد عن أسباب ازدياد أعداد اللاجئين والوافدين إلىٰ مصر والشام وأثر ذلك، راجع: سحر السيد عبد العزيز: **العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري** (الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١م)؛ البيومي إسماعيل: **الوفود السياسية لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك** (مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد (٣٠)، يناير ٢٠٠٢م)، ص٥٠٥-٦٠٤؛ وانظر أيضًا:

- *Ayalon D: The wafidya in the Mamluk Kingdom (Studies on the Mamluks of Egypt, London, 1977) pp.89-104.*

(٤٨) الغُرَباء: طائفة من بني ساسان أرباب الطريق والتنجيم والمشاتين، ولهم سيم خاص بهم لا يفهمه إلا هم ومن صاحبهم، ويعرفون من بين طوائف بني ساسان بالغربا؛ لأنهم يأتون بالغرائب من كل الفنون بما يعجز عنها غيرهم وأمثالهم.والغرباء؛ لفظة لا تزال تطلق علىٰ العازفين والمغنين، المتجولين من فئة الغجر، وقد عرفوا بهذا الاسم في شمال مصر ومنطقة الدلتا. الجوبري، عبد الرحيم بن عمر (ق٧هـ): **المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق: مانويلا دنجلر، ٢٠٢٠م**، ص ٢١٤؛ الجوهري، محمد: **موسوعة التراث الشعبي العربي «المعتقدات والمعارف الشعبية»**، (القاهرة، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م)، ٣٧٣/٢.

(٤٩) يقصد اللغة الخاصة بطائفة الغرباء، أشعار بالسين (السيم)، ودوبيتي وغيره، وهو البلاغ الذي يتكلمون به ولا يفهمه إلا هم ومن صاحبهم، ولهم في السين أشياء لا تعد ولا تحد. الجوبري: **المختار في كشف الأسرار**، ص ٢١٤، ٣٤٨.

(٥٠) ساسان: مجرد، وحيد، منعزل، محتلي، فقير، درويش، وليُّ الغجر وجميع المتشردين والمحتالين وأبناء السبيل والمشعوذين والشحاذين والحُواة، وتسمىٰ فنونهم وحيلهم «علم ساسان»، ويرجع تسمية الساسانيين إلىٰ الكاهن الزرادشتي ساسان، جد أول ملوك الساسانيين أردشير الأول. و«علم الحيل الساسانية» من فروع علم السحر، وهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال، والذي كان يباشرها كان يتزيَّا في كل بلدة بزي يناسب تِلْكَ البلدة؛ فتارة يختارون زي الفقهاء، وتارة يختارون زي الوعاظ، وتارة يختارون زي الأشراف... إلخ. وربما كانت نسبة الاحتيال إلىٰ الساسانين الفرس – أحد مظاهر الحركة الشعوبية، وهى أسرة حاكمة في إيران قبل الإسلام بدأت بأردشير بابك وانتهت بيزدجرد الثالث بالفتح الإسلامي. انظر: عبد الحميد يونس: **معجم الفولكلور** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م)، مادة ساسان، ص٣٣٢؛ حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبد الله كاتب چلبي (ت١٠٦٧هـ): **كَشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (مكتبة المثنىٰ، بغداد ١٩٤١م)، ٦٩٤/١؛ إبراهيم الدسوقي شتا، **المعجم الفارسي الكبير**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م، ١٤٧٦/٢.

(٥١) ابن دانيال، طيف الخيال، ص ٣٧١.

(٥٢) عطارد شكري: **مصر المملوكية في بابات ابن دانيال** (القاهرة، مجلة الفنون الشعبية، ع٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩)، ص٢٠٤.

(٥٣) ابن دانيال الموصلي، **كتابُ طَيْفِ الخَيال: تحقيق جديد لكتاب ابن دانْيالَ**، تحقيق، عمرو عبد العزيز منير، بريل، لايدن ٢٠٢٤م.

المصطنعة للتسول وهو ما سنتطرق إليه في المباحث التالية؛ إذ إن هذا النوع من الخديعة هو جزء من جراب حيلهم:" وأَنْتُمْ مَعاشرَ الغُربا وسائر بني ساسانَ من الأدَبا، أجمِلُوا في الطَّلَب واسْتَدِرُّوا الحَلَب، واغْتَنِمُوا الاجتماعَ فإن الفُرْقة واقعة ... فاركَبُوا رحمكم الله غواربَ الإلحاح، والبَسُوا دُرُوعَ الوجوه الوقاح[٥٤]، وتَعامَوا مُبْصرين[٥٥] وتَطارَشوا سامعين، وتَعارَجوا فالسَّبْقُ[٥٦] لذي العَرَج، وتَخارَسوا فإنَّ الخَرسَ لِسانُ الفرج، وركِّبُوا على جُلُودِكم الجُلُودَ المَسْلُوخَة[٥٧]، واشربُوا نَقيعَ التِّبْن[٥٨] لتُصبِحَ وجوهُكم مُصْفَرَّة وبطونُكم منفوخة، واخْتَرِقوا الصُّفوفَ في الجوامع، وحثُّوا على الإحسان بالطلب في الشَوارِع[٥٩]، ولْتَكن أفْخَرُ مَلابِسكُم الأَسْمال[٦٠]، وأكثرُ هَمِّكُمْ في جمْع المال، وسيروا بهاتَيْن، تأمَنوا من الإفلاسِ والدَّيْن، فصحَّة العينِ بإنسانها وصِحَّة الإنسان بالعين[٦١].

وعلى الرغم من أنه لا يبدو أن المقصود هو أن يؤخذ هذا التبرير مأخذ الجد (إذ إن نغمة الكتاب كله نغمة ساخرة)، فإنه من المحتمل أن مثل هذا النوع من الحيل والخداع كان يستغل حقًا من جانب المتسولين لجذب العطف[٦٢]، وهنا يتضح التطابق بين المصادر التاريخية والمدونات الأدبية والفقهية التي حذرت من ألاعيب المتسولين وحيلهم واحتيالهم على الناس لأكل أموالهم بالباطل [٦٣].

ويختتم غريب خطبته بمديح المحسنين استنادًا إلي التبرير الديني؛ في محاولة إقناع

---

[٥٤] ووقُح الرجل: قلَّ حياؤه واجترأ على اقتراف القبائح ولم يعبأ بها فهو وقح وهي وقِحة، ويقصد كشف أسرار الذين يدعون الاستسقاء والصفار والعلل الباطنة. انظر: **المعجم الوسيط** (و. ق. ج)، ١٠٤٨/٣؛ الجوبري: **المختار في كشف الأسرار**، ص ١٢٢.

[٥٥] راجع ما ذكره الجوبري عن كشف أسرار الذين يدعون العمى. الجوبري: **المختار في كشف الأسرار**، ص ١٤٢.

[٥٦] أي: الفوز والمكسب للأعرج.

[٥٧] الجوبري: **المختار في كشف الأسرار**، ص ٣٦١.

[٥٨] التِّبْنُ: عصيفةُ الزرع من بُر ونحوه، وما تهشم من سيقان الْقَمْح والشعِير بعد درسه تُعلَفه الْماشِيَة. وكشف الجوبري ما يقوم به بني ساسان من الحيل بشرب ماء التبن وبيض النمل ثم يشربونه فتكبر بطونهم وتصفر وجوههم، فإذا أرادوا أن يذهبوا ذلك شربوا ماء الهندباء بسكر الطبرزد .انظر: **القول المقتضب**، ص١٥١؛ **المعجم الوسيط** (ت. ب. ن)، ٨٢/١؛ **المختار في كشف الأسرار**، ص ١٣٤.

[٥٩] مارس المتسولون منذ القدم إلى يومنا هذا كل أنواع الحيل لدغدغة المشاعر للشَّحاذة واللعب على وتر الدين، انظر: السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص١٤٧، ١٤٨.

[٦٠] الأسمال: البالية الخلقة. انظر: **المعجم الوسيط** (س. م. ل)، ٤٥٠/١.

[٦١] **العين الأولى**: الباصرة، **والثانية**: النقد أو الذهب، والإنسان الأول: إنسان العين، والثاني: البشر.

[٦٢] آدم صبرة، **الفقر**، ص ٨٥.

(٦٣) ابن دانيال الموصلي، **كتابُ طَيْفِ الخَيال: تحقيق جديد لكتاب**، ص ٣٩٨.

المحسنين بجدوى الصدقة:" ثم يقولُ: مَن كَفَاني بَرْد الشتاء بجُبَّه((٦٤))، أسكَنه اللهُ جَنَّته الرَّحبة، ومَنْ طَرَّحَني بطَيْلَسان[٦٥] حشره الله مع الحُورِ الحِسان[٦٦]،ومَن حَباني بمِرْطه[٦٧]، استَكْمَلَ المزَخْرَفة[٦٨] بشَرْطِه فإذا نالَ ما تَمنَّاه، وملأ بالعطايا يُمْناه، أوجَز في لَفظِه ونَزَلَ عَنْ مَطِّيةِ وعْظِه، وأَغْمَدَ سَيْفَ لَفْظِه"[٦٩] وقد يعجب المرء من التأثير المقصود من دعوات مثل هذا الشخص، ولكن هذا الكلام الأخير هو بالضبط ما يتوقعه الإنسان من متسول حقيقي. وبغض النظر عن مختلف الحيل التي كشفها ابن دانيال، فهى لا تحتاج إلى مزيد من التفصيل، ولكن من الواضح أن الفقرة صدرت عن متسول متدين ويقدم ابن دانيال وضعية عوز وضعف المتسول باعتباره نتيجة الزيف النابع من الكسل وتشجيع المجتمع لهم بالصدقات فركنوا إلى الدعة وتركوا العمل:" فتركنا العَمَل، ومِلْنا إلى الراحةِ والكسلِ، وانفرَدْنا بتدبير المَدَكَّات[٧٠] و

---

[٦٤] الجُبَّة: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدَّم، يلبس فوق الثِّياب. وهي علىٰ نوعين: جبة مشقوقة المقدم يرتديها العلماء وعلْيَة القوم، وهي جبة مفرجة؛ وجبة غير مفرجة كالثوب تصنع من الصوف الخشن وأكمامها مبالغ في اتساعها، يرتديها أهل الريف والعامة، وقد كانت جبة الأغنياء طويلة متسعة مصنوعة من الصوف الرقيق مبطنة بالفرو، وجبة العوام كانت قصيرة خشنة الصوف. انظر: أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز الأندلسي (ت٥٢٨هـ)، **الرسالة المصرية**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ضمن: نوادر المخطوطات، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٤٠؛ رينهارت بيتر آن دُوزِي، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ٢٠٠٠م، ص١٧، ١٨؛ **المعجم الوسيط** (ج. ب. ب)، ١٠٤/١؛ شلبي إبراهيم الجعيدي، **طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٤، ١٢٥.

[٦٥] الطَّيْلَسانُ: – فارسي معرب – ضرب من الأكسية قريب من الطرحة، ومنه مقطوع من الوسط، ومنه مقور أطلق عليه «الطرحة». انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ (ط. ل. س)، ١٢٥/٦؛ القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، **صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء**، ١٤ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ٤٨٧/١؛ ل. ا. ماير، **الملابس المملوكية**، ترجمة: صالح الشيتي ؛ مراجعة وتقديم: عبد الرحمٰن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٩٤.

[٦٦] تتشابه هيئة المحتالين والشحاذين ومطالبهم فيما أورد ابن دانيال مع ما أورده بديع الزمان الهمذاني من قوله: «إذ طلع عليَّ من بني ساسان كتيبة قد لفُّوا رءوسهم، ووصلوا بالمغرة لبوسهم، وتأبط كل واحد منهم حجرًا يدق به صدره، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يراسلونه، فلما رآني قال: أريد منك رغيفًا... يعلو خوانًا نظيفًا... أريد ملحًا جريشًا... أريد بقلًا قطيفًا... أريد لحمًا غريضًا.. وهذا الدرهم تذكرة معك، فخذ المنقود، وانتظر الموعود. انظر: الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيىٰ بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ)، **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٢٣م.، ص١٠٢.

[٦٧] المرط: – بكسر الميم – واحد المروط، وهي أكسية من صوف أو خز أو كتان كان يؤتزر بها. انظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ٢٩٣؛ **المعجم الوسيط** (م. ر. ط)، ٨٦٤/٢.

[٦٨] المزَخْرَفة أي: المزيَّنة.

(٦٩) ابن دانيال الموصلي، **كتابُ طَيْفِ الخَيال**، ص٤٠١، ٤٠٢.

[٧٠] والمدكات: جمع مَدَكَة، وهي الخديعة والمكر والتضليل بالمظاهر والنصب، والاحتيال والشعبذة، وقد استخدمها المكدون، وفاعلها هو المدكك: وهو من دكك أو فكك إذا أخرج اللوىٰ من العصيان، واحتال علىٰ من به وجع الضرس حتىٰ يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجه ويوهم أنه أخرجه

الحِيَل[٧١]، وتفرَّقنا إلىٰ تلك الفِرق، ولَمْ يَصُدَّنا رُعْبٌ ولا فَرَق[٧٢]، فتَهجَّمْنا علىٰ الكُزْكِ والكِيَاد، ونَبَلْنا المَراكِم[٧٣] المِهْكاد، وأَقدَمْنا علىٰ وصفِ الطراش[٧٤]"[٧٥] وهؤلاء المتسولون ليسوا فقراء بالمرة، وإنما هم آمنون من الإفلاس والديَّن[٧٦].

إن كثيرًا من الحيل التي وصفها ابن دانيال تبدو كافية من الناحية الجدلية إذ إن بعضها مثل اعتراض المصلين في المساجد، عليها دليل في المصادر[٧٧]، وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كان ابن فضل الله العمري مقتنعًا بخطورة هذه الفئة على المجتمع وضرورة منعهم من ممارسة حيلهم وألاعيبهم على المجتمع[٧٨]:" وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان، امنعهم كل المنع، واصدعهم مثل الزجاج حتى لا ينجبر لهم صدع، وصب عليهم النكال وإلا فما يجدي في تأديبهم ذات التأديب والصفع"[٧٩].

تأثر ابن دانيال بالكتابات السابقة عليه والتي وصفت مبكرًا بني ساسان وعملهم وتواجدهم في المجتمع مثل: القصيدة الساسانية التي كتبها أبو دلف الخزرجي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كما تأثر بمقامات بديع الدين الهمذاني (٣٥٨ – ٣٩٨ هـ / ٩٦٨ – ١٠٠٨م)[٨٠]، تضمنت شخصيات الهمذاني الدعاة والمكسحين، والمتسولين، والدراويش، وتنويعة من

بالرقية. للمزيد انظر: الجوبري: **المختار**، ص ٨١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٩٦؛ طه الدليمي: **المكدون في التراث العربي**، ص١٠٧.

[٧١] علم الحِيَـــل يُعنَي بحِيَل بعض الحذقة في أُمورٍ كثيرة أبرزها إدخال البيضة في الزجاجة، أو إلقاؤها في النار ولا تحترق، وإخفاء الخواتم، وألعاب القداح... والشعبذة، والخفة في كل أمر. انظر: ابن الدهان، محمد بن محمد بن سليمان بن غالب: **إرخاء الستور والكلل في كشف المدكات والحِيَل وإيضاح الجد منها والهزل**، (مخطوط بمكتبة رضا رامبور بالهند، برقم ٢٥١٣)؛ عمرو منير: **أهل الحيل**، ص٢٢.

[٧٢] يتفق ابن دانيال مع ما ذكره الجوبري عن صفات بني ساسان في الفصل السادس من كتاب **المختار**. انظره ص٩١٢ ما بعدها.

[٧٣] اسم آلة من (ركم)، أداة تستخدم في جمع الأشياء وتكويمها. ورد ذكرها في خطبة عتبة بن أبي سفيان لأهل مصر بقوله: يا أهل مصر، قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم، وقد وليكم من يقول بفعل ويفعل بقول، فإن دررتم له مراكم بيده، وإن استعصيتم عليه مراكم بسيفه. انظر: **لسان العرب** (ر. ك. م)، ٦٨/٦، **معجم اللغة العربية المعاصرة** ٩٣٩/٢.

[٧٤] الطراش: نوع من الحيات. الجوبري: **المختار**، ص٩١.

(٧٥) ابن دانيال الموصلي، **مصدر سابق**، ص ٣٨٥.

(٧٦) آدم صبره، **الفقر**، ص ٨٦.

(٧٧) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت٧٣٧هـ)، **المدخل**، دار التراث، القاهرة، ١٩٢٩م، ١ / ٢٢٥؛ ألفت جمال محمد، **انتهاك حرمات المساجد في مصر خلال العصر المملوكي**، مجلة كلية الآداب، جامعة الوادي، ع ١٧، ص٤٠٢ – ٤٤١.

[٧٨] آدم صبرة، **الفقر**، ص ٨٧.

(٧٩) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)، **التعريف بالمصطلح الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٨م، ١/ ١٦٣.

[٨٠] إلهام إسليم سلمان، **المقامات المفهوم والعناصر والنشأة**، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، ع١٥، مج٣، ٢٠٢٨م، ص ١١٦١ – ١١٢٥.

الأنماط المشابهة[٨١].

لم يكن ابن دانيال هو آخر من عالج موضوع التسول بالتكدي وحيل بني ساسان، فبعده بجيل واحد ألف صفي الدين الحلي قصيدته التي أسماها بالقصيدة الساسانية [٨٢]. إضافة إلى رواج كتابات أخرى تناولت حياة التسول في العصر المملوكي.

وقد كرست كتب بأكملها لوصف حيلهم و خدعهم [٨٣]، وهذا ما أورده الكاتب عبد الرحمن الجوبري حيث وضع فصلًا سماه «علم الحِيَل الساسانية»[٨٤]، وقد عالج الكثير من الكُتاب موضوع التسول بالاحتيال ووسائله، منهم بالمقامات ومنهم بالشعر، ومنهم بالنثر، وقد وصل إلينا بعض من هذه الكتابات، وفُقِد بعضها الآخر، وصلت إلينا إشارات عنها في بَعض المصادر التي تَناولت الحيل الساسانية، ومنها الكتب التي أشار إليها «النديم» في كتابه «الفهرست»[٨٥]، والتي لَم يصل بعضها إلينا، أَما مِن الكُتب التي وصلت إلينا، منها: السيرة الشعبية للحاكم بأمر الله الفاطمي[٨٦]، كِتاب «النارنجيات»، أو «الباهر في عجائب الحِيَل» لأبي عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي المعروف بابن شُهيد[٨٧] (ت٤٢٦هـ /١٠٣٥م)، وهو الشاعر والأديب المشهور، صاحب رسالة «الزوابع والتوابع»[٨٨]. ورسالة النارنجيات هذه

---

[٨١] آدم صبرة، **الفقر**، ص ٨٣.

[٨٢] المرجع السابق، ص ٨٧.

(٨٣) نفسه، ص ٨٢.

[٨٤] الجوبري: مصدر سابق، ص٩١ –١٠١.

[٨٥] ذكرها النديم في «المقالة الثامنة: في الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة»، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ)، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ٣٦٩/١.

(٨٦) **سيرة الحاكم بأمر الله الفاطمي**، سيرة شعبية في ٢٠ جزء، ج٢، مكتبة الأبحاث، غوتا، ألمانيا ،برقم Ms. orient. A 2599 k R، ق٦٤/ظ. أشار راوي **سيرة الحاكم بأمر الله** إلى عدد من المتسولين بالحيل:" السالوس ما أخذ بالحيلة، وهم أربعة روس: أحدهم المهدار، والباصى، والكرمانى، والكترى، فاما المهدار، فهو الواعظ. والباصى، وهو القَصّيص، والكرمانى، فهو الذى يعمل فى الجوامع بعد صلاة الجمعة. والكترى، هو الذى يرقب الناقة فى مكة والمدينة..وسادسهم يقال لهم: الرماجون وهم معبرون المنامات. وسابعهم المقربون فى الأزقة للنساء، ومعهم تخت رمل، ولا يعرفون الأشكال ولا أسماءهم. وثامنهم الحشارون الذين يصادون الأفاعى. والبركالون: الذين يقلعون الأضراس والدود من الأضراس ويقظبون العين. والثعابين الذين يقلعون العشب من الرجال الجبال ويأكلون الحيات والعقارب. واللعالون الذين يرقصون الاشخاص بالخيوط. والزعافون الذين يرقصون الشخصين بأرجلهم. والمشطبون الذين يعملون قلعتين أفرنج ومسلمين، ويوقع بينهم الوقايع والفتنة. والمبرقع الذى يعمل على وجهه إيزار ويرقص بالنحنحة. والزماريون الذين يرقصون الاشخاص بالبراقع. والظط الذين يركبون نسائهم الخيل ويتسلبون من ظهر الفرس إلى بطنها. والنور الذين يمشون على الحبال بالقباقيب والكحجية. والبهاليون الذين يضربون ويكسر قد العظم على أعناقهم. والسكيتون الذى يتكلمون على تحت الرمل".(**مخطوط سيرة الحاكم بأمر الله**، ورقة ٦٤ظ).

(٨٧) شُهيد: بضم الشين المثلثة، وفتح الهاء، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها دال مهملة.

(٨٨) ابن بشكوال: **الصلة**، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٦م) ٣٥٧/٢؛ وابن حيان: **المقتبس**، (تحقيق محمود مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م)، ص٤٤٧؛ وعبد الله سالم المعطاني: **ابن شُهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي**، (مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة الملك عبد العزيز. ١٩٧٧م)، ص١٥.

جزءٍ من كتابه «كشف الدَّك وإيضاح الشك»، وقد ذَكره «الجوبري»[٨٩] ضِمن الكُتب التي رَجع إليها في كتابه "المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار".[٩٠]

وكتاب الجوبري هو في المقام الأول صورة أخلاقية أدبية للمتسول المحتال في العصور الوسطى العربية الإسلامية، والتي تعكس بطريقة مسلية وتعليمية الحياة الاجتماعية وأنشطة مجتمع بني ساسان، مجتمع المتسول والمحتال، بكل تنوعه. فهو يحتوي على حقائق وثروة من التفاصيل التي تتجاهلها المصادر التاريخية الأخرى في الغالب بعيون ومعرفة أحد المطلعين على بواطن الأمور، أنشأ الجوبري سجلات فريدة من نوعها للبيئة الإجرامية التي عاشها المتسولون من بني ساسان. وهكذا يفتح الجوبري الباب على مصراعيه، ويقدم من خلال عمله نظرة ثاقبة للحياة اليومية للعالم السفلي للمجتمع المصري والعربي في العصور الوسطى، والذي ظل مغلقًا أمام دراسات الحياة اليومية للمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك.[٩١]

لا يقدم كتاب "كشف الأسرار" رؤى ثاقبة للأفكار والحيل الصعبة لعالم بني ساسان المتنوع فحسب، بل يمثل أيضًا، بمحتواه متعدد الأوجه، مصدرًا غنيًا للغاية عن التاريخ الثقافي والاجتماعي والعقلي للمتسولين في المجتمع العربي عصر سلاطين المماليك[٩٢].

وقد تجاسر العديد من كُتاب عصر المماليك وخاطروا بإبداء آرائهم في حِيَل المتسولين بسبب انزعاجهم من تسلط العديد منهم علىٰ أموال الناس وخداع العوام وأخذ بعضهم علىٰ عاتقه المهمة غير الهينة لتعلُّم خدع هذه المهنة؛ بحيث يؤديها كما يؤديها العديد من المتسولين المتجولين الذين يجوبون الأسواق والاحتفالات، ولكن بعضهم شعر بوَخْز الندم علىٰ كشفه ألاعيبهم واعتراض سبيل عيش هؤلاء المساكين بذلك، مثل الجوبري الذي التمس لهم الحيلة بسبب الحاجة والفاقة، فيقول: «ومع ذلك فإن الإنسان إذا احتاج احتال»[٩٣]. إلا أنه أنزل وابلًا من الازدراء والإساءة بمن كانت في رأيه مجموعة المتسولين المحتالين الرئيسية الأخرىٰ،

---

(٨٩) قال الجوبري: «ثُم قرأت جميع الكتب الموضوعة.. مثل الباهر وغيرهما من النواميس، ثُم أخذت في كشف دكها فقرأت كتاب ابن شُهيد المغربي في كشف الدَّك وإيضاح الشك». انظر: **المختار**، ص٢٢.

(٩٠) عمرو عبد العزيز منير، **أهل الحيل**، ص٧٧ –٨١.

(٩١) فتحت دراسة سعيد عاشور عن **المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك** الباب أمام الدراسات الاجتماعية واستخدام مصادر غير تقليدية مثل كتاب الجوبري؛ راجع سعيد عاشور، **المجتمع المصري** ،ص ٢٥٣ هامش ٣٣، ص٢٦٥ هامش ١٠٢، ص ٢٦٩، هامش ١٢١، ص ٢٧٩.

(92) Höglmeier, Manuela: Al-Gawbari und sein Kashf al-asrar, Berlin: Klaus-Schwarz-Verlag, 2006. p, 14.

(٩٣) الجوبري، **المختار**، ص٩١.

قاصدًا بها مجموعة تتسربل برداء الدين والنبوة والمشيخة والوعاظ، وراق للعديد من الكُتاب الذين كتبوا في أسرار هذه الحِيَل أن يوضحوا كيف يستخدم المنتسبون للدين الحِيَل وخفة اليد و النارنجيات و التخييلات ؛ كي يدعمان الإيمان بهم(٩٤).

واستهل أغلب مَن كَتب في كشف أسرار حِيَل المتسولين المحتالين أبرزهم (عبد الرحمن الجوبري) بفصول على شاكلة" في كشف أسرار بني ساسان" وأدرج تحتها أبوابًا ثمانية منها: "في كشف أسرار الذين يدعون العمى"(٩٥)، "في كشف أسرار الذين يدعون الجذام"(٩٦)، "في كشف أسرار الذين يدعون الاستسقاء والصفار والعلل الباطنة"(٩٧)، كما أشار إلى حيل المتسولين بالنملة السليمانية(٩٨) .

ونَجد كتاب «عُيون الحقائق وإيضاح الطرائق»(٩٩) لأبي القاسم محمد بن أحمد السماوي(١٠٠) العراقي (عاش حتى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)(١٠١)؛ لأنه يذكر اسم حاكم مصر في زمنه الظاهر ركن الدين(١٠٢)، وكتابَ «إرخاء الستور والكُلَل، في كشف المدكَّات والحِيَل»(١٠٣)، تأليف محمد بن محمد أبي حلة الرهاروزي أَو ابن الدهان،

---

(٩٤) الباقلاني، أبو بكر (ت٤٠٣هـ / ١٠١٣م)، **البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر**، نشره: ريتشارد مكارثي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ص٥٧؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، **تلبيس إبليس**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.، ص٣٤٠.

(٩٥) الجوبري: **المختار**، ص ٥٤.

(٩٦) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٩٧) نفسه، ص ٥٤.

(٩٨) يقصد أنها من نسل النملة التي كلمت النبي سليمان، والعوام تسمى النمل الأسود الكبير النمل السليماني، وهم طائفة تحدث عنهم الجوبري في كتابه **المختار**، وخصص لهم فصلا بعنوان "**في كشف أسرار الذين يمشون بالنملة السليمانية**"، وأشار بقوله:" أن هذه الطائفة هي نوع من بني ساسان، ..تسلطوا على أكل أموال الناس بالباطل والفسق بأولادهم، ولهم من الدهاء والمكر أوفى نصيب، وهم أخبر من غيرهم، انظر: الجوبري: **المختار، تحقيق:مانويلا**، ص ١٥٥ – ١٥٩.

(٩٩) ورد في إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون باسم: «عيون الحقائق وكشف الطرائق» لأبي القاسم العراقي محمد بن أحمد السماوي وقيل السمانوسي، أوله: الحمد لله الذي أطلع لنا... إلخ. صنفها لأحمد بن الملك الظاهر أبي سعيد چقمق. انظر: سماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (ت١٣٩٩هـ): **إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون**، (عني بتصحيحه وطبعه علىٰ نسخة المؤلف: محمد شرف الدين، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٩م) ٣٨٣/٤.

(١٠٠) نسبة إلىٰ مدينة السَّماوة.

(١٠١) لطف الله قاري: **الحبر والمداد في كتب الصناعات الشاملة**، (القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٥٥، ج١، ٢٠١١م)، ص٩٢.

(١٠٢) الظاهر ركن الدين حكم خلال الفترة ٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٤م.

(١٠٣) أشار حاجي خليفة في كشف الظنون إلىٰ أنه مذكور في كتبِ الجَفْر.

ولم يَصلنا شيء عن حَياةِ المؤلف، إلا أن المخطوطة المعروفة لَه مؤرخة سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م. وتَضمن مادةً عن حيل المتسولين والشحاذين، وقد اعتمد عليه الجوبري صاحب كتاب «المختار في كشف الأسرار». والجوبري كان حيًّا سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، ويستفاد مِن مُقدمة مؤلفه أسماء كتب اعتمد عليها، ولَم يصل إلينا العديد منها، فيما عدا كتاب «إرخاء الستور» وكتاب ابن شُهيد السابق ذكرهما.

أضف إلىٰ هذا التراث كتاب «الحِيَل البابلية للخزانة الكاملية» للحسن ابن محمد الإسكندراني القُرشي العدوي (ت في حدود سنة ٦٤٠هـ)، وقد صَنَّفَ هَذا الكتاب للملك الكامل الأيوبي، وأَلَّف كتاب «مَوضح أستار الكُلَل، وفاضح أسرار الحِيَل» للخليفةِ الناصر لدين الله أحمد العباسي(١٠٤).

ومِن الكتب الأخرىٰ التي تَناولت الحيل الساسانية في تراثنا؛ كتاب «عيون الحقائق والغرائب في اللعوب والكيمياء، لمجهول، وكتاب آخر «في الدَّك والنيرنجيات والملاعيب والسيمياء، والبَخورات لمجهولٍ أيضًا(١٠٥). إضافة إلىٰ كتاب «زهر البساتين في علم المشاتين» ذَكره حاجي خليفة بقوله "في طرائق بني ساسان"(١٠٦). وكشف خفايا تصرفاتهم وإظهار تناقضاتهم وألاعيبهم، كأنه بقعة ضوء كاشفة للمستور، هذا على المستوى المباشر والسطحي ولكن في العمق تعد هذه الكتابات نصوصًا ووثائق تاريخية وأدبية عن حياة التسول في زمن المؤلفين ،وعلى طبقية المجتمع حيث الكثرة الغالبة تكدح وتعيش في الحضيض. إنها كثرة مقموعة مكبوتة يتهددها سيف السلطان وحبسه ويتعاورها الجوع والفقر ولذا لجأ كثير من أفرادها إلى التسول واحترافه بمكر ودهاء حين مسخت القيم في المجتمع وعرف هذا الفعل بالكدية وتحدث عنه الجاحظ وصار للكدية أربابها من المتأدبين والظرفاء يتفننون في فنون الاحتيال والمكر ويعافون العمل؛ لأنه غير مجز وكل هذا عن طريق تمثيلية في شكل موعظة أو خطبة بليغة أو تمثل موقف إنساني(١٠٧).

أشارت المصادر أن لهؤلاء **المتسولين أصنافًا متعددة منها:**

---

(١٠٤) إسماعيل البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، (ملحق كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين، إستانبول، وزارة المعارف، ١٩٤٥)، ١/٢٨٠-٢٨١؛ لطف الله قاري: **مقدمة زهر البساتين**، ص١٨-١٩.

(١٠٥) رمضان ششن: **فهرس المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا**، (إسطنبول، مركز التاريخ والتراث والثقافة والفنون، ١٩٩٧م)، ٨٠٩، ٩٠٢.

(١٠٦) حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ٢/٩٥٨؛ لطف الله قاري: **مقدمة زهر البساتين**، ص٢١، ٢٢.

(١٠٧) إبراهيم مشارة، **ثورة الحريري: مقاماته في بعدها الاجتماعي وامتدادها الأوروبي**، أنفاس للثقافة والإنسان، 22 مايو ٢٠٢٢م.

البهاليل[١٠٨] الكاغانيّ[١٠٩]، المكي[١١٠]، السحري[١١١]، الشجوي[١١٢]، الذرارحي[١١٣]، الحاجور[١١٤]، الخاقاني[١١٥]، السكوت[١١٦]، الكان[١١٧]، المفلفل[١١٨]، زكيم الحبشة[١١٩]، زكيم المرحومة والمكافيف[١٢٠]، القرسي[١٢١]، المشعب[١٢٢]، الفيلور[١٢٣]، الكاخان[١٢٤]،

(١٠٨) البهاليل بني الغر: رؤساء المكدين. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، ي**تيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ٣/ ٤١٨ .

(١٠٩) الذي يتجنن أو يتصارع ويزبد حتى لا يشك أحد في جنونه وأنه لا دواء له لشدة ما ينزل به. البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٣٢٠هـ)، **المحاسن والمساوئ**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م، ١ / ٢٤٧.

(١١٠) وهو الذي يأتيك وعليه سراويل واسع دبيقيّ أو نرسي وفيه تكة أرمنية قد شدّها إلى عنقه فيأتي المسجد فيقول: أنا من مدينة مصر ابن فلان التاجر وجهّني أبي إلى مرو في تجارة ومعي متاع بعشرة آلاف درهم فقطع عليّ الطريق وتركت على هذه الحال ولست أحسن صناعة ولا معي بضاعة وأنا ابن نعمة وقد بقيت ابن حاجة. **البيهقي، المحاسن والمساوئ، ١ / ٢٤٧.**

(١١١) الذي يبكر إلى المساجد من قبل أن يؤذن المؤذن، البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٢) الذي كان يؤثر في يده اليمنى ورجليه حتى يري الناس أنه كان مقيداً مغلولاً ويأخذ بيده تكة فينسجها يوهّمك أنه من الخلديّة وقد حبس في المطبق خمسين سنة، البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٣) الذي يأخذ الذراريح فيشدها في موضع من جسده من أول الليل ويبيت عليه ليلته حتى يتيقظ فيخرج بالغداة عرياناً وقد تنقّط ذلك الموضع وصار فيه القيح الأصفر ويصبّ على ظهره قليل رماد فيوهم الناس أنه محترق. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٤) وهو الذي يأخذ الحلقوم مع الرئة فيدخل الحلقوم في دبره ويشرّح الرئة على فخذه تشريحاً رقيقاً ويذرّ عليه دم الأخوين. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٥) الذي يحتال في وجهه حتى يجعله مثل وجه خاقان ملك الترك ويسوده بالصبر والمداد ويوهّمك أنه ورم. **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٦) هو الذي يوهمك أنه لا يحسن أن يتكلم. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٧) وهو الذي يواضع القاص من أول الليل على أنه يعطيه النصف أو الثلث فيتركه حتى إذا فرغ من الأخذ لنفسه اندفع هو فتكلم، البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٨) الرفيقان يترافقان فإذا دخلا مدينة قصدا أنبل مسجد فيها فيقوم أحدهما في أول الصف فإذا سلم الإمام صاح الذي في آخر الصف بالذي في أول الصف: يا فلان قل لهم. فيقول الآخر: قل لهم أنت أنا أيش. فيقول: قل ويحك ولا تستح. فلا يزالان كذلك وقد علّقا قلوب الناس ينتظرون ما يكون منهما، فإذا علما أنهما قد علقا القلوب تكلما بحوائجهما وقالا: نحن شريكان وكان معنا أحمال برّ كنا حملناها من فسطاط مصر نريد العراق فقطع علينا وقد بقينا على هذه الحال لا نحسن أن نسأل وليست هذه صناعتنا. فيوهمان الناس أنهما قد ماتا من الحياء. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١١٩) الذي يأتيك وعليه درّاعة صوف مضرّبة مشقوقة من خلف وقدّام وعليه خفّ ثغري بلا سراويل يتشبه بالغزاة. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١٢٠) الذي يأتيك وعليه درّاعة صوف مضرّبة مشقوقة من خلف وقدّام وعليه خفّ ثغري بلا سراويل يتشبه بالغزاة. ومنهم زكيم المرحومة المكافيف يجتمعون خمسة وستة وأقل وأكثر وقائدهم يبصر أدنى شيء عينه مثل الخفاش يقال له الاسطيل فهو يدعو وهم يؤمنون. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١٢١) القرسيّ وهو الذي يعصب ساقيه أو ذراعيه عصباً شديداً ويبيت على ذلك ليلة فإذا تورم واحتقن فيه الدم مسحه بشيء من صابون ودم الأخوين وقطر عليه من سمن البقر وأطبق عليه خرقة ثم كشف بعضه فلا يشك من رآه أنه آكلة. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١٢٢) الذي يحتال للصبي حين يولد بأن يزمنه أو يعميه ليسأل به الناس، وربما جاءت أمه أو يجيء أبوه فيتولى ذلك فإما أن يكسبا به أو يكرباه فإن كان عندهما ثقة وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١٢٣) وهو الذي يحتال لخصيتيه حتى يريك أنه آدرّ وربما أراك أن بهما شرطاً أو جرحاً، وربما أراك ذلك في دبره، وتفعل المرأة ذلك بفرجها. البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ١ / ٢٤٧.

(١٢٤) الغلام المكدي: إذا واجر وعليه مسحةٌ من جمال وعمل العملين جميعاً. البيهقي، **مصدر سابق**، ١ / ٢٤٧.

العواء[١٢٥]، الاسطيل[١٢٦]، المزيدي[١٢٧]، المستعرض[١٢٨]، المطين[١٢٩]، المخطراني[١٣٠]، البانوان[١٣١]، المقدس[١٣٢]، المكوز[١٣٣]، المدرع[١٣٤] المقشع[١٣٥]، والمدمع[١٣٦]، المرعس[١٣٧] والمكيس[١٣٨] والمفلس[١٣٩]، الحاجور[١٤٠] وصاحب الكذابات[١٤١]، المشطب[١٤٢] والمركب[١٤٣]، المميسر[١٤٤]، والمخطر[١٤٥]، المناكذ[١٤٦]، الراش[١٤٧] ذُو

---

[١٢٥] الذي يسأل بين المغرب والعشاء ويطرّب في صوته. البيهقي، **مصدر سابق**،، ١ / ٢٤٧.

[١٢٦] وهو المتعامي الذي إن شاء أراك أنه أعمى وإن شاء أراك أنه ممن نزل في عينه الماء وإن شاء أراك أنه لا يبصر. البيهقي، **مصدر سابق**،، ١ / ٢٤٧.

[١٢٧] المزيديّ وهو الذي يدور ومعه دريهمات يقول: هذه دريهمات قد جمعت لي في ثمن قطيفة فزيدوني فيها ورحمكم الله. البيهقي، **مصدر سابق**،، ١ / ٢٤٧.

[١٢٨] الذي يعارضك وهو ذو هيأة في ثياب صالحة يريك أنه يستحيي من المسألة ويخاف أن يراه معرفة فيعرض لك اعتراضاً ويكلمك خفتاً. البيهقي، **المصدر سابق**، ١ / ٢٤٧.

[١٢٩] المطيّن وهو الذي يطيّن نفسه من قرنه إلى قدمه ويأخذ البلاذر يريك أنه يأكل البلاذر.، **المصدر سابق**، ١ / ٢٤٧.

[١٣٠] المخطراني: الذي يأتيك في زيّ ناسك، ويريك أن بابك قدقوّر لسانه من أصله لأنه كان مؤذنا هناك. ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب، فلا ترى له لسانا البتة. ولسانه في الحقيقة كلسان الثور. **الجاحظ، البخلاء**، ١/ ٧٩.

[١٣١] البانوان: الذي يقف على الباب ويسل الغلق، ويقول: بانوا. وتفسير ذلك بالعربية: يا مولاي. أو بالفارسية: منقطع مسكين، وقد تكون ذات دلالة على بعض الفرق الصوفية. الجاحظ، **البخلاء**، ١/ ٧٩ ؛ أحمد الحسين، **أدب الكدية**، ص ٤٨.

[١٣٢] والمقدّس: الذي يقف على الميّت يسأل في كفنه. ويقف في طريق مكّة على الحمار الميّت، والبعير الميت فيدعي أنه كان له، ويزعم أنه قد أحصر. وقد تعلّم لغة الخراسانية واليمانية والإفريقية، وتعرّف تلك المدن والسكك والرجال. وهو، متى شاء كان أفريقيا، ومتى شاء كان من أهل فرغانة، ومتى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء. الجاحظ، **البخلاء**، ١/ ٨١.

[١٣٣] المكوز هُوَ الَّذِي يقوم فِي مجَالِس الْقصاص فيأمر الْقَاص أَصْحَابه بإعطائه ثمَّ إِذا تفَرقُوا تقاسموا مَا أَعْطوهُ. أبو منصور الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤١٨.

[١٣٤] درع إِذا جَاءَ الهراس وَطلب قَصْعَة من الهريسة فَإِذا أعطَاهُ إِيَّاهَا لحسها، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٣٥] قشع إِذا مَشى وعينه إِلَى الأَرْض لطلب الْقطع. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٣٦] دمع إِذا بَكَى فِي الْأَسْوَاق عِنْد الْبرد حَتَّى يعْطى. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٣٧] رعس إِذا طَاف على حوانيت الباعة فَأخذ من هُنَا جوزة وَمن هُنَا تَمْرَة وتبنة، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٣٨] كبس إِذا دَار فَإِذا نظر إِلَى رجل قد حل سفتجته كبسه وَأخذ مِنْهُ قِطْعَة، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٣٩] غلس إِذا خرج إِلَى الكدية بِغَلَس أي بسحر، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٤٠] حاجور وكذابات: أهل الْأَوْجه الصفر، الحاجور الَّذِي يثقب بَيْضَة ويجعلها فِي حجره وَهِي تسيل مَاء أصفر. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

[١٤١] الكذابات العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون انهم مرضى، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

(١٤٢) شطب إِذا عقر نَفسه بِالْمُوسَى وَجعل يكذب على الْأَعْرَاب والأكراد واللصوص. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٨ .

(١٤٣) ركب إِذا طلى جِسْمه بالشيرج حَتَّى يسود جلده وأوهم أَنه جلد أَو لطمته الْجِنّ لَيْلًا. **المصدر سابق** ،٣/ ٤١٨ .

[١٤٤] ميسر إِذا كدى على أَنه من الثغر وَيُقَال لَهُ الميسراني، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٤٥] مخطر إِذا بلع لِسَانه وأوهم أَن الصليبيين قطعوه، الثعالبي، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩. بتصرف.

[١٤٦] المناكذة أَن يتقاسموا مَا يأخذونه من الثِّيَاب وَالسِّلَاح بعلة الْغَزْو والقينون مَوضِع الْقِسْمَة أَبُو شمر أول من كدى بعلة الْغُزَاة، الثعالبي، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٤٧] رش إِذا كدى بعلة مَاء الْوَرْد يرشه على النَّاس. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

المكوى[١٤٨]، والمدرمك[١٤٩]، المدكك[١٥٠] الفكك[١٥١]، البلفك[١٥٢]، القاص[١٥٣]، المبشرك[١٥٤] نوذك[١٥٥]، أشرك بالهبر[١٥٦]، المقدس[١٥٧]، المنمس[١٥٨]، المشولس[١٥٩]، العشيريون[١٦٠]، المصطبانيون[١٦١]، الميزق[١٦٢] المطراش، والمكلوذ[١٦٣]، زمكدان[١٦٤]، أهل المدرجة[١٦٥]، القناءون[١٦٦]، السقاة[١٦٧]، الولاء[١٦٨]، المطفشل[١٦٩]، المزنكل[١٧٠] المسطل[١٧١]وأصحاب

---

[١٤٨] ذُو المكوى الَّذِي يبخر النَّاس. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٤٩] درمك إذا بَاعَ الْعطر على الطَّرِيق. **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩

[١٥٠] المدكك الَّذِي يخرج اللوى من الْعِصْبَان ويحتال على من بِهِ وجع الضرس حَتَّى يَجْعَل دود الْجُبْن فِيمَا بَين أَسْنَانه ثمَّ يخرج ويوهم أَنه أخرجه بالرقية . بلعك إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرَّقِيق، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥١] فكك إذا فك السلَاسِل على الطّرق، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥٢] بلعك إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرَّقِيق، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥٣] من قصّ هُوَ الَّذِي يروي الحَدِيث عَن الْأَنْبِيَاء والحكايات الْقصار وَيُقَال لَهَا الشبريات، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥٤] بشرك تزيا بزِي الرهبان تزهدا، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥٥] نوذك إذا كدي على أَنه من الْحجَّاج، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥٦] أشرك بالهبر إِذا قَاسم شركاءه مَا يَأْخُذهُ، **المصدر سابق**، ٣/ ٤١٩.

[١٥٧] قدس إِذا أكل الكبد المطحونة المجففة فِي شهر رَمَضَان خَاصَّة وأوهم أَنه يطوي وَلَا يفْطر فِي الشَّهْر إِلَّا مرّة أَو مرَّتَيْنِ، **المصدر سابق**، ٣/ ٤٢٠.

(١٥٨) نمس من الناموس، **المصدر سابق**، ٣/ ٤٢٠.

(١٥٩) شولس من الشالوسة وهم الزهاد يكدون بلباس الشّعْر، **المصدر سابق**، ٣/ ٤٢٠.

(١٦٠) العشيريون: بَنو الحملة وَالْكر، الَّذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون. **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

(١٦١) المصطبانيون قوم يَزْعمُونَ أَنهم خَرجُوا من بلاد الفرنج والرّوم وَتركُوا أَمَاليهمْ رهائن عِنْدهم فطافوا الْبِلَاد ليجمعوا مَا يفكونهم بِهِ وَتَكون مَعَهم شُعُورهمْ وَيُقَال لذَلِك الشّعْر المصطبان. **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

[١٦٢] ميزق: كدى تسول، **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

[١٦٣] المطراش الَّذِي مَعَه يَده يكدى عَلَيْهَا وَيُقَال الْيَد المقطوعة المكلوذة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

[١٦٤] زمكدان: محدوب الظّهْر، **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

[١٦٥] المدرجة هَؤُلَاءِ قوم يَقْعُدُونَ وينامون فِي السكَك والأسواق على طَرِيق لمارة ومدرجة الرّيَاح فتعلوهم غبرة التُّرَاب حَتَّى يرحموا ويعطوا، **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

[١٦٦] القناء الَّذِي يقْرَأ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل ويوهم أَنه كَانَ يَهُودِيّا أَو نَصْرَانِيّا فَأسلم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٠.

[١٦٧] وَمن سَاق هَؤُلَاءِ قوم يسقون النَّاس المَاء. الثعالبي، يتيمة الدهر فِي محاسن أهل العصر، ٣/ ٤٢١.

[١٦٨] الولا أَن يقف فَيَقُول أَنا الْمولى الأبطحي وَمِنْهُم من يكون مَعَه قَوس عَرَبِيَّة وَأول من فعل ذَلِك فِي الْحَضَر أَبُو حجر، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

[١٦٩] طفشل إِذا علق لِسَانه وتشبه بالأعراب، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

[١٧٠] زنكل إِذا احتال فِي سلبهم، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧١) سطل إِذا تعامى وَهُوَ بَصِير يُقَال للأعمى الإسطيل، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

الشغاثات[١٧٢]، المدشش[١٧٣] والمرشش[١٧٤]، المقشقش[١٧٥]، الزناق[١٧٦] والخناق[١٧٧]، الزلاق[١٧٨]، المستعشون[١٧٩]، المشددون[١٨٠]، والمرمدون[١٨١]، الذين يزرعون في الهادور[١٨٢]، القشقاش[١٨٣]، التنبل[١٨٤] المقنون أو القنانون[١٨٥]، والمبنون[١٨٦]، والمطين[١٨٧]، منفذو الطين[١٨٨]، المشقف[١٨٩]، المكدون بمذهب الكيسانية[١٩٠]،

(١٧٢) زقى: صلى، الشغاثات: الْمَسَاجِد وَاحِدهَا شغاثة يكدون فِيهَا إِذا صلى النَّاس، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٣) دشش إِذا جعل فِي استه شبه حَشْو كحقنة وينام على الطَّرِيق وَيخرج من استه كالدشيشة، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٤) رشش إِذا كَانَت مَعَه مبولة مَعَ خصاه فَإِذا جَاءَهُ الْبَوْل رششه على النَّاس وَيُقَال لَهُ المرشش، الثعالبي، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٥) قشش إِذا فسا فِي الْمَسَاجِد فَيَتَأَذَّى بِهِ المصلون فيعطونه حَتَّى يخرج، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٦) يزنق يثقب فِي بدنه ثقبة وينفخ فِيهَا حَتَّى يتورم بدنه، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٧) يخنق يصنع المنديل فِي رَقَبَة نَفسه ويفتله حَتَّى ينتفخ رَأسه وَوَجهه، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٨) يذلق يمشي عُرْيَان الأست، **نفسه**، ٣/ ٤٢١.

(١٧٩) مستعش قوم يدورون على أبوابا الدّور فِيمَا بَين العشاءين وَيَقُولُونَ: رحم الله من عشى الْغَرِيب الجائع وينعرون بذلك حَتَّى يَأْخُذُوا من كل دَار كسرة ويرجعوا بهَا، **نفسه**، ٣/ ٤٢١، ٤٢٢.

(١٨٠) وَمن شدد قوم يكون مَعَهم دفاتر حَدِيث يروونها ويشددون على النَّاس فِي اللواط وَشرب الْخمر، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨١) وهم الذين يدخلون الْقصر و (هُوَ الأتون) يدْخلهُ الْوَاحِد من الْقَوْم فيطرح نَفسه فِي الرماد ثمَّ يخرج وَعَلِيهِ غبرة الرماد ويوهم أَنه آوى إِلَيْهِ من شدَّة الْبرد وَعدم الملبوس، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٢) وَمن يزرع فِي الهادور قوم ينظرُونَ فِي الفال والزجر والنجوم ويعطون قوما دَارهم حَتَّى يأتوهم ويسألوهم عَن نجمهم وَعَما هم فِيهِ فينظروا لَهُم ثمَّ يردون الدَّرَاهِم عَلَيْهِ وَرُبمَا أخذوها وَقَالُوا لَا نأخذها لِأَن نجمك مَا خرج كَمَا تريده، والهادور: كَلَام الْحلقَة الَّتِي يجْتَمع النَّاس عَلَيْهَا والتكسيح الممانعة.، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٣) القشقاش: أَي رَأْوَهُ وَهُوَ الشَّيْخ الطَّوِيل اللِّحْيَة ذُو الزّجر الْعَالم المتقشف الْوَرع، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٤) التنبل هُوَ الأبله الَّذِي يقبل المخاريق على نَفسه ويغتر بِمَا يُورد المنجم عَلَيْهِ فَيخرج هُوَ أَيْضا دَرَاهِمه طَمَعا فِي ردهَا فيأخذها مِنْهُ ويسخر بِهِ، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٥) المقنون: هُوَ الَّذِي يَقُول كَانَ أبي نَصْرَانِيًا وَأمي يَهُودِيَّة وَإِن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم جَاءَنِي فِي النّوم وَقَالَ لَا تغتر بدين أَبَوَيْك وَاتبع ملتي فَأسْلمت، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٦) بنُون إِذا انتسب إِلَى البانوانية وهم الشطار وَقَالَ كنت مَحْبُوسًا فاحتلت بِكَذَا حَتَّى خرجت، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٧) طين إِذا طين وَجهه وساعديه بطين الْحمرَة وروى الْأَشْعَار على رُؤُوس الأشهاد فِي الْأَسْوَاق، **نفسه**، ٣/ ٤٢٢.

(١٨٨) منفذ الطين قوم يخضبون لحاهم بِالْحِنَّاءِ وَيدعونَ أَنهم شيعَة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أَنَّهَا من قبر الْحُسَيْن بن عَليّ رَضِي الله عَنْهُمَا فيتحفون بهَا الشِّيعَة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٣.

(١٨٩) المشقف هُوَ الَّذِي يَأْخُذ مَاء النوشادر فَيكْتب بهَا الرّقاع وَيتْرك بَين يَدَيْهِ فَإِذا مر بِهِ الأبله قَالَ لَهُ جرب بختك وَخذ رقْعَة من هَذِه فيأخذها ثمَّ يُعْطِيهِ إِيَّاهَا فيقذفها فِي النَّار فَيظْهر الْمَكْتُوب أسود وَقد يعْمل هَذَا الْجِنْس بِمَاء العفص فَإِذا غمس فِي مَاء الزاج خرج أسود وَيُقَال للرقعة الشقيفة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٣.

(١٩٠) كيسَان: قوم عرفُوا قوما من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ويكدون عَلَيْهِم بِالْمذهبِ، **نفسه**، ٣/ ٤٢٣.

النائحون[١٩١]، المضربون في حب علي وأبي بكر[١٩٢]، راوو الأسانيد[١٩٣]، الممرورون[١٩٤]، المكحلون[١٩٥]، الجبارون[١٩٦]، جرار العيالات[١٩٧] صاحب سبحات[١٩٨]، حافر الطرس[١٩٩]، البركوش[٢٠٠] والبركك[٢٠١]، المقرمط[٢٠٢]، والمسرمط[٢٠٣]، والحراقون[٢٠٤] والبزاقون[٢٠٥] والزكارون[٢٠٦]، المدهشم[٢٠٧]، المعافرون والزنكلة[٢٠٨]، والشاري عش رضوان[٢٠٩]،

---

[١٩١] والنائح المبكي: قوم ينوحون على الْحُسَيْن بن عَليّ ويروون الْأَشْعَار فِي فضائله ومراثيه رَضِي الله عَنهُ، **نفسه**، ٣/ ٤٢٣.

[١٩٢] من ضرب فِي حب قوم يحْضرُون الْأَسْوَاق فيقف وَاحِد جانبا ويروي فَضَائِل أبي بكر رَضِي الله عَنهُ وَيقف الآخر جانبا ويروي فَضَائِل عَليّ رَضِي الله عَنهُ فَلَا يفوتهما دِرْهَم الناصبي والشيعي ثمَّ يتقاسمان الدَّرَاهِم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٣.

[١٩٣] وَمن يروي الْأَسَانِيد هَؤُلَاءِ قوم يروون الْأَحَادِيث على قوارع الطّرق، **نفسه**، ٣/ ٤٢٣.

[١٩٤] قوم يلبسُونَ الثِّيَاب المخرقة ويحلقون لحاهم ويوهمون أنهم موسوسون وَأَن المرار غلب عَلَيْهِم فيروون مَا يُرِيدُونَ من فَضَائِل أهل الْبَيْت وينسبهم الْعَامَّة إِلَى الْجُنُون فَلَا يؤاخذونهم بِمَا يَقُولُونَ وَيَأْخُذُونَ من الشِّيعَة مَا يُرِيدُونَ، **نفسه**، ٣/ ٤٢٤.

[١٩٥] المكحلون: هُوَ الَّذِي مَعَه قطنة مغموسة فِي الزَّيْت يمرها على عَيْنَيْهِ لتدمع وَيَأْخُذ فِي شكاية حَاله واستعراض النَّاس فِي مَسْأَلته وَذكر قصَّته وَأَنه قطع عَلَيْهِ الطَّرِيق أَو غصب على مَاله والمستعرضون أمهر الْقَوْم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٤.

[١٩٦] كل جَبَّار هُوَ الَّذِي يقف فِي الْمقَام قَائِما أَو قَاعِدا وَلَا يبرح أَو يَأْخُذ مَا يُرِيد، **نفسه**، ٣/ ٤٢٤.

[١٩٧] جرار عيالات: هُوَ الَّذِي يكتري الصّبيان وَالنِّسَاء ويكدي عَلَيْهِم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٤.

[١٩٨] وَمن ينفذ سبحات هُوَ الَّذِي يطْرَح على أبْوَاب الحوانيت السبحات وأقراص الْحَلْوَى فَمنهمْ من يُعْطي وَيرد عَلَيْهِ وَمِنْهُم من يلقِي الْملح وَيُقَال للملح أَبُو شكر، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[١٩٩] حافر الطرس هُوَ الَّذِي يحْفر القوالب للتعاويذ فيشتريها مِنْهُ قوم أُمِّيُّونَ لَا يَكْتُبُونَ وَقد يحفظ البَائِع النقش الَّذِي عَلَيْهِ فَينفذ التعاويذ إِلَى النَّاس ويوهم أَنه كتبهَا وَيُقَال للقالب الطرس، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٠] بركوش: هُوَ الَّذِي يتصامم وَيَقُول للْإِنْسَان تكلم على هَذَا الْخَاتم بِاسْمِك وَاسم أَبِيك فَيسمع مَا يَقُول وينبئه بِهِ، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠١] بركك هُوَ الَّذِي يقْلع الأضراس ويداوي مِنْهَا والهالك الدَّوَاء والجزر الْبَصَر وَيُقَال للعين الجزارة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٢] قرمط هُوَ الَّذِي يكْتب التعاويذ بالدقيق والجليل من الْخط، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٣] وسرمط كتب والسرماط الْكتاب، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٤] الحراق الَّذِي تكون مَعَه مرْآة تشعل مِنْهَا النَّار وَتسَمى حراقة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٥] البزاق: الَّذِي يرقي المجانين وَأَصْحَاب العاهات ويتفل عَلَيْهِم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٦] الزكار: الذي يكدى على الْأَبْوَاب وَهُوَ من أجلائهم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٥.

[٢٠٧] من دهشم مخرق وموه بِأَنَّهُ صَائِم والكرش الصَّوْم والجوع أَيْضا وَيكون قد أكل فِي منزله فَإِذا عَطش نزل فِي النَّهر بعلة الإستبراد وَشرب مَا أَرَادَ، **نفسه**، ٣/ ٤٢٦.

[٢٠٨] الزنكلة والعفر وَاحِد وهم المعافرون يَأْخُذُونَ الحجيج ويضمنون الْجنَّة، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٢٦؛ ابن دانيال، **طيف الخيال**، ص ١٩٥.

[٢٠٩] هو الذي يَقُول: إِن لم أحج عَنْك فحظي من الْجنَّة وقف عَلَيْك اللَّهُمَّ اشْهَدْ بشرَاء البيع والعش الْبَيْت يُرِيد بِهِ الْجنَّة، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٢٦.

والمحنن[٢١٠]، الهفصويون[٢١١]، أصحاب ابن سيرين[٢١٢]، الشكاكون[٢١٣] والحكاكون[٢١٤] ومعطو بلح الأجر[٢١٥]، المسمقون على الصبيان[٢١٦]، المربون للصبيان[٢١٧]، متعاطو التنجيم[٢١٨]، العاملون بالجفر[٢١٩]، البشتداريون[٢٢٠]، أصحاب المرق[٢٢١]، المراسون[٢٢٢] النطاسون[٢٢٣]، الإسطيل[٢٢٤] القرادون[٢٢٥]، دكاك السفوفات[٢٢٦]، الخلنجي[٢٢٧]، المدلجون[٢٢٨]، طاحن الزجاج بأسنانه[٢٢٩] مطلي دم الأخوين[٢٣٠]، أصحاب الشورز[٢٣١]،

---

[٢١٠] هُوَ الَّذِي يخضب كفيه بِالْحِنَّاءِ وحف شَارِبه فيتركه كالطست المجلوة وَكالحر المنتوف فيدعى أَنه من الصُّوفِيَّة الْعلمَاء الزهاد فيتشبث بِهِ لذَلِك، **المصدر السابق**، ٣/ ٤٢٦.

[٢١١] الَّذين سماهم قوم نبط وعجم يكدون وَلَا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٦.

[٢١٢] وَمن كَانَ على رَأْي ابْن سِيرِين هَؤُلَاءِ من البصراء يعبرون الرُّؤْيَا ويكدون من هَذِه الْجِهَة، **نفسه**، ٣/ ٤٢٦.

[٢١٣] الشكاك الَّذِي يَبِيع دَوَاء الفار واسْمه الشَّك، **نفسه**، ٣/ ٤٢٦.

[٢١٤] والحكاك الَّذِي يكون مَعَه حِجَارَة مخْمُولَة من در بند يظْهر فِيهَا الْحَدِيد من الدارهم وَالدَّنَانِير يُقَال للْوَاحِد مِنْهَا المحك بلح، **نفسه**، ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧.

[٢١٥] بلح الْأَجر هُوَ السبح الَّتِي تحمل من الْجَبَل يُقَال لَهَا دموع دَاوُد عَلَيْهِ وعَلى نَبينَا أفضل الصَّلَاة وَأتم السَّلَام، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢١٦] سمقون الصَّبِي الَّذِي يَأْخُذ بيد الضَّرِير يُوهم أَنه ابْنه والسرمل الْقَمِيص المخرق، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢١٧] وَمن ربى هَؤُلَاءِ قوم شطار يَقُولُونَ بالصاحب والغلام فيربون الصّبيان، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢١٨] وقافة الرزق قوم يتعاطون التنجيم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢١٩] الجفر الَّذِي يكون بَين أَيْديهم على هَيْئَة الْفلك يَدُور، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢٢٠] البشتداريون، قوم يستأجرهم المكدون الَّذين يخرجُون إِلَى الْقرى فيحملون رحالاتهم وَمَا يجمعُونَ بهَا من الْحَبّ وَالصُّوف وَغَيره، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢٢١] وَمن مرق يطبخون المرق فِي دَار الْقَوْم فيبيعونها من المرضى والضعفاء مِنْهُم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢٢٢] المراس، الحواء مَعَه سلال فِيهَا حيات، **نفسه**، ٣/ ٤٢٧.

[٢٢٣] النطاس، الْقوي الْقلب من الدستكاريين تراهم على الدَّوَابّ وَمَعَهُمْ الكلاليب والمباضع يداوون الرمدى وَغَيرهم من الأعلال والبزرك الْمَوَاضِع، **نفسه**، ٣/ ٤٢٨.

[٢٢٤] الإسطيل، الْأَعْمَى، **نفسه**، ٣/ ٤٢٨.

[٢٢٥] القرادون، وَمن قرد أَو دبب هم الَّذين يكدون على الدببة وَالسِّبَاع والقردة، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٢٩.

[٢٢٦] **دكاك السفوفات**، الدكاك الَّذِي يرقى من القولنج وَيكون مَعَه حب مَصْنُوع يحتال حَتَّى يبلعه العليل فيزعم أَنه نخل بالرقية، الثعالبي، **المصدر السابق**، ٣/ ٤٢٩.

[٢٢٧] **الخلنجي**، الَّذِي يخرى وَلَا يغسل أسته مَا حاضوا أَي مَا تطهروا، فيعطيه الناس دراهم ؛ حتى يبتعد عنهم أو عن المسجد. الثعالبي، **نفسه**، ٣/ ٤٣٤.

[٢٢٨] **المدلج**، هو الَّذِي يَأْخُذ حَاجته من الْبَقَّال والجبان وَيحصل عَلَيْهِ أُجْرَة الشَّهْر لبيته فيهرب لَيْلًا ويفوز بِمَا يلْزمه أَدَاؤُهُ، الثعالبي، **نفسه**، ٣/ ٤٢٩.

[٢٢٩] طاحن الزجاج بأسنانه، هم الَّذين يطحنون النَّوَى وَالْحَدِيد والزجاج بِأَيْدِيهِم وأضراسهم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٩.

[٢٣٠] مطلي دم الْأَخ هم الَّذين يضْربُونَ دم الْأَخَوَيْنِ والكثيراء والصموغ وينفخونها على أَجْسَادهم فَتخرج بهم بثور يمرضون مِنْهَا فيكدون، **نفسه**، ٣/ ٤٢٩.

[٢٣١] الشورز: الفتى الْأَمْرَد ويلذ يَدُور بِهِ الْعَرَب من المكدين فيؤدبه وَيَقُول هَذِه الفتوة وَلَا يجوز أَن تكون وَحدك فإمَّا أَن تصير غُلَاما لِأَحَدِنَا وَإِمَّا أَن تخرج من دَار الفتيان فَإِذا صَار مَعَ أحدهم طبخ لَهُ قدر الدسكرة وَيُقَال للقدر بِمَا فِيهَا الخشبوب)طعام مخدر) لسرقتهم، **نفسه**، ٣/ ٤٢٩، ٤٣٠.

المشقاع اللغر[٢٣٢]، بَنو التضريب[٢٣٣] سعفة الريح[٢٣٤]، ذُو الْقَصعَة والمسراد[٢٣٥]، أصحاب علافة[٢٣٦]، الصَّقْر[٢٣٧] والمكبن[٢٣٨]، المزلق[٢٣٩]، العسوم[٢٤٠] الخارجون باليابس[٢٤١] ،أَصْحَاب الشقاعات[٢٤٢]، أَصْحَاب التجافيف[٢٤٣]، الإسطيل[٢٤٤]، جامعو المشاميل والقنابر[٢٤٥]. أصحاب الببربازار، والقفيا[٢٤٦].

وتلك الأصناف المتعددة من المتسولين التي وردت في المصادر المتنوعة تؤكد أنَّ هذه الحِيَل لم تمرَّ علىٰ الوعي دون استجابةٍ يقظةٍ وانتباهٍ واعٍ بدور هذه الطائفة في التأثير علىٰ المجتمع. والصفات التي توارثها المتسولون في كل عصر وسادوا في المجتمع المصري طويلا محتالين لعيشهم بشتى الاحتيالات وأنواع الأساليب، حتى يومنا هذا[٢٤٧]. وأن هذه الكتابات بمنزلة شاهد علىٰ ذهنية المجتمع العربي، بخاصة في فترات التأزم الحضاري، وهي بذلك تُعَدُّ مجالًا مهمًّا لدراسة هذه الذهنية التي تتطلب سلاحًا نقديًّا ثاقبًا.

---

[٢٣٢] المشقاع: المتسول الأرعن الَّذِي يكتري الثِّيَاب الْبيض ويلبسها (واللغر) هم السّفل من النَّاس، **نفسه**، ٣/ ٤٣٠.

[٢٣٣] قوم لَيْسَ لَهُم عمل إِلَّا جمع الْخرق مَعَهم فهم أبدا فِي رتق أَو فتق، **نفسه**، ٣/ ٤٣٣.

[٢٣٤] سعفة الرّيح: قوم يرعدون رعدة شَدِيدَة تهتز لَهَا مفاصلهم وتصطك أسنانهم وَيَقُول أحدهم إِنَّه قتل سنورا أَو كَلْبا فلطمته الْجِنّ، ويعطف عليهم الناس بالأموال والطعام، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٣٠.

[٢٣٥] ذُو الْقَصعَة والمسراد هَؤُلَاءِ قوم ينخلون التُّرَاب فِي الطّرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الْأَسْوَاق بِالْمَاءِ وَيخرجُونَ إِلَى البيادر فليقطون القصى وَهُوَ مَا بَقِي فِي السنبل من الْحَبّ بعد أَن يداس، **نفسه**، ٣/ ٤٣١.

[٢٣٦] علافة هَذِه امْرَأَة تَتَزَوَّج بِمن يحسن أَن يكدي فيشد يَدهَا مجْمُوعَة الْأَصَابِع ويدى أَنَّهَا مَقْطُوعَة وَيُسمى الباز وَرُبمَا عوجها كَأَنَّهَا مفلوجة، **نفسه**، ٣/ ٤٣١.

[٢٣٧] الصقر: هُوَ أَن يشد عينيها وَيَقُول إِنَّهَا رمدى أَو عوراء وَيُقَال لَهَا أَيْضا النعلة، **نفسه**، ٣/ ٤٣١.

[٢٣٨] كبن إذا تغوط وكان يظْهر الْوَرع والزهد فَإِذا خلا الْمَسْجِد وَأَخذه الْبَطن يخرى تَحت السارية أَو خلف المنارة وَيَمْسَح استه بالمذقان وَهُوَ الْمِحْرَاب، وهذا صنف من المتسولين المكدين الذين يترددون على المسجد بقصد الاستجداء ويظهرون للناس الزهد والورع الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٣١؛ طه هاشم الدليمي،: **المكدون في التراث العربي**، ص ١٠٣ – ١١٨.

[٢٣٩] المزلق: يُرِيد هَؤُلَاءِ العراة الْوَاحِد مزلق يصيحون بآمين من الْأَسْوَاق، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٣٢.

[٢٤٠] العسوم: المفلوج أو المشلول، **المصـــدر السابق**، ٣/ ٤٣٢.

[٢٤١] قوم يخرجُون فِي أَيَّام الأعياد إِلَى الْمصلى عُرَاة حُفَاة يكدون، **نفسه**، ٣/ ٤٣٢.

[٢٤٢] الشقاعات جمع شقاع: يدورون فِي الْمَوَاضِع ويبسطون الشقاع وَيصلونَ عَلَيْهَا وَلَا يأوون إِلَى مَوضِع فَلهَذَا يُقَال لَهُم المشاطح لِأَن المشطح هُوَ الَّذِي يطوف دائبا لَا يفتر، **نفسه**، ٣/ ٤٣٢.

[٢٤٣] أَصْحَاب التجافيف قوم يأوون الْمَسَاجِد عَلَيْهِم مرقعات كالتجافيف بَعْضهَا مركبة فَوق بعض يُقَال لَهُم الثاملة الصَّبْر لصبرهم على شدَّة فَقرهمْ. **نفسه**، ٣/ ٤٣٢.

[٢٤٤] الإسطيل الْجَامِع والكدة الْمَرْأَة الَّتِي تسْأَل النَّاس وَمَعَهَا زَوجهَا فِي الْجَامِع، **نفسه**، ٣/ ٤٣٣.

(٢٤٥) المشاميل: رغفان الخبز، وَاحِدهَا مشمول، والقنابر: جمع قنبرة وَهُوَ الكسرة من الْخبز، **نفسه**، ٣/ ٤٣٣.

(٢٤٦) ببرازار متنوع، والقفيا: خبز السَّبِيل الَّذِي يجريه الأعلاء على الْفُقَرَاء والضعفاء فَيكون لَهُم رجل مجْرى، **نفسه**، ٣/ ٤٣٢.

[٢٤٧] طه الدليمي: **المكدون في التراث العربي**، ص١١٣

ـ أصحاب العاهات

الحديث عن المرض في العصر المملوكي و عدم القدرة على شراء الدواء نجد العجزة وأصحاب العاهات الذين كان يُقذف بهم إلى قارعة الطريق ليفترشوا الأرض ويستجدوا عطف الآخرين وبعضهم عاهاته حقيقية والآخر منهم يمتهن صناعة العاهات. وهؤلاء بعاهاتهم الحقيقية أو المصطنعة يتقنون فن التمثيل والاستعطاف وهم بارعون في مهنتهم وتسمح السلطات لهم بالشحاتة [٢٤٨] في كل الأماكن المزدحمة لا نبرح مكانًا إلا وتجد فيه "رجل فقير مقطوع اليد" [٢٤٩]، أو أقرع أو أعور أو مكتوع الأيدي" [٢٥٠] وآخر مقطوع اليد والرجلين بباب القلعة [٢٥١] وهم بارعون في فن الاستعطاف بقصص استعطاف صحية مختلقة "فرُسم لغالبهم بدينار، ورُسم لشخص مقطوع الرجلين بثلاثة دنانير" [٢٥٢].

غالباً ما تجد في المهمش العناصر الأكثر فاعلية والتي تعكس تفاعلات المركز، لكنها أيضاً كثيراً ما تغيب عن ملاحظة الكثيرين. إن مصائر الشعوب تحدده التفاعلات التي تحدث في قاع المجتمع وهوامشه، حيث يقبع الفقر والشقاء والحرمان وبؤس الحياة. هناك تجد المهمشين وبينهم الكثير من المبدعين والمتفوقين في مجال الأدب والفن والفكر، لم يجدوا مكاناً لهم في أطر مجتمعية تغلب عليها مظاهر الخداع والزيف والنفاق والانتهازية. هؤلاء المهمشين يتكاثرون في وجود أنظمة معظمها قائم على الاستبداد والقهر وتحالف السلطة السياسية مع رأس المال الفاسد، في غياب بعد الحكم الرشيد والتطور التنموي، وإعلاء ثقافة المداهنة والتزلف والمحسوبية[٢٥٣]مع أخذ الناس بالشبهات والوشايات ومصادرة أموالهم دون ذنب اقترفوه[٢٥٤]، ومن ثم انزلاقهم إلى هوة الفقر[٢٥٥]، فكان التسول في أماكن عامة مثل المساجد والأسواق والشوارع الرئيسية كان بديلا شائعًا ومنطقيًا.

---

[٢٤٨] ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ١٨٤.

[٢٤٩] **سيرة علي الزيبق**، ١/ ٣٣٢.

[٢٥٠] **المصدر السابق**، ١/ ٣٣٢.

(٢٥١) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ٤٢٥.

(٢٥٢) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ٣٧٩.

(٢٥٣) حسن العاصي، **الحريق الكبير المهمشون قادمون**، أنفاس للثقافة ،تونس ٢٠١٩م.

[٢٥٤] الشعراني، عبد الوهاب، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، تحقيق، أحمد فريد، دار الكرز، القاهرة ٢٠١٢،ص ٢٧٢، ٣٤٦.

(٢٥٥) البيومي إسماعيل، **مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٣٣٣.

وشُوهد عدد من أمراء الألوف في أيام الأشرف شعبان، وقبيل السلطان برقوق سنة ٧٤٨هـ / ١٣٨٢م قد افتقروا ولبسوا عباءات الصوف، وصاروا يسألون الناس [٢٥٦]، وأن التاجر الذي باع الأمير (بيليك بن عبد الله الظاهري الخازندار، الأمير بدر الدين، نائب السلطنة بالديار المصرية، ومقدم الجيوش بها.) للظاهر بيبرس كان من أعيان التجار، إلا أنه افتقر في آخر أيامه وانضم للمتسولين [٢٥٧]، وكذلك ابن الصيقل الحراني كان من التجار المعروفين كأخيه، ثم افتقر. [٢٥٨]، وفي ذكر من مات في سنة ثلاث وثمانمائة من الأعيان يشير ابن حجر (المتوفى: ٨٥٢هـ) إلى أحد المثقفين كان يهوى اقتناء الكتب النفيسة، "وطلب بنفسه النفائس فحصل كثيراً من الأجزاء والكتب وتمهر قليلاً ثم افتقر وانخمل، كان حسن المذاكرة لكنه عانى الكدية واستطابها وصار زري الملبس والهيئة، مات في وسط السنة وتمزقت كتبه مع كثرتها" [٢٥٩]. يرشدنا ابن حجر إلى "أحد أولاد الأغنياء ورث مالاً جزيلاً فأنفقه في الخيرات ثم افتقر فصار يكدى بالأوراق وينظم البيتين في ذلك أحياناً وكان يعاشر الرؤساء" [٢٦٠]. وصيرفي كان في الديوان ثم درس العلوم الفقهية ولازم الشيوخ وعاش في بداية حياته ثريًا إلا انه افتقر بعد ذلك، وصاريتكسب من نسخ كتب كبار العلماء والمشايخ والمؤرخين ككتب بن حجر وابن تغري بردي [٢٦١].

ونسمع عن العطار علاء الدين، كان من بيت الرواية والفضل، وكان لما كبر نزل الحانوت وافتقر، ولو أسمع على قدر سنه لكان من أعلى أهل عصره إسناداً"[٢٦٢]. وتشير المصادر إلى الخطاط "على ابن الشحنة، وكان مليح الخط، باشر بالجامع وغيره، وكان أمثل من ولي الحسبة في هذه الأعصار، وباشر قضاء العسكر للحنفية ثم ركبه الدين وافتقر، وسأل الناس"[٢٦٣].

---

(٢٥٦) المقريزي، **السلوك**، ٥/ ١٤٣؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٥.

(٢٥٧) ابن تغري **بردي**، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ٣/ ٥١٣؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٢٢١؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٥.

(٢٥٨) ابن تغري بردي، **المصدر السابق**، ٧/ ٢٨٢.

(٢٥٩) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**،٢/ ١٥٦.

(٢٦٠) **المصدر السابق** ،٢/ ٢٧٥.

(٢٦١) ابن إياس، **بدائع** ٣/ ٤٥، ٤٦؛ عامر نجيب، **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي**، ص٢٢

(٢٦٢) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**،٢/ ٢٤٨.

(٢٦٣) **المصدر السابق**،١/ ٣٠٩.

وتكيف على واقع يعيشه ويقبله، بل ويدافع عنه أحيانًا حفاظًا على الحد الأدنى من الحياة وفقًا لنظرية ثقافة الفقر لاوسكار لويس[٢٦٤]، ومن الشخصيات العليا التي انضمت إلى المتسولين والفقراء ابن الصاحب علم الدين أحمد بن الصاحب صفي الدين يوسف بن عبد الله بن شكر المصري الفقير المجرد (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م)، وكان في بداية حياته قد اشتغل ودرس، وتميز بأنه صاحب فضيلة وذكاء، وحسن تصور[٢٦٥]، وكذلك الاستادار يحيى بن عبد الرزاق الأمير الأشقر، الذي صودر تسع عشرة مرة حتى احتاج وباع حوائج بيته وقماش خيوله وأملاكه حتى لزم باب داره على أقبح صورة يدعي الفقر ويطلب المعونة[٢٦٦] وأشار العبدري إلى شاعر مصري كان يتسول ويصيح:" أنا جائع فأطعموني"[٢٦٧]

المتسول المبارك (المجاذيب).

ثمة ظاهرة لازمت مجتمع المتسولين، وانتشرت بين الأوساط الشعبية شرقًا وغربًا تمثلت في كثرة الهائمين الذين سلكوا مسلكًا غريبًا وشاذًا كعدم ارتداء الملابس والسير في الطرقات عرايا دون ملابس تستر عوراتهم، وتجاهل قواعد اللياقة والنظافة، والتجول بلا هدف، وقد أطلق عليهم في مصر المملوكية اسم (المجاذيب) ممن لهم ولاية ويعتقد في بركتهم وكرماتهم العديد من العامة في الأوساط الشعبية، ولا نجد أبلغ من وصف المؤرخ ابن تغري بردي في اعتقاد الناس في المجذوب الشيخ الصنافيري يقول فيه: "أجمع الناس على اعتقاده وهو لا يفيق من سكرته، وكان الناس يترددون إليه فوجًا فوجًا رغبة التماس بركته"[٢٦٨]. وقد كان لابن حجر اعتقاد في بعضهم مثل: "مسعود بن عبد الله المريسي الذي كان مجذوباً وللناس فيه اعتقاد زائد، وكان يأكل في رمضان ويبدو منه أمور يتكلم بها فيقع كل ما يقول ويكاشف كثيراً، وقيل أنه كان يغيب أحياناً ويحضر أحياناً، وقد اتفقت لي معه ماجريات ولم ازل في بركته"[٢٦٩]، لم يكن الأمر سائدًا في القاهرة وحدها، بل امتد إلى أغلب قرى وأقاليم مصر مثل الفيوم التي ظهر فيها رجل يدعى:" علي بن عبد الله الروبي – بالباء الموحدة

---

(264) Hebding d .e and Gliek l: Introduction to sociology، New Yourk، Addison Wesley، 1980 p 68.

(٢٦٥) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ٢/ ٢٧٤ .

(٢٦٦) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ١٧٤.

(٢٦٧) العبدري، أبو عبد الله محمد بن مسعود، ت ٧٠٠ هـ: **رحلة العبدري**، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٩م،، ص ٣٠٤.

(٢٦٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١١/ ١١٩.

(٢٦٩) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**،٤/ ١٢٥ .

نسبة إلى موضع بالفيوم – كان مجذوباً وتظهر منه أشياء خوارق للعادة، وللناس فيه اعتقاد زائد"[٢٧٠]. وآخر من دمياط اشتغل بالعلم في أوائل عزه مدة، ثم حصل له جذب فشطح وهام"[٢٧١].

وقد كان بعض هؤلاء تصدر عنهم أفعال عدوانية مثل:" طلحة بن عبد الله المغربي ثم المصري الذي كان مجذوباً وكان للناس فيه اعتقاد يجاوز الوصف، وكان ربما بطش ببعض من يزوره"[٢٧٢]، وقد وقفت بنا بعض المصادر على سير العديد ممن ذاعت شهرتهم مثل: "راشد بن عبد الله التكروري أحد المشايخ المجذوبين الذين يعتقدهم العامة، كان مقيماً بجامع راشدة الذي عند بركة الحبش، عنده سكون ويصيح أحياناً، مات بالمارستان"[٢٧٣]، وكذلك" سليمان القرافي المجذوب كان للناس فيه اعتقاد زائد"[٢٧٤]،" محمّد بن أحمد الهاروني المصري كان ممن يعتقد بمصر وكان مجذوباً، وكان أهل مصر يلقبونه خفير البحر"[٢٧٥].

عدد آخر أشار إليهم ابن تغري بردي، مثل:"عبد الله درويش، الشيخ الفقير الصالح أبو محمد المجذوب الذي تسلك على يد الشيخ يوسف العجمي بزاويته من القرافة، وأقام بها في الحلوة أياماً، ثم خرج وقد صار مجذوباً، وأقام بباب القرافة، واشتهر ذكره، وقصد الناس زيارته من كل جهة، وتبركوا بإشارته ودعائه، وتناقلوا عنه"[٢٧٦]،" الزهوري المجذوب كان شيخاً عجمياً، ذاهب العقل، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم، لا سيما الملك الظاهر برقوق، وكان غالب إقامته بقلعة الجبل في دور حرم الملك الظاهر برقوق. وقيل إنه هو الذي قال لبرقوق: يا برقوق أنا آكل فراريج، وأنت تأكل دجاج! وأشار بموته ثم بموت برقوق من بعده بمقدار ما يكبر الفروج، فحفظ ذلك عنه؛ فكان كذلك"[٢٧٧]. وعُرف" سليم السواق القرافي المعتقد المجذوب أنه كان فقيراً صالحاً، يسكن القرافة، وللناس فيه اعتقاد حسن. وكان له

---

(٢٧٠) **المصدر السابق**،،١/ ٤٢٦.

(٢٧١) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ٢ / ٢٨٦.

(٢٧٢) ابن حجر العسقلاني، **مصدر سابق**،١/ ٤٤٢.

(٢٧٣) **المصدر السابق** ،١/ ٤٨٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**٥/ ٣٤١.

(٢٧٤) ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**،١/ ١٢٠.

(٢٧٥) **المصدر السابق**، ،٢/ ٢٥٠.

(٢٧٦) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي٧**/ ١٣٣.

(٢٧٧) **المصدر السابق**، ٥/ ٣٦٧.

أحوال وكشف"[٢٧٨].

في القاهرة المملوكية أشار ابن حجر مع غيره من المؤرخين[٢٧٩] إلى عدد من المتسولين المجاذيب الذين كان للناس فيهم اعتقاد زائد تصل إلى درجة الولاية مثل:" الشيخ حطيبة الدمياطي أحد المجذوبين الذين يعتقد فيهم العامة الولاية، اختل عقله ونزع ثيابه وصار عرياناً، وتكدى"[٢٨٠]. وكذلك: "الشيخ تاج الدين النويري، نزيل مصر بالنخالين، وكان يخدم الشيخ زين الدين البوشي المجذوب، ثم انقطع في منزله وصار يظهر منه بعض الخوارق، وللناس فيه اعتقاد زائد"[٢٨١].

أما في **المجتمع البيزنطي**، ومدن **الغرب الأوروبي** طوال القرون الوسطى فقد أُطلق عليهم مصطلح" الحمقى المقدسون" Holy Fools" أو الأحمق من أجل المسيح فقد رآه البيزنطيون غير مقبول اجتماعيًا أو دينياً، وربما رأوه نوعًا من المرض العقلي بينما رآه البعض بأنه شخص" صاحب كرامات" من الضروري التبرك به وبالتالي انقسم المجتمع البيزنطي حول التعامل معه. في حين أن الشخص" الأحمق" الذي سلك هذا المسلك، يعتقد أن محاكاة هذا النمط الشاذ وغير المألوف تساعده في بلوغ أعلى مراتب الحياة الأبدية والقداسة[٢٨٢]. غير أن الكنيسة في عام ٦٩٢م حرمت مثل هذا السلوك أثناء انعقاد المجمع الخامس السادس الكنسي في القسطنطينية بإصدار القانون رقم٦٠ من قوانين المجمع المقدس. ورغم ذلك مثلت جماعة الحمقى المقدسين اللبنة الباكرة لمخالفة الكنيسة وقوانينها، والتي اشتدت تباعًا في أوروبا أواخر العصور الوسطى، والتي نعتتها الكنيسة بالحركات المهرطقة[٢٨٣].

كان المقابل للرهبان الجوالين في العالم الإسلامي هم الصوفية، إذ إن أفكار الصوفية عن حياة الفقر والإحسان للمتسولين والشحاذين يسبق تطوير المفاهيم المشابهة في الغرب في العصور الوسطى، ربما لأن العالم الإسلامي كان أكثر تحضراً وأكثر كما كان اقتصاده

---

(٢٧٨) **المصدر نفسه**، ٦/ ٦٢.

(٢٧٩) ابن إياس، **بدائع الزهور١**/ ٢٣٩، ٢٧٥، ٢/ ١٧، ٣٢٥، ،٢/ ٣٦٠، ٥٢٨/٣.

(٢٨٠) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ٢/ ٣٣١.

(٢٨١) **المصدر السابق**،٤/ ٨٤ .

(٢٨٢) عمر عبد المنعم إمام، **ظاهرة الأحمق المقدس، بين الرفض والقبول المجتمعي في العصر البيزنطي الباكر**، حولية التاريخ الإسلامي، مجلد ١٦، ٢٠٢٣م، ص ٢٥.

(٢٨٣) **المرجع السابق**، ص٤٦.

ذا صبغة تجارية أشد كما شهد عصر سلاطين المماليك أعظم فترة للنمو في دور المؤسسات الدينية والخدمية كالبيمارستان المنصوري عبر تاريخ القاهرة[٢٨٤].

في كل الحالات شرقًا وغربًا كان الدفع الديني متشابهًا، يتولى المرء رعاية الرهبان والفقراء والمتسولين الهائمين والمجذومين للحصول على صلواتهم من أجل روح الواهب وأقاربه من خلال رعاية الأديرة (في الغرب) أو التماسًا للبركات والكرامات من خلال الوقف(في الشرق) وبالإضافة إلى ذلك كان واضحًا أن الهبات في أوروبا العصور الوسطى لصالح الأديرة من أفراد النخبة لمساعدة الفقراء والهائمين والرهبان من خلال ربطه بمؤسسة مستمرة. كـ(الدير في الغرب أو المجتمع الصليبي) [٢٨٥]، والوقف (على الخوانق والتكايا في الشرق)[٢٨٦] مما يكشف لنا عن جانب من جوانب تبادلات الأفكار المتشابهة بين الغرب والشرق من جانب، وبين كلا من المسلمين والمسيحيين مع غيرهم من الطوائف والمجتمعات البحر متوسطية في العصور الوسطى من جانب آخر.

وكان المتسولون المجاذيب أو الحمقى ظاهرة عامة كتب عنها الكتاب المسلمون في العصر الوسيط[٢٨٧] وامتد صداها إلى حكايات "ألف ليلة وليلة" التي تعج بشخصيات الدراويش، أو المتسولين المباركين[٢٨٨] يجوب التجار كسندباد ومعروف وغيرهما من التجار المتجولين أسواق البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا ومنطقة الشرق، حاملين معهم أشياء تباع وتشترى في مراكز تجارية تزخر بالبحارة وأصحاب الحوانيت والشحاذين والمتسولين

---

(٢٨٤) آدم صبرة، **الفقر**، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢٨٥) كان الدعم المالي للحملات الصليبية يأخذ شكل التبرع لإحدىٰ الطوائف العسكرية الدينية التي تدعم الحملات، والتي تكرس نفسها لرعاية الحجاج المسيحيين والفقراء والمرضى والمتسولين والدفاع عن المسيحية. وكان فرسان المعبد وفرسان المشفىٰ الأكثر شهرة وتأثيرًا، ولقد تأسس كلاهما في القدس وكان لدىٰ كل من الفريقين محفظة عقارية تمتد إلىٰ معظم أنحاء أوروبا المسيحية اللاتينية. ومنذ زمن الحملة الصليبية الثالثة كان هناك أيضًا الطوائف الأخرىٰ مثل النظام التوتوني، الذي تأسس في الأرض المقدسة ولكن مع غالبية أراضيه في ألمانيا والمنطقة البلطية، والعديد من الطوائف الإقليمية التي تأسست لدعم الحركات الصليبية الإقليمية، خاصة في شبه الجزيرة الأيبيرية. كما كان هناك طائفة القديس لازاروس، التي تأسست في الأرض المقدسة لرعاية مرضىٰ الجُذام والمعوزين، ولكنها اتخذت دورًا عسكريًّا بحلول منتصف القرن الثالث عشر. قدَّمت النساء تبرعات ورعاية قيِّمة لهذه المؤسسات؛ فقامت كل من الملكات أوراقا – من قَشْتالة – وتريزا – من البرتغال – بتأسيس الترتيلار والمشافي، علىٰ التوالي. وفي عام ١٢٢٩م، تبرعت بيرنغيلا – من قَشْتالة – بقلعتها ومدينة بولانيوس، إلىٰ نظام رعاية المرضى والفقراء والأسرى. في عام ١١٨٧م، أسست الملكة سانشا من أراغون دارًا للراهبات والرهبان ملحقة بالمشفىٰ. هيلين ج. نيكلسون، النساء والحَملات الصَّليبية، ترجمة عمرو منير، دار العين، القاهرة ٢٠١٤م، ص ٢٠٩.

(٢٨٦) آدم صبرة، **الفقر**، ص ٢٨٥.

(٢٨٧) **المرجـع السابق**، ص ٢٨٥.

(٢٨٨) مارينا وورنر: **السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة**، ترجمة: عبلة عودة، أبو ظبي، مشروع كلمة ٢٠١٦م، ص١٢١.

المجاذيب والحرفيين والمتسوقين من جميع الأعراق والأجناس شرقا وغربًا[٢٨٩]، وكان منح الصدقات لهؤلاء المتسولين ممارسة اجتماعية مهمة في القاهرة زمن سلاطين المماليك، وفي جميع أنحاء المنطقة العربية أما في أوروبا سواء كانت (كاثوليكية في الغرب أم أرثوذكسية في الشرق أم بروتستانتية) فقد اقتصرت على المؤسسات البلدية والكنسية خوفًا من أن يغش الفقراء، ويخفوا الصدقات التي تلقوها سرًا ومنعت أعمال البر الخاصة للمتسولين لا سيما المجاذيب منهم بقرارات المجامع الكنسية[٢٩٠] ولكن دون جدوى فيما يتعلق بالاعتقاد في بركاتهم.

نجحت هذه الفئة من المتسولين في استثمار صورتهم (الذهنية) وإنزالها منزلة الإدراك الحسي عند الخاصة والعامة من الناس[٢٩١]؛ لتشق طريقًا لها في المجتمع رغم التحديات العديدة دينيًّا واجتماعيًّا، فأقبل الناس عليهم من الطبقات والشرائح الاجتماعية كافة، وصدقت أغلب الطبقات ما يقوم به هذه الفئة أو هكذا أرادوا أن يصدقوا في محاولة لتغطية واقعهم بمرارته، يصفهم ابن دانيال في طيف الخيال على لسان أحدهم" وادَّعيت أباطيلَ الدَّعاوَىٰ[٢٩٢]، فطَوْرًا أدَّعي معرفة الكيميا[٢٩٣]، وآونةً أُبُثُّ بالمَطالبِ[٢٩٤] والسِّيميا[٢٩٥]، ووَقْتًا بالعَزايم[٢٩٦]

---

[٢٨٩] مارينا وورنر: **السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة**، ٢٣٩.

[٢٩٠] آدم صبرة، **الفقر**، ص ٢٨٥.

(٢٩١) أوين ديفيز: **السحر**، ص٥٤.

[٢٩٢] من دعاوَىٰ المكدين **متعاطي التنجيم**: أن منهم قافة الرزق وأهل الفأل والزَّجْر، وقافة الرزق: قوم يتعاطون التنجيم، وكذلك العاملون بالجفر. ومنهم مَن يعمل بالزيج، وبالتنور والجفر. والجفر هو الذي يكون بين أيديهم علىٰ هيئة الفلك يدور. انظر: طه الدليمي: **المكدون في التراث العربي**، ص١١٣.

[٢٩٣] **ادعاء الكيميا**: أهل الكاف من بني ساسان، وهى من الدك، والادعاء بعمل الفضة والذهب. الجوبري، **المختار في كشف الأسرار**، ص٨٤، ١٧٣، ١٨٥، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢،

[٢٩٤] **المطالب واحدها مطلب**، كلمة كان المصريون يطلقونها علىٰ الكنوز، ويقال للباحثين عن الكنوز: «المطالبية». وقد أوردها المقريزي في باب بعنوان «ذكر الدفائن والكنوز التي تسميها أهل مصر المطالب»، وهم أصحاب الميم المطالبية الذين يدعون الوصول إلى المطالب والكنوز، وفصل الجوبري حيلهم في الفصل الحادي عشر في خمسة أبواب. انظر:**المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت٨٤٥هـ)، الخطط المقريزية المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م**،١/٤٠-٤٢؛ الجوبري: **المختار**، ص ٢٠٧،

[٢٩٥] **السيمياء SIMIYA**: مأخوذة من السمة أو الإشارة. وفي الاصطلاح تدل علىٰ أبواب معينة من السحر: السحر الطبيعيٰ، الذي يقترب من التنويم المغناطيسيٰ في الممارسة والتأثير، والسحر باستخدام أسرار الحروف. وتُحدِث السيمياء مثالات خيالية في الجو، لا وجود لها في الحس، ويحدث ذلك بأمر خفي لا يدركه إلا أهل المعرفة بها. وذكر الجوبري: إن أصحاب علم السيمياء هم الذين يجلبوا بالأسماء الخير ويدفعون بها الضر والعمل بالأسماء المقدسة الذي إذا سئل الله بها أعطى وإذا دعي بها أجاب. انظر:الجوبري: **المختار** ،ص ٩٨، ٩٩؛ **كشف الظنون عن أسامي الكتب** ١٠٢١/٢؛ عبد الحميد يونس: **معجم الفولكلور**، (مادة سيمياء)، ص٣٥٩.

[٢٩٦] علم العزائم: مأخوذ من: العزم، وتصمم الرأي، والانطواء علىٰ الأمر، والنية فيه، والإيجاب علىٰ الغير. يقال: عزمت عليك، أي: أوجبت عليك، وحتمت عليك. وفي الاصطلاح: الإيجاب والتشديد، والتغليظ علىٰ الجن والشياطين، بقوله: عزمت عليكم؛ أي: أوجبت عليكم: الطاعة، والإذعان، والتسخير،

والتغوير[٢٩٧]، وتارة أكتب على الشَّقْف لذَهاب ماء البِير، وأدَّعي الحُكْم ثُمَّ أتسكَّع كالمَجنونِ[٢٩٨]، وأُخْرجُ الزَّبَد[٢٩٩] مِنْ فَمي بالصابون ،ورُبَّما هابرْتُ[٣٠٠] العُمْيان[٣٠١]، وألصَقْتُ أجفاني بعلك اللُّبان[٣٠٢]، وورَّمتُ أطرافي[٣٠٣] بالدَّرَياس[٣٠٤] وأَتَباكَى بالكُنْدُس[٣٠٥] من الإفْلاس[٣٠٦]"[٣٠٧]

وأنزل الجوبري وابلًا من الازدراء والإساءة بمن كانت في رأيه مجموعة المحتالين المتسولين المتسربلين برداء الدين والنبوة والمشيخة والوعاظ[٣٠٨]، واستهل بفصول وأبواب على شاكلة «في كشف أسرار الذين يدعون النبوة»[٣٠٩]، ويليه فصل بعنوان «في كشف أسرار

خصص لهم الجوبري فصل بعنوان (الفصل الثالث عشر ثلاثة عشر بابا في كشف أسرار المعزمين). للمزيد انظر: الجوبري: **المختار**، ص٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٥٢، ٣٤٤؛ **كشف الظنون**، ١١٣٧/٢.

[٢٩٧] التغوير: زيادة عمق آبار المياه أو الحفر بحثًا عن نبع ماء أو توهم الناس أن الأرض بها ماء.انظر: الجوبري، **المختار**، ص ٣٤٠.

[٢٩٨] الجوبري: **المختار**، ص ٢٤٣، ٣٣٤.

[٢٩٩] إخراج الزبد من الفم وادعاء الجنون لدى المتسولين قد تصل ببعضهم إلى درجة الاعتقاد فيه كدرويش أو صوفي صاحب كرامات أو للاستعانة بالمعزم لعلاجه ليبدأ في الاحتيال على الناس، وهو ما يعد من حيل المكدين التي وصفها البيهقي وذكرها الجوبري تفصيلا في الباب العاشر من الفصل الثالث عشر من أسرار المعزمين. انظر: **المحاسن والمساوئ**، ص٢٤٧؛ الجوبري: **المختار**، ص ٢٤٢.

[٣٠٠] هابرت أي: عاونت. انظر: الجوبري: **المختار**، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

[٣٠١] حيل الذين يدعون العمى، وذلك أنهم يعمون من غير عمى. انظر: الجوبري: **المختار**، ص ١٤١.

[٣٠٢] علْك اللُّبان: ضَرْبٌ مِنْ صَمْغِ الشَّجَرِ يُمْضَغُ فَلا يَنماع، والجُمْعُ عُلوك وأعْلاك، والذين يدعون العمى يأخذون من دم القراد جزءًا ومن الصمغ العربي جزءًا ثم يكتحلون به على أطراف جفونهم فتنطبق وتلزق، فلا يشك من رآهم أنهم عميان. انظر: **اللسان** (ع. ل. ك)، ٤٧٠/١٠؛ الجوبري: **المختار**، ص ١٤٢.

[٣٠٣] ذكرهم الجوبري في المختار تحت عنوان (في ادعاء الاستسقاء)، والذي يورم أطرافه من المكدين يسمى «القرسيَّ»: وهو الذي يعصب ساقيه أو ذراعيه عصبًا شديدًا ويبيت على ذلك ليلة، فإذا تورم واحتقن فيه الدم مسحه بشيء من صابون ودم الأخوين وقطر عليه من سمن البقر وأطبق عليه خرقة ثم كشف بعضه، فلا يشك من رآه أنه أكِلة. انظر: **المحاسن والمساوئ**، ص٢٤٧؛ الجوبري: **المختار**، ص ١٤٣.

[٣٠٤] الدرياس استعمله العرب منذ القديم، كانوا يأخذون الجذور البالغة ما بين ٥ إلى ٧ أعوام ما بين ديسمبر ومارس، وتغسل جيدًا بالماء الجاري، ثُمَّ يأخذون اللحاء، وهو الجزء المستعمل والمحتوي على المواد الفعالة، فيصبح اللحاء على شكل أجزاء ذات لون أصفر بني وفاتح. واستعماله من الخارج يسبب دملًا في الجلد شبيهة بالجدري Variole، واستعماله المستمر يحدث قروحًا، **طيف الخيال**، ص ٢١٠.

[٣٠٥] **الكندس**: نبات عشبي مهيج للأغشية المخاطية، وإذا مضغ يجلب الدُّمُوع، ومن حيل المحتالين أن يجعل الكندس أو لخردل وينقعونه في الخل ثم يسقون به المنديل الذي يمسحون به وجوههم فتنزل دموعهم مثل المطر. انظر: **الحاوي في الطب**، ٧٧/١، ٣٣٥/٥. الجوبري: **المختار**، ص ١١٧، ١٢٢.

[٣٠٦] يظهر لنا من ذكر أصناف المكدين في البابه أنهم كانوا يحتالون لتحصيل رزقهم بوسائل كثيرة؛ فمرة يبدو أحدهم أنه واعظ أو له معرفة بالكيمياء، ومرة يبدو أنه قد خسر تجارة أو أنه أعمى أو ذو عاهة، ومرة يستصحب أحدهم أطفالًا يستأجرهم يوهم الناس أنهم أولاده إلى غير ذلك من حيلهم كما أوضح ابن دانيال بعضًا من حيلهم ووصَف أزياءهم، وأن بعضًا آخر يتزيًا بزي المرضى وأصحاب العاهات إلى غير ذلك من الحيل والصفات التي توارثوها في كل عصر في المجتمع العربي حتى يومنا هذا. عمرو منير، **أهل الحيل**، ص ١١٩.

(٣٠٧) ابن دانيال الموصلي، **كتابُ طَيْفِ الخيال**، ص ٣٨٧.

(٣٠٨) الباقلاني: **البيان**، ص٥٧؛ ابن الجوزي: **تلبيس إبليس**، ص٣٤٠.

[٣٠٩] الجوبري: **المختار**، ص٤١-٥٢.

الذين يدعون المشيخة وأصحاب النواميس والفقراء والمشايخ»[٣١٠]، وفصل بعنوان «في كشف أسرار الوعاظ»[٣١١]. وأفرد الجوبري فصلًا بعنوان «كشف أسرار الرهبان»[٣١٢] وفصلًا آخر خصصه لأحبار اليهود وما يقومون به من حِيَل لترسيخ الاعتقاد بقدراتهم بعنوان «في كشف أسرار اليهود وفعلهم»[٣١٣].

التسول بين الفرق الصوفية:

على الرغم من أن ظاهرة التسول كانت من الظواهر المرذولة في ذلك العصر، إلا أنها شهدت مشاركة من بعض الفرق الصوفية التي عمدت إلى التسول لأغراض تهذيب الذات والروح للصوفي واستخدام ذل السؤال وسيلة للتخفيف من سيطرة نفسه عليه[٣١٤]، تشارك المتصوفون مع المتسولين في قواسم أبرزها: الزهد، والتقشف، والثياب المرقعة المزرية، ولبس الخرقة والعصائب، فضلا عن تواكل عدد من المتسولين على الخوانق والتكايا للحصول على الطعام والمبيت المجاني[٣١٥]، والانخراط في أشكال السلوك الشاذ كتعاطي الحشيش[٣١٦] أو ما يُعرف بـ الْحَشِيشَةِ [٣١٧] والتطفل في التجمعات الدينية خاصة الموالد والموائد[٣١٨]. كأفضل فرصة تتاح أمامهم للحصول على هبات الطعام والصدقات[٣١٩] بأنواعها.

---

[٣١٠] **المصدر السابق**، ص٥٣-٧٤.

[٣١١] **نفسه**، ص٧٥-٨٠.

[٣١٢] **نفسه**، ص٨١- ٨٦

[٣١٣] **نفسه**، ص٨٢- ٩٠.

(٣١٤) السراج، **اللمع**، ص ٢٥٣؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٧٦.

(٣١٥) السبكي، **معيد النعم**، ص ١٢٥؛ ابن حجر، **إنباء** ٩٣/٧؛ ابن تغري بردي، **حوادث ١**/٩٩؛ الصيرفي، **نزهة** ٩٩/٢؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة – بيروت، ٢٠٠٢، ٢٢٩/١، ٢٢٧؛ ٦٦/١١؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص٢١.

(٣١٦) ابن دانيال الموصلي، **كتابُ طَيْفِ الخَيال**، ص ١٧٩.

(٣١٧) البُجَيْرَمِيّ، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، **تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب**، دار الفكر، القارة ١٩٩٥م، ٤/ ١٨٩.

(٣١٨) ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت٦٩٢هـ)، **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق: أيمن سيد، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٦٣؛ المقريزي، **السلوك** ٥١٣/٦؛ الصيرفي، **نزهة** ١٤٤/٣؛ ابن إياس، **بدائع**، ٤/ ١٥٣؛ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م**، ١٥١/٣؛ شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، **الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢، ٥٣١/٢؛ **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ١٩٩٤ م، ٥/ ٥١٦ ؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص٢١.

(٣١٩) آدم صبره، **الفقر**، ص ٩٨.

على فترات متباعدة، اعتقد الصوفيون أن الفقر والتسول من طرق تأديب المريد، حسبما يذكر عبد الوهاب الشعراني، أحد أكابر المتصوفين في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي الذي ينقل في كتابه "تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا" قوله: "إذا أدّب الله تعالى عبدًا بالفقر والحاجة وضيق العيش، فلا تحسنوا إليه إلا بالرغيف وستر العورة، وإياكم أن تجعلوا له مالا أو تغنوه"(٣٢٠).

ولا يوافق عدد من الكُتاب الصوفية على التسول العلني، ويمتدحون فضائل الفقراء الذين يخفون حاجتهم عن بقية المجتمع؛ أي الفقراء المتعففين. وهو ما يطرح لديهم سؤالًا مهمًا: مَن مِن الفقراء يستحق الصدقات أكثر من غيره؟، وما يتوجب على المسلمين من إعطاء إخوانهم المحتاجين وهو أمر يثير معضلة أخلاقية تدور حول مدى صدق السائل(٣٢١).

وصور البعض التسول في الأسواق أو على أبواب الناس باعتباره من الملامح الأساسية لحياة التصوف شريطة توزيع ما جمعوه بين إخوانهم المتصوفة وعدم قبول أكثر من الحاجة ،وكل ما يزيد يجب توزيعه على إخوانه من المتصوفة الفقراء(٣٢٢)، ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي كانت الاستجابة لأفكار الصوفية تتضاعف بشكل مذهل، خاصة في مصر، ويبدو أن تلك الأفكار الصوفية، تسللت إلى ثقافات القرى في مصر، ففي بعض القرى إذا رُزق الرجل ابنا ذكرا بعد طول صبر، يمر على البيوت يطلب الصدقات كطريقة لحمد الله وتذليل النفس، إلى جانب أن بعضهم يطلق على أبنائه أسماء تحمل معنى الشحاتة، دفعًا للحسد، ورجاء أن يعيشوا مدة أطول، ومن هذه الأسماء: شِحاتة(٣٢٣)– شحّات– شِحتَة(٣٢٤).

تناول الهجويرى بوضوح" **آداب الصوفية الذين يتسولون**. وهو يؤكد على أنهم لا يجب أن يشحذوا سوى عندما لا يكون أمامهم خيار آخر، لأن التسول يشتت مراعاة المرء لله وهكذا يقتبس منع السؤال بطريقة فيها إلحاح وحسبما يقول الهجويرى، كان شيوخ الصوفية

(٣٢٠) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص٣٧.

(٣٢١) آدم صبره، **الفقر**، ص٧٥، ٧٦.

(٣٢٢) السراج، **اللمع**، ص ٢٥٣؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٧٧.

(٣٢٣) يوسف الشربيني، **هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف**، تحقيق، همفري ديفيز، القاهرة ٢٠٠٠م، ٢/ ٢٨٢.

(٣٢٤) الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت٥١٦هـ)، **مقامات الحريري**، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م، ١/ ٦١؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١٨٤/٢؛ محمد أحمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ٩٦/١؛ عبد الباسط عياش ،**طائفة الشحاتين موجز تاريخ فشل دولة**، المنصة، عدد مارس ٢٠١٩م.

يجيزون التسول لأسباب ثلاثة؛ أولها: حيازة الطعام مضيعة للوقت[٣٢٥]، وثانيها: أن ذل السؤال تدريب للنفس[٣٢٦]، وعلى الرغم من أن الهجويرى يوضحها بعدة حكايات. وثالثها، بما أن كل الممتلكات لله فى نهاية الأمر، فإن سؤال من فوضهم الله (أى أصحاب الممتلكات) يتيح للمرء أن يتجنب سؤال الله عز وجل لمباهج الدنيا [٣٢٧]. ويقرر أبو حامد الغزالي بأن التسول ممنوع من حيث المبدأ، ولا يكون مباحا إلا بسبب الضرورة أو ما يقرب من الضرورة[٣٢٨]، للحصول على الطعام للأكل أو الكساء لستر العري، وفي هذه الحال يكون التسول مباحًا شريطة القناعة والتحدث بصدق عن سبب سؤاله[٣٢٩]. وإذا كان التسول من أجل كساء خارجي لستر قطع في ملابسه أو طعام يأكله مع الخبز الذي يملكه، وما إلى ذلك يكون التسول مكروهًا، وإذا كان التسول دونما حاجة يكون محرم قطعًا[٣٣٠].

ثانيا: خطاب المتسول:

المتسول: هو الشخص الذي يعيش على التسول ويجعل منه صرفه له، ومصدرا وحيدا أو أساسيا للرزق، وأهم ما يميزه هو الإلحاح في الطلب للحصول علي العون والمساعدة، واستخدام مختلف أساليب التأثير للوصول إلى الغرض بالحصول على المال أو الأغراض العينية دون مراعات للأعراف والعادات والتقاليد والقيم الدينية والاجتماعية السائدة في المجتمع، وبذلك يصبح التسول سلوكا مرضيا ومستهجن من الناحية الاجتماعية والأخلاقية.[٣٣١]

في مصر عصر سلاطين المماليك وظف المتسولون أدوات يتداخل فيها المكون الديني بالمكونات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، وتنوعت أدواتهم بتنوع المواقف واختلاف الإطار المكاني الذي كان يستغله المتسولون بغية تحقيق مطالبهم

---

[٣٢٥] الهجويري، السيد علي بن عثمان بن أبو علي الجلابي، ت٤٦٥ هـ، **كشف المحجوب لأرباب القلوب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦٠٤؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٧٧.

[٣٢٦] الهجويري، **كشف**، ص ٦٠٥؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٧٧.

[٣٢٧] الهجويري، **كشف**، ص ٦٠٤؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٧٧.

[٣٢٨] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧م، ١٩١/٤.

(٣٢٩) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ٥/ ٧٤؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٧٧.

(٣٣٠) الغزالي، مصدر سابق، ٥/ ٧٤؛ آدم صبره، مرجع سابق، ص ٧٧.

[٣٣١] سلوى عبد الحميد: **نظرة في العلم الاجتماع المعاصر**. القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٨.

في إطار بنية اجتماعية قوامها القهر ؛ وتتكامل في هذا السياق عدة مكونات تساعد المتسول في أداء مهمته: كاللغة و الحركة و الهيئة والصوت..إلخ.

أ – دلالات الزى والهيئة عند التسول

يعد الزي في محيطه الاجتماعي من المتممات المساندة للغة الجسد، والمعينة على كشف ما وراء الظاهر لذا يعمد المتسول في تصنعه إلى المتممات المساندة لبث معنى عوزه وأنه فقير الحال، فيتزيا بزي الفقراء فيأخذ بالأسباب الجسدية المادية التي تعينه على تحقيق هذا الزعم فيجد في ملابسه الرثة ما يهيئ لما يريد من كلام(٣٣٢)، فمن حيث اللباس فقد كانوا يلبسون ما يعرف بالمرقعة أو الدلق(٣٣٣) وهو عبارة عن لباس يتكون من مجموعة من القطع المتباينة من الملابس أو السجاد التي يحصلون عليها من هنا وهناك، ويقومون بخياطتها بعضها مع بعض بشكل عشوائي ويلبسونها دونما شيء تحتها، بحيث لا تستر عوراتهم في كثير من الأحيان، ويبدو أن ذلك كان أمرًا مقصودًا حتى يظهروا للناس فقرهم وحاجتهم ويدفعوهم للتصدق عليهم، وقد يلبس البعض منهم شرطوطًا(٣٣٤)، وهو عبارة عن عمامة طويلة ورفيعة ورقيقة، ومنهم من يلبس قميصًا أزرق أو بلون آخر كيفما اتفق، وقد يحلمون بأيديهم عكازًا من حديد أو خشب(٣٣٥) وجربنديته(٣٣٦) ملآنة كسر خبز (٣٣٧) ومنهم من يتشبه بالصوفية فيلبسون خرقهم أو عصائبهم، مع الإشارة إلى أنهم لا يعتنون بغسل ملابسهم لفترة طويلة من الزمن(٣٣٨).

---

(٣٣٢) أمل عبد العزيز محمد غازي، **الأبعاد الاجتماعية والنفسية للملابس في الرواية العربية دراسة سيميائية**، مجلة كلية الآداب، جامعة بروسعيد، ع ٢٥، يوليو ٢٠٢٣م، ص ١٩١.

(٣٣٣) ابن طوق، **التعليق يوميات شهاب الدين احمد بن طوق ٨٢٤ – ٩١٥هـ / ١٤٣٠ – ١٥٠٩م مذكرات كتبت بدمشق في اواخر العهد المملوكي ٨٨٥ – ٩٠٨هـ / ١٤٨٠ – ١٥٠٢م**، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ٢٠٠٠م، ١/ ٢٨٣.

(٣٣٤) شرطط: شرطوط: خرقة، دُوزِي، **تكملة المعاجم العربية**٦/ ٢٩٢.

(٣٣٥) بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ٦/ ٢٦٤، ٧/ ٦٧، ٧/ ٣٧٩ ؛ **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** ٢/ ٢٧٥.

(٣٣٦) جَرَبَنْدِية: يظهر أن معناها: كيس، حقيبة المتاع، ففي ألف ليلة (٣: ٤٦٤): رأى حاويا معه جراب فيه ثعابين وجربندية فيها أمتعته.، وتحمل على الكتف بحمالة، وهي أيضًا تلفّ، ويحملها على ظهره. **معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية**، ٣/ ٢٦؛ **تكملة المعاجم العربية٢**/١٦٦.

(٣٣٧) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، دار ابن حزم، دار ابن حزم، القاهرة،١٩٩٤م، ص٥٦.

(٣٣٨) عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٣.

أشار السبكي إلى ما يصطنعه هؤلاء من **هيئة زرية** ليستدروا عطف الناس[٣٣٩]، "وعليهم مرقعات كالشحاذين"[٣٤٠]، وهذا الملمح ينقلنا من العلامات اللسانية إلى العلامات غير اللسانية، أي من سيمياء المسموع إلى سيمياء المرئي، و في هذا السياق و حتى ينسجم الدال مع المدلول تجد المتسول ضعيف البنية – تصنعا أو حقيقة– في انحناءة و تواضع كالصبي يصل أدنى مستوياته[٣٤١]، كأنه مبني على مفارقة أنت السيد و أنا العبد الضعيف، أنت مالك كل شيء و أنا الفاقد لكل شيء؛ كما لو أنه يرسخ واقعا طبقيا ما يعبر به عن إحساسه بالنقص و عدم الاعتراف الاجتماعي؛ و لا يكتمل المشهد إلا بلباس رث:" ورؤيته في القذارة عجب"[٣٤٢] يعكس الفقر و العوز فهو الدليل عليهما، و لو كانت حالة المتسول أحسن لما قبل أن يلف جسده في هذا اللباس الرث المتسخ، قذر كثير الوساخة والعماش[٣٤٣]، منتن الذقن[٣٤٤]، مشيه حافي، عدو الإسكافي[٣٤٥]دون أن ننسى تصنع البعض في ذلك أو وجود بعض المتسولين بلباس جيد مخالف لما هو سائد في عالم التسول.

وعلى الصعيد الآخر، لا يمكننا أن ننكر أن هناك شراهة، وحرماناً ارتبط بممارسة التسول، وثمة إشارة عابرة عند جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٦م) من كتابه:"صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم" خصص فصلا تحت عنوان "ضد ذلك المسلوب الذوق من الشحاذين"[٣٤٦] وفصل آخر تحت عنوان" صاحب الذوق السليم من الشحاذين"[٣٤٧] وكلاهما كفيلان بتوضيح هدفهما[٣٤٨]، يعقد السيوطي مقارنة بين المتسول القنوع، والمتسول الشره:" فما بال حال البائس الفقير المسكين، تعطلت صناعته، وكسدت بضاعته"[٣٤٩] ويصف

---

(٣٣٩) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣؛ فوزي محمد أمين مصطفى، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ٢٨٩.

(٣٤٠) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص٢٠٦.

(٣٤١) يوسف الشربيني، **هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف**، ٢/ ١٦٥.

(٣٤٢) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

(٣٤٣) **المصـــــدر السابق**، ١/ ٥٨.

(٣٤٤) **المصـــــدر السابق**، ١/ ٣٤؛ يوسف الشربيني، **هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف**، ٢/ ١٦٥.

(٣٤٥) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ١/ ٥٨.

(٣٤٦) **المصـــــدر السابق**، ١/ ٥٨.

(٣٤٧) **المصـــــدر السابق**، ١/ ٥٨.

(٣٤٨) **نفســـــه**، ١/ ٥٦.

(٣٤٩) **نفســـــه**، ١/ ٣٢.

المتسول الصالح بقوله: "قليل السؤال، كثير الاحتمال، يرضى بالقوت،"[٣٥٠] وفي المقابل يصف شراهة المتسول الطماع بقوله:" يشحت من بكرة إلى العشاء، ويقول أنه بات بلا عشاء"[٣٥١] كما وصفهم الجوبري بقوله: "اعلم أن هذه الطائفة يتنسمون بالفقر"[٣٥٢]

إذن ظاهرة التسول التي لاحظها السيوطي لا تختص بالمنحرفين، وقد يكون المتسول إنسانًا صالحًا، ويمثل **اللباس** غالبًا علامة التخفي، وعدم الإفصاح عن الحقيقة وشاع بين الناس أن لبس ملابس التسول والفقر قد يكون ملاذًا من ملاذات المخادعة والمرواغة كما يفعل بعض المتسولين في عصرنا حين يرتدي لبسًا رثًا ويغير في ملامح ملابسه، وربما أطرافه رغبة في المخادعة، واستجلاب المال، هذه الظاهرة بدأت تتشكل في ذهن أغلب الناس حين رأوا في هذه الصورة المتكررة في المساجد والأماكن العامة صورة من صور الخداع والمكر، وإلى هذا المعنى ألمح ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م في حديثه عن من لبسوا لباس الفقراء والشحاذين كي يروا أنهم صلحاء وهم أشرار الذباب والحفلة[٣٥٣].

ومع هذا، يعترف كل من السبكي، والسيوطي بأن هذه الأساليب التي يلجئون إليها ليست سوى جزء صغير من جراب الحيل لديهم[٣٥٤]. فتجد الواحد منهم اليوم في منطقة باردة أو حارة، وفي اليوم التالي في مدينة أخرى أو محل، لباسهم خفيف صيفًا وشتاء، وقذر، ومجموع من الرقع المتباينة، وممزق لكثرة الخناق والضراب مع الناس، وقد يسرق عليق الفرس، حرفوش ما يملك قنشار[٣٥٥]، وبطونهم جائعة، يخطف العمائم، مفلس لا له صاحب ولا صديق، كثير العياط[٣٥٦] والشياط[٣٥٧].

ينكر عليهم السبكي: "إن كثيرين منهم يخلعون ثيابهم ويمشون عرايا بين الناس لكى

---

(٣٥٠) **نفســـــه**، ١/ ٥٥.

(٣٥١) **نفســـــه**، ١/ ٥٦.

(٣٥٢) الجوبري، **المختار**، ص ٣٧٢.

(٣٥٣) ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، ١/ ٣٣٢.

(٣٥٤) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣؛ السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ١/ ٣٨.

(٣٥٥) عملة متداولة متدنية القيمة ما يساوي فلسًا أو نحوه انظر: عبد الله إبراهيم، **عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،٢٠٠٧م، ١/٤٤٩.

(٣٥٦) أراد بالعياط: الصخب والصياح، والشياط: ريح المخترق من القطن ويقصد بها النزق وسرعة الغضب وضيق الصدر، السيوطي، **صفة صاحب الذوق**، ١/ ٣٨. هامش ١١.

(٣٥٧) **المصدر الســابق**، ١/ ٣٨.

يخدعوهم فيظنوا أن الشحاذين لا يمتلكون ثيابا"[٣٥٨] وزينوا للناس حياة الفقر والقذارة والتسول، والرضا بالعيش من الصدقات والنذور[٣٥٩]:"ومنهم من يكشف عورته ويمشي عُريانًا[٣٦٠] بين الناس، يوهم أنَّه لا يجد ما يستر عورته"[٣٦١]، ولا يقتنع بساتر العورة ولو من الأقمشة البالية[٣٦٢]، ويخلص إلى ملاحظة أن ابتكارهم لمثل هذه الحيل يتطلب كتابا بأكمله[٣٦٣] .

وإذا كانت ملاحظات السبكي الفاضحة عن سلوك المتسولين تحمل قدرا من المبالغة، فإن تعليقات بعض الرحالة والمؤرخين لم تكن أقل قسوة، ولحظ بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في عصر سلاطين المماليك أن بالقاهرة عددًا كبيرًا من العوام بلا مأوى في النهار والليل سوى الطرقات، يهيمون فيها وأجسادهم شبه عارية، وتفاوتوا في تقدير ذلك العدد بين خمسين ألفًا ومائة ألف[٣٦٤] وقد رصدت عدد من المصادر إلحاح المتسولين، وكثرة العميان منهم والفقراء المزدحمين ممن فقدوا أحد أطرافهم، أو المشلولين، أو من بيد واحدة، أو ساق واحدة، مصابين بمختلف الأمراض، أو يعرضون جروحا وندوبا غائرة وهو يلاحظ أيضا، أن أحد منكوراتهم أنهم يستخدمون اسم الجلالة آلاف المرات ويقسمون بأغلظ الأيمان[٣٦٥] أو يراهم البعض في غاية الفقر والعري فسبحان من يعز ويذل[٣٦٦].

وفي السياق ذاته تأتي **ألبسة الفقراء** لتمثل اقترانًا بين مظهرها، وبين ما تتركه في قلب الناس، يقول الزمخشري:" من زعم أن الثياب لا تغير القلوب فقد كذب"[٣٦٧]. ولعل المعيار الديني يحضر – هنا – فحين يؤثر اللباس (الظاهر) في القلب (الباطن) فإن المعيار الديني يقدم إصلاح الباطن؛ لأنه أكثر تأثيرًا في أعمال الإنسان، وإذا كان اللباس

---

(٣٥٨) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣.

(٣٥٩) محاسن الوقاد، **الطبقات الشعبية**، ص ١٨٠.

(٣٦٠) أنكر الشعراني في كتابه "**تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**"، ص٢١٠.

(٣٦١) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣.

(٣٦٢) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص، ٢١١.

(٣٦٣) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٨٢.

(٣٦٤) سعيد عاشور، **المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك**، ص ٤٥.

(٣٦٥) نقلا عن سعيد عاشور، **المجتمع المصري**، ص ٨٢.

(٣٦٦) ابن إياس، **بدائع الزهور** ٢٢٠.

(٣٦٧) الزمخشري، جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩م، ٤/ ٤٣٠.

مؤثرًا في القلب فإنه يستحيل إلى أداة للمخاتل المخادع[٣٦٨] وهذه الصورة تواترت تواترًا لافتًا في مدونات التاريخية والأدبية: "فدخل وهو مداري نفسه بصفة شحاذ عجمي فقير"[٣٦٩]،"تزيا العايق بزي شحاذ فقير"[٣٧٠]" وهى نماذج تثير لدى المتلقي مخيلة بصرية لتصور ذهني عن شكل المتسولين، وتكشف عن كون اللباس دالا على مستوى الشخص، ومنزلته بين الناس، ورمزًا للحالة المادية، ولو لبس شخص غني ملابس الفقراء فلابد أن يكون له غاية من وراء ذلك كإبداء الزهد أو التخفي قصد تضليل من يراه أو إعطائه فكرة غير حقيقية عن وضعه الاجتماعي[٣٧١].

يعود حضور التزيي بزي المتسولين في الأدب إلى **السير الشعبية العربية** إضافة إلى حكايات "ألف ليلة وليلة" إذ يتكرر حضور المتسول في أكثر من وجه، منها التقليدي الساخط، ومنها الحكمي بغرض التنبيه من أمر ما، أو أن يتنكر أحد الملوك بزي الشحاذ لتحقيق غايته[٣٧٢]. ويحكى عن الخليفة العباسي هارون الرشيد، أنه قام بالتنكر مرات عدة بثياب رثة، وسار في الأسواق بين الناس ليسمع ما يقولونه عن أهل الحكم. ومن الجانب الديني، تحض الأديان السماوية كلها على تقديم العطف والرحمة للسائلين، وأبناء السبيل[٣٧٣].

ب – **دلالات اللغة عند التسول:**

أجاد المتسولون في العصر المملوكي لغة الجسد التي تحمل دلالات لا حصر لها، وتساند لغتهم اليومية وهيئة ملابسهم الرثة لتكمل المعاني وتتم الصورة، وفيها تغدو أحوالهم الجسدية وثيابهم دالة على حواشي نفوسهم وضمائرهم المستترة[٣٧٤]، لغة فقط بالإيماءات الجسدية، يُمكن فهم كل ما كان يُريد المتسول قوله، وتعكس تفاصيل وطبيعة الحياة التي

(٣٦٨) عبد الكريم عبد الله محمد، **سيمياء اللباس في مدونات الأدب القديمة** ،مجلة العلوم الإنسانية والإدارية،ع١١، مركز النشر والترجمة، جامعة المجمعة ،٢٠١٧م، ص ٧٨.

(٣٦٩) **سيرة الظاهر بيبرس**، ٦ أجزاء، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.، ص ٢٠٦٩.

(٣٧٠) **سيرة الظاهر بيبرس**، ١/ ٢٦٥٠.

(٣٧١) أمل عبد العزيز محمد غازي، **الأبعاد الاجتماعية والنفسية للملابس في الرواية العربية دراسة سيميائية**، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع ٢٥، يوليو ٢٠٢٣م، ص ١٩٢.

(٣٧٢) لنا عبد الرحمن، **اتيان هلمير يدخل عالم المتسولين من باب الفلسفة**، اندبندنت عربية، ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٣م/٤.

(٣٧٣) أحمد محمد الشحاذ، **الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة**، بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م، ص ٧٩، ٨٢، ١١٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٠٢. ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٧٤، ٣١٧.

(٣٧٤) أمل عبد العزيز محمد غازي، **الأبعاد الاجتماعية والنفسية للملابس في الرواية العربية دراسة سيميائية**، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع ٢٥، يوليو ٢٠٢٣م، ص ١٧٣.

عاشها أصحابها، مثل حركات وملامح الوجه وتعابيره الدالة على حالة صاحبها إذ كان من الحركات الأكثر استعمالا في التسول رفع (السبابة) إلى أعلى مع النظر إلى المتلقي/ المتصدق[٣٧٥]، و يرافق ذلك كلام ملائم لهذه الوضعية (على الله)؛ وأحيانًا يرددون بإلحاح [٣٧٦] عبارات بأصوات مرتفعة، وغير مفهومة في بعض الأحيان[٣٧٧] هذا دون أن ننسى أن هذا الإصبع يحمل رمزية دينية خاصة، فهو إصبع التوحيد و النطق بالشهادة و التشهد في الصلاة[٣٧٨].

ومن أبرز حركات المتسول مد اليد في تحفظ يشفعه بنظرة الاستعطاف[٣٧٩]، و كذا الوقوف باحترام حيال المتلقي، و هناك من يستعين بابتسامة تكون أحيانا ذات مفعول سحري في الاستجابة له. ذراع معقوفة ترمز إلى الضعف و عدم التطاول، يرسل خطابها رسالة تعكس التزام المتسول لحدوده و احترام رزق المتلقي و ما فضله به الله على سواه[٣٨٠].

كما تكون اليد معقوفة أو نصف مفتوحة و كأنها ترمز إلى الاعتدال الذي نص عليه الإسلام في العديد من المواقف و أبرزها الإنفاق. و هنا في مقام التسول تعني أن المتسول قنوع لا يطلب الكثير، و مسكين يعيش على المساعدة، أي أن القليل منك يكفيه و أن وضعه يستدعي إشفاق الناس تلك الحركات التي يقوم بها المتسولون مستخدمين أيديهم أو تعبيرات الوجه أو نبرات صوتهم أو اهتزاز الكتف أو الرأس، ليفهم المخاطَب بشكل أفضل الوضع الاجتماعي البائس الحالي للمتسول ولا يكل ولا يمل في استدرار عطفك: "ولو حلفت له بالطلاق ما يخليك ويروح"[٣٨١].

وهى إشارات تبدو هامشية جانبية، ولكنها غنية بكثير من الدلالات الكاشفة المضيئة، البطولة فيها معقودة لفقر الذين يتسولون، نهمهم للمال بالتسول مدانًا وخارجًا عن حدود العقد الاجتماعي، ولكن تنسمهم للفقر يكشف عن دوافع سلوكهم الجامح، ربما يكون المتصدق

(٣٧٥) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٣٤٢، ١٣٦٣؛ **سيرة علي الزيبق**، تحقيق محمد رجب النجار، هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٥م، ١/ ٣٩٤.

(٣٧٦) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

(٣٧٧) **المصدر السابق**، ١٣٨، ٣٩.

(٣٧٨) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٧٠١.

(٣٧٩) **سيرة علي الزيبق**، ص ٢٢٥.

(٣٨٠) عبدالرحيم الخلادي، **قراءة في خطاب التسول**، أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، يوليو ٢٠٠٩م.

(٣٨١) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

ضحية بريئة لا ذنب له، وفي المقابل: أي ذنب يقع على عاتق الفقير المتسول وهو ضحية الفقر مثله؟!.ويصف ابن طولون المشهد بقوله: "وهم لعمري معذورون"[٣٨٢]، تحت وطأة الظروف الاضطرارية والفقر، حيث "التسول الاقتياتي" من أجل البقاء والعيش." فأصبحوا فقراء، لا مالاً ولا أثاثاً ولا مغلاً"[٣٨٣]، ولا غرابة أن تسمع من يقول: "بعرضك كنت غنيًا فصرت فقيرًا"[٣٨٤].

يحتاج المتسول عادة إلى استخدام **لغة رمزية** بسيطة تؤدى للتأثير السريع في المارة بحيث يتخذ المحسن قراراً سريعاً بمد يد العون إلى المتسول، وتستخدم هذه اللغة تبريرات عدة من بينها:-

التبرير الديني: و يتجلى في محاولة إقناع الآخر بجدوى الصدقة انطلاقا من الرؤية الإسلامية في إطار ما يجازي به الله المؤمنين المتصدقين، لذلك نجد هيمنة جمل مثل (شئ لله[٣٨٥]/ في سبيل الله/ الله يرحم بها الوالدين[٣٨٦]/ الله يوصلها للوالدين)[٣٨٧]. فبالجملة الأولى يبث المتسول رسالة إلى المتلقي مفادها أن ما يطلبه هو حق أوجبه الله[٣٨٨]، مختزلا بذلك العديد من الآيات القرآنية في الموضوع. والتي تدعو للتصدق على السائل والمحروم استجابة لقوله تعالى:" وَفِى أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (الذاريات – ١٩).

وإذا أخذنا (الله يرحم بها الوالدين)، ففي منطوقها يبدو المتسول و كأنه مجرد ساع للبريد، يساهم بطريقة ما في وصول الصدقة و الرحمة إلى والدي المتصدق، لترحمهم من عذاب القبر، أو لترجح كفة حسناتهم و تمحو بعض سيئاتهم، إلى درجة يمكن أن يصل معها المتسول إلى فاعل خير أيضا، لأنه يتسبب في وصول الرحمة إلى الأموات، و في العبور الرمزي للمتصدقين نحو نعيم الآخرة أو مفتاح لإدرار الخير

---

(٣٨٢) ابن طولون، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، ص ٧٧.

(٣٨٣) ابن طولون، **المصدر السابق**، ص ٢٠٨.

(٣٨٤) **سيرة على الزيبق**١/ ٢٥٧.

(٣٨٥) يوسف الشربيني، **هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف**، تحقيق، همفري ديفيز، ٢/ ١٥٣.

(٣٨٦) **المصدر السابق**، ٢/ ١٥٧.

(٣٨٧) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ١/ ٥٨.

(٣٨٨) تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ١١٣.

علىهم في قولهم:" كتر الله خيرك"[٣٨٩]، أو طول العمر: "فأخذ الدراهم وهو يدعو له بطول العمر"[٣٩٠]، ولو كان المتصدق مملوكًا بزي عسكري دعوا له بالنصر[٣٩١]. وهكذا يعتمد التبرير الديني على تحقيق خير للمتصدق سواء ناله هو هذا الخير مثل طول العمر وسعة الرزق والنصر على الأعداء والبركة أو نال أبويه وعائلته.

ويعد تاج الدين السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ/١٣٢٦-١٣٧٠م) أحد الكتاب الذين اهتموا بسلوك الشحاذين في عصر المماليك ويناقش في كتابه" معيد النعم ومبيد النقم" بوجه عام سلوك الشحاذين من الصدقات وينتقد أولئك الذين يلحون على الناس، وبعضهم يستغيث بأعلى صوته: لوجه الله فَلْس. وقد جاء في الحديث: "لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة" وبعضهم يقول: بشيبة أبي بكر فلس. فانظر ماذا يسألون من الحقير، وبماذا يستشفعون من العظيم، ويراهم علية اليهود والنصارى، ويرون المسلمين ربَّما لم يعطوهم شيئًا، فيَشمَتون ويسخرون"[٣٩٢] وعلى الرغم عن أنه قد يكون هناك سبب قوى يمنع المسلم من أن يعطى الشحاذ شيئا، فإن غير المسلمين قد لايفهمون سوى أن المسلمين لا يقدمون قدرا كبيرا من الصدقات. ويجتاز به وهو يقول: «ذلك لليهودى والنصرانى!»، فيسمعون لمقالته[٣٩٣].

وهكذا نرى أن السبكي ينتقد اللجاجة والإلحاف في السؤال ويتخوف من أن يظن غير المسلم أن إعراض المسلمين عن منح الصدقات لهذه الفئة من الشحاذين هو ضن بالخير، ويؤكد على ضرورة علاج هذه الظاهرة .

ويبدو أن السبكي كان يشير إلى ظاهرة اجتماعية ذات جذور تاريخية وأثر اجتماعي ممتد إلى يومنا هذا، ومن الجدير بالملاحظة أن السبكي في كتابه قد دأب على توجيه النصح إلى أبناء المهن المختلفة مثل الجزارة والنسيج وغيرها، إلا أنه في حالة الشحاذين، يتخلى عن نصح أبناء هذه المهنة، ويتوجه بدلاً من ذلك إلى الدولة ويطلب معاقبتهم على يد المحتسب في دلالة على ما تسببه عاداتهم من أذى نفسي ومادى. أما إشارته الأولية عن مباركة الله

---

[٣٨٩] **سيرة علي الزيبق**، ١/ ٣٣٢.

[٣٩٠] **المصدر السابق**، ١/ ١٠٥.

[٣٩١] **المصدر السابق**، ١/ ١٩٠.

[٣٩٢] تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ١١٣.

[٣٩٣] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٥/ ٩٧.

للشحاذين فتوضح أنه لا يعتبر أنهم حالة ميؤسا منها ؛ ويبدو أن اهتمامه الرئيسي كان منصبا على الانطباع الذين يتكون لدى غير المسلمين. فمن الواضح أن وجود الفقراء المسلمين أمر يحرج السبكي، كما أن حقيقة أن إخوانهم المسلمين لا يهبون دائما لمساعدتهم، سواء لأسباب شرعية أم لا، هو فقط الذى يحزنه طالما أن هؤلاء الشحاذين يمثلون إحراجا للمجتمع المسلم(٣٩٤). والعلاج الذى يراه السبكي لهذا الموقف أنه ينبغي معاقبة وتأديب مثل هؤلاء الشحاذين(٣٩٥)؛ وهو ما أقره ابن تغري بردي بقوله:" وهذا من المنكرات التي لا ترتضيها الحكام، وكان من أوجب شأنهم أنهم إذا سمعوا هذا القول أخذوا القائل وأوجعوه بالضرب والحبس والمناداة على الفقراء بعدم التقسيم فى سؤالهم"(٣٩٦) وحتى لا يقولوا: لله، أو يذكروا شيبة أبا بكر الصديق وشعره الرمادى(٣٩٧). وطالب ابن تغري بردي بضرورة التضييق على المتسولين و:"التحجر عليهم بسبب ذلك حتى يلتفت أحد منهم إلى ذلك"(٣٩٨) وقد يظهر للسلطات المملوكية بعض من أكاذيب المتسولين فيمنعون لفترة، ولكن دون جدوى:" فما كان أحسن هذا لو دام واستمر"(٣٩٩) .أما ابن الحاج فقد اتخذ موقفًا أكثر تشددًا ضد الشحاذة لا سيما في المساجد، ويقرر أن هذا محرم، وأن مثل هؤلاء الشحاذين لا يجب أن ينالوا أية صدقة(٤٠٠). وهو مثل كثير من المحتسبين يقلقه أن المتسولين سوف يشغلون المصلين عن صلاتهم(٤٠١). رغم أن العديد من المصلين لم يعترضوا على منح الصدقات في المسجد، ويرون أن ذلك عملا من أعمال التقوى(٤٠٢)، وحسبما يقول فليكس فابرى كان شيخ الجامع يجمع الصدقات بعد صلاة الجمعة(٤٠٣).

ج-الأدوات الصوتية المستخدمة والتقنيات المساعدة في التسول:

---

(٣٩٤) آدم صبره، **الفقر**، ص ٨٢.

(٣٩٥) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣.

(٣٩٦) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٥/ ٩٧.

(٣٩٧) آدم صبره، **الفقر**، ص ٨١.

(٣٩٨) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٥/ ٩٨.

(٣٩٩) **المصدر السابق**، ١٥/ ٩٨.

(٤٠٠) ابن الحاج، **المدخل**، ١ / ٢٢٥.

(٤٠١) آدم صبره، **الفقر**، ص ٩٨.

(٤٠٢) **المرجع السابق**، ص ٩٩.

(403) Felix Fabri, the voyage in Egypt, Paris, 1975, p. 539.

إذا كانت اللغة تشكل أهم مكون في خطاب التسول، فإنها لن تصل إلى المتلقي وفق قصد مرسلها إلا بتكاملها مع عناصر أخرى، مثل: الصوت، ذلك أن الجمل ونداءات الاستجداء و غيرها يمكن أن ينطق بها شخص آخر بطريقة عادية و تنغيم مغاير فتؤدي دلالات أخرى، و بالتالي فهي تحتاج إلى اشتغال الأحبال الصوتية و مخارج الحروف وفق ما يتطلبه مقام التسول، وقد وصفها الشعراني بقوله:"صارت شحاذة بحسن عبارة"[٤٠٤] يذوب منها المرء كما يذوب الرصاص إذا سمع أو قرأ القرآن[٤٠٥] و هذا بالضبط ما يدفع المتسول إلى طلب المساعدة بصوت يغلب عليه الأنين و الضعف بغية التأثير العاطفي و النفسي في المتلقي، فيحاول أن يصور به العجز و المرض و العوز ونكد الأحوال، ليكون مطيته للاستعطاف و تحريك الدواخل و ترقيق القلوب. بقولهم: "رزقي على الله تعالى الذي خلقني وأنشأني، وأنه لم ينساني"[٤٠٦]. أو يرفع المتسول أكف الضراعة لكل من سيعطيه درهم أو كسرة خبز بقوله:" درهم لله الله ينزع ألم الفقر من جوفك ويزيل مرارة القهر من قلبك"[٤٠٧].أو يقف بأنين صوته قائلا:" أنا جائع فأطعموني"[٤٠٨].

يشحت بالقسم ويقلق الأمم أو يقسمون بالأنبياء والصالحين[٤٠٩]، ويتضجرون من سوء قلوب الناس!،" غالبهم يجلس بالشوارع ويتمنىّ، ثم يقسم على الناس بالأنبياء والصلحاء وهو يتضجر من قسوة قلوب الناس ويقول: لى مقدار كيت وكيت باقول فى حب رسول الله أعطونى هذا القدر اليسير فلم يعطنى أحد"[٤١٠].ولكن أغلبهم: "لا يرضى بما قسم الله، وقلبه ملآن من الحسد، ولا يشكر أحد"[٤١١].

والعبارات السابقة تدل على ردود الفعل في هذا العصر إزاء أفعال هؤلاء المتسولين وإدراك حيلهم وألاعيبهم التي تستهدف انتزاع الصدقات من جيوب الناس بأي وسيلة. وتدلنا النماذج السابقة على أثر عوامل التدهور الطبقي في زيادة نسبة الفقر والعوز سواء بين صفوف

(٤٠٤) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص، ١٠٨.

(٤٠٥) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٨٤٠.

(٤٠٦) **المصدر السابق**، ص ١٠٥.

(٤٠٧) **المصدر السابق**، ص ١٠٥.

(٤٠٨) **رحلة العبدري**، ص ٣٠٤.

(٤٠٩) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

(٤١٠) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٥/ ٩٧.

(٤١١) السيوطي، **المصدر السابق**، ص٥٦.

الموسرين الذين صودرت أموالهم أو في صفوف الطبقة الوسطى التي تآكلت تدريجيًا بفعل عوامل عديدة أبرزها الضرائب المجحفة التي تسببت في زيادة نسبة الفقر .

ولم تقتصر هذه الظاهرة على قاطني مصر فقط إذ ساهمت الظروف السياسية التي شهدتها المنطقة في توسع ظاهرة التسول فبعد أن أحيا السلطان الظاهر بيبرس الخلافة العباسية سنة ٦٥٩هـ/١٢١٦م أصبحت القاهرة موئلاً للهاربين من تفاقم الأحوال في مشرق العالم الإسلامي ومغربه على السواء، وظلت القاهرة هدفاً للرحالة المسلمين والرحالة الأوربيين طوال تلك الفترة[٤١٢].مما أتاح للمتسولين استجداء الغرباء والدعاء لهم بعد العطاء بقولهم:"أحسن الله إليك وبارك عليك، ورد غربتك"[٤١٣] واعتاد بعضهم مدح الرجل الغريب، وذم بخل أهل المدينة الذين لا يتصدقون على الفقير برغيف كامل ويحذرنا متضجرًا من مساوئ أهل القاهرة[٤١٤]، "ويحلف أنه ما فطر"[٤١٥]، "كيسه ملآن كسر"[٤١٦].

و فوق هذا يستعمل المتسول العديد من **التقنيات المساعدة** كالطرق على الأبواب[٤١٧] و الجلوس بجوارها[٤١٨] واشتهروا بالإلحاح في السؤال[٤١٩] وثقل الدم لحوح[٤٢٠]، ويلح عليهم في العطية[٤٢١] كما يستغل المواقف أحيانا فإذا لاحظ أنك استجبت له بسرعة أو أحسست بالخجل، فإنه يتجرأ عليك أكثر لانتزاع المزيد. و قد يوظف تقنية الإحراج إذا ما و جد رجلا بين أهله وعشيرته وخلانه، فيلتجئ إليه و يحاول إحراجه أمام مرافقيه فيتوسل منه أن يساعده ماديًا، وكأنه بذلك يضع رجولته وكرمه في الميزان، و هو ما يجعل المتلقي يسارع إلى التصدق ببعض النقود أمام خلانه في مشهد لا يقبل الضعف "إذ يرى نفسه في صورة

(٤١٢) قاسم عبده قاسم: **عصر سلاطين المماليك**، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤م، ص١٧٩.

(٤١٣) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، **الإمتاع والمؤانسة**، المكتبة العنصرية، بيروت ٢٠٢٠م، ١/ ٣٤.

(٤١٤) ماجدة حمود، **صورة الآخر في التراث العربي**، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.، ص ١٣٤.

(٤١٥) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

(٤١٦) **المصدر السابق**، ص٥٦.

(٤١٧) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص٩٥.

(٤١٨) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٣١١١.

(٤١٩) الشعراني، **مصدر السابق**، ص٢٠٦، ٢٢٦.

(٤٢٠) السيوطي، **مصدر السابق**، ص٥٦.

(٤٢١) ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ)، **الإشارات في علم العبارات**، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٤٧٦.

البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان"[٤٢٢].

كما أن بعض ذوي العاهات مارسوا التسول في الطرقات والأسواق، وتسببوا في إزعاج المارة بذلك[٤٢٣] مع التبطل والقدرة على الكسب[٤٢٤]، و"لو حلفت له بالطلاق ما يخليك ويروح"[٤٢٥] كإشارة إلى انتظار الطعام بقصد استعطاء الصدقة من الداخل والخارج[٤٢٦] ...الخ. في وصف شحاذ: لزوم الدبق حتى يأخذ، ثم ينسل انسلال الزئبق[٤٢٧]،" نذل من الأنذال"[٤٢٨]. كما يستغل المتسول العاطفة أحيانا لدى من يسالهم بقول المتسول:" أنا طالب من الذي عطاك فهو المعطي المانع"[٤٢٩].بل ويستغل العاطفة الإنسانية بندائه:" أنا وعيالي جائعين وإلى عودتي منتظرين ،فإن أردت أن تعطني ما معك فافعل، أنا ورزقي على الله "[٤٣٠]،" ما يكفيه كافية، فلا شفاه الله تعالى بعافية"[٤٣١].

كما يوجد وجه آخر للتبرير الديني حين كانت تلجأ بعض النساء إلى لبس القباء[٤٣٢] والقناع[٤٣٣] و توزيع نظرات صغيرة على الناس في الأسواق بدون أن تنبسن ببنت شفة، و هنا تبث العديد من الرسائل التي تروم التأثير في المتلقي[٤٣٤]؛ أو تظاهر المتسولات بالبكاء

(٤٢٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ٤/ ٢١٠.

(٤٢٣) ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت٤٢٤هـ)، **رسالة في الحسبة، ضمن كتاب: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.، ص ١١٣ ؛سعيد بنحمادة، **الإعاقة والمعوقون بالمغرب والأندلس في العصر الوسيط، محاولة في فهم أنماط الفعل والتفكير والاحساس**، رؤية للنشر، القاهرة ٢٠٢١م، ص١٠٥.

(٤٢٤) أحمد صبحي منصور، **العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٠٨.

(٤٢٥) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

(٤٢٦) **سيرة على الزيبق١**/ ٤٠٠.

(٤٢٧) الزمخشري، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، ٣ / ١٨٥.

(٤٢٨) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٧.

(٤٢٩) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٠٥.

(٤٣٠) **المصدر السابق**، ص ١٠٥.

(٤٣١) السيوطي، **صفة صاحب الذوق**، ص٥٧.

(٤٣٢) القباء: نوع من الرداء المحكم المشابه للقفطان، يصل طوله إلى منتصف عضلة الساق، مشقوق مقدمته، مغلق الصدر، كان ينسج من القطن او الصوف أو الحرير. محمد فارس الجميل، اللباس في عصر الرسول، ص٢٦؛ طلعت عكاشة، **الفتاوىٰ الدينية وأثرها في المجتمع مصر والشام عصر سلاطين المماليك**، دار عين، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ٢١٥.

(٤٣٣) القناع: غطاء اتخذته النساء لتغطية الرأس والوجه معًا، لا تظهر منه إلاّ العينان، يكون شفافًا أبيض اللون أو أسودًا أو له حاشية زرقاء أو زينية اللون. ماير، **الملابس المملوكية**، ص ١٢٣.

(٤٣٤) الجوبري، **المختار** ٣٧٩، ٣٨٠.

والنداء على الشباب اليافع في الطرقات باستعطاف: "قائلة له: يا شاب، الله يعتق شبابك"[٤٣٥]، وقد يصل الأمر إلى تقبيل الأرض بين يدي المتصدق منشدًا له:" سلام على أهل المكارم والعطا"[٤٣٦]، أو تقبيل الأيادي .

هذا و دون أن يغرب عن بالنا استعانة بعضهم المتسولين بالآلات الموسيقية و الغناء الشعبي ؛ لتحريك الناس وإغرائهم أكثر على التصدق والعطاءات فيعلو صوت الغناء ونغمات الموسيقى على صوت الصراخ، من أجل تهيئة الجو لإيقات رغبات المتصدق، فيتحول هذا المتصدق إلى مشارك في الأداء فيبدأ في التصفيق باليدين لإبداء الإعجاب، ثم التفاعل مع المتسول الموهوب مما يضفي على هذا النوع من التسول بعدًا جماعيًا في الأداء[٤٣٧] أو يسأل الناس بالقصص في شيء يقتات به هو وعياله[٤٣٨] ويظهر هذا النوع من التسول برواية القصص الشعبية[٤٣٩] كالظاهرية، وعنترة، والبطال، والراهب والجمال، وملاعيب شيحة أو سيرة النبي صلى الله عليه وسلم[٤٤٠] مرتبطًا بشخصية المتسول الموهوب الذي يجب أن يتمتع بالقدرة على الحكي والمرونة وعدم التصلب بتغيير طرائقه وأساليبه بما يتلاءم مع الموقف أثناء أداء روايته[٤٤١]، والتفنن في قراءة البخت للنساء ومعرفة الطالع وكتابة العطوف[٤٤٢] أو بالأشكال الفرجوية كحلقات بهلوان الحبل[٤٤٣] في مشاهد و لقطات متقطعة، فردية أو جماعية، سواء في الميادين أو الأسواق بعجيبها وضجيجها[٤٤٤]، يدخلون البسمة و الارتياح على الناس قبل الالتجاء إلى التسول و طلب (المقابل)[٤٤٥]. إذ كانوا أحيانًا

(٤٣٥) **سيرة علي الزيبق**، ١/ ٢٦٤.

(٤٣٦) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٧٣.

(٤٣٧) محمد ناسمي، **تداخل بعض أنواع التراث الشعبي في نداءات الباعة**، مجلة الفنون الشعبية، العدد ٢٤ ،وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١٨م، ص ٥٠، بتصرف.

(٤٣٨) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٣٢٧.

(٤٣٩) يوسف الشربيني، **هزّ القحوف**، ٢/ ١٦٦.

(٤٤٠) **المصدر السابق**، ٢/ ١٦٦.

(٤٤١) محمد ناسمي، **تداخل بعض أنواع التراث الشعبي في نداءات الباعة**، ص ٥٠، بتصرف.

(٤٤٢) أحمد الحسين، **الأحنف العبكري شاعر المكدين والمتسولين**، مجلة التراث العربي، مج ٢٤، ع ٦٩، دمشق ٢٠٠٤م، ص٩٦.

(٤٤٣) عمرو عبد العزيز منير، **بهلوان الحبل في مصر المملوكية دراسة تاريخية** (مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية بكلية الآداب . جامعة كفر الشيخ بمصر) يناير ٢٠٢٢م، ص١٠٩.

(٤٤٤) فوزي محمد أمين، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي**، ص ٢٨٩.

(٤٤٥) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٠٥.

مثل «شمعة في الظلام»؛ لأن عروضهم الفنية الفرجوية كانت تتفوق على استنكارات الواعظين أو كتابات المشككين اليائسة(٤٤٦) وهو ما عبَّر عنه «إخوان الصفا» بتوصيفها بأنها: «ليست شيئًا سوى سرعة الحركة وإخفاء الأسباب التي يعملها الصانع فيها؛ حتى إنه مع ضحك السفهاء منها، يتعجب العقلاء أيضًا من حذق صانعها»(٤٤٧). وعدها اليوسي من أنواع الحكمة؛ لما فيها من الغرابة واللطافة(٤٤٨). وشرفها من الصناعة نفسها، فهي مثل صناعة المصورين والموسيقيين وأمثالهم(٤٤٩). فإبداع المتسول هنا يقوم على المرونة وعدم التصلب بتغيير طرائقه وأساليبه بما يتلاءم مع المواقف، ويفضل عدد من المتسولين المتجولين ممن لهم الموهبة والقدرة الأسلوبية واللغوية إلى إنتاج نداءات على شكل قصائد من الشعر الشعبي معتمدين في ذلك على الكلمة العامية المنطوقة والموزونة وتشبيهات وصور تغرف من البيئة المحلية والواقع البائس المعيش، وبصفة عامة على لغة تقوم على المرونة والقدرة على التكيف(٤٥٠) أي أن المتسول هنا لا يكتفي فقط بالسؤال بل يعمد أحيانًا حسب مهاراته إلى مزج التسول بنوع من أنواع الفنون التي تحول التسول من استجداء قح صرح إلى تقديم عرض فني على قارعة الطريق يكون مبررًا لطلب المال من المارة.

وقد قدم لنا ابن دانيال الموصلي صور لأبرز **مفردات اللغة** التي تشكل أهم مكون في نداءات المتسولين الموهوبين بإبداعات مختلفة باختلاف أبعادها الثلاثة: البيولوجية (المادية أو الحسية)، والسوسيولوجية (الاجتماعية)، السيكولوجية (النفسية)، في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي(٤٥١)، من خلال كتابه «طيف الخيال». صحيح، أن هذه الفئات الاجتماعية الخدمية، لم تكن على هامش حياة المجتمع في عصر السلاطين المماليك(٤٥٢). مما يعني استمرارية دورهم في الوسط المجتمعي، إلا أن هذا لم يمنع معاناة هذه الطائفة من ضعف الإمكانيات الاقتصادية التي تدفعهم إلى اعتماد فئة كبيرة منهم على ما يجود به العامة

(٤٤٦) أوين ديفيز: **السحر مقدمة قصيرة جدًّا**، ترجمة: رحاب صلاح الدين، ط١، القاهرة، هنداوي للنشر ٢٠١٤م، ص٥٩.

(٤٤٧) إخوان الصفا: **الرسائل** (تحقيق: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر ١٩٥٧)، ص١٠٥.

(٤٤٨) اليوسي: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي، ت ١١٠٢هـ: **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١ م، ٤٢/١.

(٤٤٩) **الرسائل**، مصدر سابق، ص١٠٥.

(٤٥٠) محمد ناسمي، **تداخل بعض أنواع التراث الشعبي في نداءات الباعة**، ص ٥٠، بتصرف.

(٤٥١) عمرو عبد العزيز منير: **أهل الحيل والألعاب السحرية في عصري الأيوبيين والمماليك**، ص٤٣.

(٤٥٢) عطارد شكري: **مصر المملوكية في بابات ابن دانيال** (القاهرة، مجلة الفنون الشعبية، ع٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩)، ص٢٠٤.

في الأسواق، والاحتفالات الخاصة، والعامة، أو استجداء الناس لإعانته على المعاش كشخصية "حَسُّون المَوْزُون" في البابة الثانية من طيف الخيال الذي تسلق الحبال ووقف على السيوف:" وأنا أُقْسِمُ بغُصْنِ قَدِّه، وَجُلَّنارِ خَدِّه، ورُمَّان نَهْدِه، لا أُنزِلُه إلَّا بدِرْهَمَيْن[٤٥٣]، ولو أَقَامَ على هذه السيوفِ يومينِ"[٤٥٤]. فيستعطفهم الموزون بقوله: يا لَلمروَّه، يا لَلفتوه! بحياتي عَلَيْكُمْ خذوني إليكم[٤٥٥]".

وتحدث ابن إياس عن متسول آخر: "وهو واقف على حمل فيه سيوف مسلولة"[٤٥٦] وكذلك شخصية "وثَّاب البَختِيَارِي[٤٥٧]" الذي يظهر في البابة الثانية من طيف الخيال، ويرتفع في الهواء بخفة ورشاقة دون أن يمسك بشئ، ويجلب انتباه المتفرجين بتخويفهم من سقوطه الذي لاشفاء منه لاستجدائهم لجمع قوت يومه فيخرج بـ"رِحالهُ وحِبَالُه والصَّوارِي، ويمشِي على الحِبالِ بقبقابِه[٤٥٨] والناسُ لِسُقوطِه في ارتقابِه، ثُمَّ يُصفِّقُ بيدَيْه والأبصارُ شاخصةٌ إليه"[٤٥٩]. "ويقولُ: يا ساده ما أَقدمت على هذا الخَطَر، إلَّا لأفُوزَ مِنْكُم ببَعْضِ الوَطَر ، ولوْ متُّ مكانِي، لما قصرتُم في تجهيزِي بأكفانِي، فرَحِمَ اللهُ مَنْ رَأَى تَوعُّرَ طُرُقي، ورشح ولو بقطرة في حَلقِي.

(٤٥٣) عرف العصر المملوكي ثلاثة أنواع من النقود هى: الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية، وكان النقد يقدر على أساس الذهب. وقد سادت النقرة الذهبية في العصر المملوكي الأول وكان عيارها ثلثين فضة والثلث نحاس، وقد ضربت في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، أيام السلطان الكامل بن العادل الأيوبي، وظل التعامل بها حتى تولى الظاهر بيبرس السلطنة، فضربت الدراهم الظاهرية وجعل نسبة الفضة فيها ٧٠٪ والباقى نحاسًا، ومع ذلك فقد ظلت الدراهم الكاملية إلى جانب الظاهرية شائعة الاستعمال حتى فسدت فى سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م.. انظر:العمري، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت٧٤٩هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م ٧/ ٦٨؛ القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ: **صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء**، ١٤ جزءًا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ٣/٤٤١؛ محمد عبد الغني الأشقر: **تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي**، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ١٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م، ص٢١٨.

(٤٥٤) ابن دانيال، **طيف الخيال**، ص٦٨.

(٤٥٥) **المصدر السابق**، ص ٦٩.

(٤٥٦) ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ٥/٢٥٢.

(٤٥٧) من الحرف التي زاولتها الطبقات الشعبية والتي أطلق عليها: الحرف الرذيلة أو الدنيئة أو السافلة: حرفة لاعب الأكروبات وعمله القيام بألعاب مختلفة كالصعود على قطع الخشب الصغيرة، والوقوف على حد السيوف والمشي على الحبال، والإتيان بحركات عجيبة تدهش المتفرج وتشد انتباهه. والبختياري من المقامات الموسيقية العراقية التي تشمل (لامي- خنبات- دشتي- إبراهيمي- منصوري- مخالف- بختياري- حديدي- أوج- نوى- إصفهان- حسيني- مدمي- قطر- بنجكاه- طاهر-محمودي- شرقي- دوكاه- أرواح- ناري- حليلاوي- راشدي). انظر: محاسن الوقاد: **الطبقات الشعبية**، ص١٤٥.

(٤٥٨) القُبْقاب: نوع من الأحذية يستعمله الرجال والنساء دائمًا على حد سواء داخل الحمامات، وهي من الخشب، ولها من الارتفاع أربع أو خمس عقد، يظهر بمظهر الغرابة. دوزي، **المعجم**، ص١٧٥.

(٤٥٩) ابن دانيال، **مصدر سابق**، ٨٢.

فإذا فَتَحَ الجَيْب وانهلَّ السيب قبَّل الأرض وقال: أديتُ الفَرْضَ، ويَنْصرِفُ"[٤٦٠].

يشير رحالة إلى استجداء متسول آخر:" بقوله: يا أهل الإسكندرية أعينوني على السفر وأنا أريكم عجائب هذه الصنعة، فلما نزل إليهم ليجمع منهم شيئاً من الدنيا، فروا كالعرب المأخوذة"[٤٦١]

يصور الشاعر ابن دانيال الموقف نفسه حين يلجأ المتسولون إلى" النصارى واليهود والقسوس"[٤٦٢]، ينقل لنا على لسان أحد المتسولين في فرقة المشاعلية[٤٦٣]، في العصر المملوكي (والذي لم يترك وسيلة ولا دعاء إلا ودعا به هذا اليهودي المترف ويستعطفه باستثارة مشاعره الدينية ليجعله يتألم لتسوله، ولكنه في نهاية المطاف يبدو أنه قد يئس منه واقتنع ببخله) يقول:

هاتِ اعطِني يا سـيدِي	يا سـيدي لا زِلتَ لي
وإنْ أَتَىٰ مِنَ اليهودِ	ريسًـا ذا جَـدلِ
يقولُ يـا زَيْنَ اليهودِ	فـي اليـهـودِ الأولِ
يـا نورَ شَـبُّوتِ[٤٦٤]	الكنيس بـالقـديم الأزلِ
بنجـل عمرانَ كليم	اللهِ ربِّ الـمِـلَـلِ
بـالعَشْـرِ كلمـاتِ التي	نُوجِيَ بها في الجبلِ[٤٦٥]

(٤٦٠) **المصدر السابق**، ص ٨٣.

(٤٦١) كبريت، محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي (ت١٠٧٠هـ)، **رحلة الشتاء والصيف**، تحقيق: محمد سعيد، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٥م.، ص ١١٩.

(٤٦٢) السيوطي، **صفة صاحب الذوق**، ١/ ٥٧.

(٤٦٣) (المشاعِليّة) الذين يحملون المشاعل، وهي من أهم الوظائف التي وقع عليها عبء تنفيذ العقوبات، كالإعدام والجَلْد والتوسيط والتشهير وغيرها. ويبدو أن المشاعلي تمثل في أذهان الناس في صورة بشعة تدعو إلى الفزع والخوف من مجرد رؤيته أو سماع اسمه، وهو ما تصوره لنا بابة ابن دانيال هذه، وقد ارتبطت المشاعلية فيما بعد بجماعات الفجر. انظر: **صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا**، ٢/١٤٦؛ المقريزي: **الخطط**، ٢/٤٣٦؛ تاج الدين السبكي: **معيد النعم ومبيد النقم**، ص١٤٣؛ علاء طه: **السجون والعقوبات في عصر سلاطين المماليك**، ص١٦٤.

(٤٦٤) الشبوت: سبت السبوت وهو عيد كبير لليهود. انظر: محمد الهلالي: **ثلاث مسرحيات**، ص١٧.

(٤٦٥) الوصايا العشر هي القوانين العشرة –حسب الكتاب العبري– التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وهي أحد أهم الوصايا التي نزلت علىٰ بني إسرائيل ويصل عددها إلىٰ ٦٠٠ وصية موجودة في العهد القديم. وهي أسس أخلاقية في اليهودية والمسيحية، ومضمونها موجود في تعاليم الإسلام. انظر: **كتاب طيف الخيال**، ص ٢٣٤.

بنصّ توراة براشـيتَ[٤٦٦] علـىٰ الـتوسُّـــلِ[٤٦٧]
وبــالأفــاطير[٤٦٨] التي تفســـيرهــا لم يُجْهَــلِ
بـــآلِ يَـــعْـــقُـــوبَ وإســـرائيل في التوسُّـــلِ
جُدْ لي بفَلْسٍ[٤٦٩] أحمرٍ كجمرةٍ في مِشـــعلِ[٤٧٠]

ويستخدم ابن دانيال أسلوب النهي للتعبير عن بخل اليهود في العطاء للمتسولين في شوارع القاهرة، فهم يماطلوا من بذل المال وإن كانوا أغنياء، يقول على لسان أحد المتسولين في فرقة المشاعلية: "ولا تهلخني ولا تمطل ... مطال البخل"[٤٧١] .

إن المتأمل في نداءات واستعطافات المتسولين التي يوظفونها للترويج لحالهم والدعاية لأنفسهم لغرض تكسب المال، يكتشف تعددًا وتنوعًا في أشكال صياغتها، وعدم جمودها وتصلبها في نمط واحد، نظرًا لتداخلها وتأثرها بأنواع أخرى من التراث لدرجة تتلاشى معها الحدود والضوابط بين نداءات المتسولين، وهو ما تحاول الدراسة الكشف عنه عبر تحديد درجة التداخل بين نداءات المتسولين وتشاكلها مع التراث الديني واللغوي والإبداعي والوقوف على حجم العلاقات التي تنسجها معها[٤٧٢]. وتكشف عن ما يمتلكه المتسولون من مَلَكات ذهنية تصل بهم إلىٰ حد الموهبة بارعون في فن الاستعطاف تحت حجج واهية لاستجداء العطف والإحسان.

والسؤال كيف يستغل المتسول عنصري الزمان والمكان؟

---

(٤٦٦) يسمىٰ سفر التكوين في التوراة (بالعبرية: براشيت Bereshit)، أي: في البدء؛ وهو يشتمل علىٰ (٥٠) إصحاحًا، وفيه قصة خلق العالم وتكوينه، وقصص آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذريته ونوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وإبراهيم وذريته عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وينتهي باستقرار بني إسرائيل في مصر ووفاة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٤٦٧) محمد الهلالي: **ثلاث مسرحيات**، ص١٧.

(٤٦٨) الأفاطير: خبز غير مختمر يأكله اليهود في عيد الفصح، إشارة إلىٰ عيد الفطير عندهم. وفي سفر التثنية (آية ١٦: ٣) قال: «سبعة أيام تأكل عليه فطيرًا خبز المشقة». يرمز للمرارة التي عاشها الشعب في عبودية فرعون، وقد تحول هذا الحزن في ما بعد إلىٰ فرح، وصار من الأعياد المفرحة.

(٤٦٩) الفلس: جمعه فلوس، عملة صغيرة وكانت في القاهرة علىٰ نوعين؛ أحدهما المطبوع بالسكة، وثانيهما غير المطبوع، وكانت النصف عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر أو الأصفر ويعبر عنها بالعتق، وتسك بالسكة السلطانية، ويكتب علىٰ أحد الوجهين اسم السلطان ولقبه ونسبه، وعلىٰ الآخر اسم بلد ضربه وتاريخ السنة التي ضرب فيها، ثم نفدت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلوّ النحاس. انظر: القلقشندي: **صبح الأعشىٰ**، ٥١١/٣، ٥٣٦.

(٤٧٠) ابن دانيال، **طيف الخيال**، ص٨٥.

(٤٧١) **طيف الخيال**، ص ٨٥.

(٤٧٢) محمد ناسمي، **تداخل بعض أنواع التراث الشعبي في نداءات الباعة**، ص ٤٨، بتصرف ؛محيي الدين حمدي، **شعر المكدين**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، مج ١٧، ع ٦٦، دمشق ١٩٩٧م، ص٦٦.

يخطط المتسول لاستغلال أنسب الفضاءات زمانيا و مكانيا: فمن حيث الفضاء الزماني فإنه يستغل محورية أوقات الجنازات[٤٧٣]والاحتفاء بالميت في اليوم الثالث أو السابع أو تمام الشهر أو تمام السنة فيطعمون الأطعمة وتوزع الصدقات[٤٧٤]، فإذا كان الميت من الملوك مدت الأسمطة وأشعلت الشموع وفرقت الأطعمة على جموع الناس بما فيهم المتسولين[٤٧٥]. وأقبل المتسولون على التمركز في القرافة أيام الأربعاء (لأنه يوم مبارك) وأيام الجمعة من كل أسبوع.[٤٧٦] على أمل أن يتسولوا القليل من الفلوس النحاسية من المصلين الخارجين من الجامع.[٤٧٧] أو من أولئك الذين يركبون دوابهم وعلى ظهرها خرجًا مملوء من الخبز ويتوجهون إلى الجبانة فيتصدقون به على الطلاب أو الفقراء أو الشحاذين من المحتاجين[٤٧٨]، والقاطنين الواردين[٤٧٩].

كما يكثر عدد من المتسولين في الموالد:" ونادى المنادي يعلم الناس وينادي في الشوارع والأزقة وهو يقول: مولد أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ليلة الجمعة القابلة.. فازدحمت المواكب ونزل كل شحاذ إلى وصله طالب"[٤٨٠].وتكالب المتسولون والشحاذون في الشوارع "في أيام الجمع بشكل دائم،[٤٨١] وفي عيدي الفطر و الأضحى مع صدقات ورسوم تفرّق"[٤٨٢]. وختمات القرآن"[٤٨٣] إذ عاد الوزير والنائب من الدهليز خارج القاهرة إلى القبة المنصورية لعمل مجتمع بسبب قراءة ختمة كريمة في ليلة الجمعة ثامن عشري صفر منها، وحضر المشايخ والقرّاء والقضاة في جمع موفور، وفرّق في الفقراء صدقات جزيلة، ومدّت أسمطة كثيرة، وتفرّقت الناس أطعمتها حتى امتلأت الأيدي بها، وكانت إحدى الليالي الغرّ"[٤٨٤].

---

(٤٧٣) المقريزي، **الخطط**، ٤/ ٢٢٨.

(٤٧٤) سعيد عاشور، **المجتمع المصري**، ص ١٢٢.

(٤٧٥) **المرجع السابق**، ص ١٢٣.

(٤٧٦) **المرجع السابق**، ص ١٢٣.

(٤٧٧) آدم صبره، **الفقر**، ص ١٧٢.

(٤٧٨) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص٤٥٢.

(٤٧٩) **المصدر السابق**، ص ٤٨٠.

(٤٨٠) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٤٢٨.

(٤٨١) **المصدر السابق**، ص ٤٢٨.

(٤٨٢) المقريزي، **الخطط**، ٢/ ٢٨٨.

(٤٨٣) **سيرة الظاهر بيبرس**، ١٦٥٨.

(٤٨٤) المقريزي، **الخطط**، ٤/ ٢٢٨.

وكذلك الأعياد الدينية للأقباط واليهود[٤٨٥] وللمسلمين كالنصف من شعبان[٤٨٦] وشهر رمضان[٤٨٧] أو طلعة المحمل الشريف؛[٤٨٨] ودوران المحمل من باب النصر إلى ميدان الرميلة إلى الريدانية في شرق القاهرة، ومنها يسافر في الطريق إلى الحجاز[٤٨٩].

وكان الاحتفال يتم مرتين سنويًا ؛ في شهري رجب وشوال، كانا يؤثران تأثيرا كبيرًا في الحياة اليومية للمتسولين آنذاك نتيجة ما يفعله الحجاج في الطريق من البر والصدقات وفعل الخيرات[٤٩٠] وقد شاع عن الظاهر بيبرس كثرة صدقاته في طريق الحج وما فرقه من أموال جسيمة حتى ساوى الفقير بالأمير[٤٩١] وما شاع في المدونات التاريخية عن رحلة حج الملك منسي موسى بن أبي بكر التكرور في سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م[٤٩٢]، فكان كثرة ما أعطاه من الذهب مؤثرًا في انحطاط سعر الدينار بالديار المصرية.[٤٩٣].

أو أن يتقرب إلى العامة بالعطف على الحجيج كما فعل السلطان الأشرف" قانصوة الغوري" عندما نزل في رمضان سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م إلى سبعين حاجًا من المغاربة قصدوا الحج فرسم لهم السلطان بدينار أشرفي لكل واحد، ومنح الصدقات على أرواح السلاطين من قبله وأنعم على القراء والصوفية والشحاذين وخادمي الأضرحة[٤٩٤] نظرا لسلطتها الروحية و العاطفية على المسلمين، فهو يعي جيدا أنها مناسبات للتقرب إلى الله بالإحسان إلى الفقراء[٤٩٥] بالصدقات و الزكوات[٤٩٦]؛ لينظر في أمر الرعية والتخفيف عنهم[٤٩٧]، ولذلك يحاول أن يقدم

---

(٤٨٥) المقريزي، **تاريخ الأقباط القول الإبريزي للعلامة المقريزي**، تحقيق، عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة ١٩٩٨م ،١/ ٢٣٦؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٩.

(٤٨٦) فوزي محمد أمين، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي**، ص ٢٦١.

(٤٨٧) **بدائع الزهور** ٢/٤٧٤.

(٤٨٨) **المصدر السابق**، ٢/ ٢٣٨.

(٤٨٩) قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٤٩٠) **بدائع الزهور** ٢/ ٢٣٩.

(٤٩١) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٢٠٤٥.

(٤٩٢) ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ١/ ٤٥٢.

(٤٩٣) طلعت عكاشة، **المراسيم وأثرها الاقتصادي في مصر والشام عصر سلاطين المماليك**، عين للدراسات، القاهرة ٢٠١٨م، ص ٥٥؛ عبد الله عبد الرزاق، **انتشار الإسلام في أفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٢٠، ٢١.

(٤٩٤) طلعت عكاشة، **المراسيم**، ص ٥٠، ٥١.

(٤٩٥) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٨٤٠.

(٤٩٦) **بدائع الزهور** ٢/٤٧٤.

(٤٩٧) **المصدر السابق**، ٢/٤٧٤.

نفسه كمرشح لأخذ الحق الذي أمر به الله مستعينا بخطاب يذكر فيه بأنه لن يقوم سوى بالواجب، و بأن الله عنده الجزاء على فعله هذا(٤٩٨).

ويبدو أن أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ) قد لمس في القاهرة شيئًا لم يألفه في بلاده، فقد قال ما نصه:" وهى مستحسنة للفقير الذي لا يخاف على طلب زكاة ولا ترسيمًا وعذابًا عليها"(٤٩٩) ورسم صورة حية لحياة الفقراء من عامة القاهرة آنذاك:" والفقير المجرد فيها مستريح"(٥٠٠)، وقد لاحظ زوار القاهرة في ذلك العصر أن هناك عددًا كبيرًا من الفقراء يعيشون في القاهرة، وفي الفترة التي زار فيها" ابن سعيد" القاهرة كانت أمور الحياة سهلة ميسورة كما يبدو من النص؛ فالخبز متوفر ورخيص(٥٠١).

"فأهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يدا"(٥٠٢) على حد قول شهاب الدين النويري. وحسبنا ما كتبه (ابن خلدون) عن عطف أهل مصر على الفقراء والشحاذين والغرباء لدرجة تدفع بفقراء العالم للنزوح إليها (٥٠٣)، فما أحنهم على المسلمين، وأحبهم في الغريب(٥٠٤). ويخبرنا" غريب" بابات ابن دانيال الموصلي أن أهل مصر يشفقون على الغريب، ويأخذ شخصية الغريب الواعظ ليصف لإخوانه كيف يمكن أن يصيروا في مصر شحاذين ناجحين بقوله:" وسيرُوا في البلاد وانْصِبوا الشباكَ على العباد، فالغريب مَرْحُوم، والمرءُ يسعَى في الرزق والرِّزقُ مقسوم واعْلَموا – رحِمكم الله تعالى – أن مِنَ الفلْسِ يجتمعُ الدينار، والصَّدقة بالحَبة هَيِّنةٌ"(٥٠٥)

مصادر التاريخ تُظهر لنا بجلاء أن أغلب المتسولين كانوا يقيمون في **أماكن** غير صحية فضلا عن عدم امتلاكهم مأوى أو لرغبتهم في ذلك انطلاقا من ثقافة الفقر والتكيف

---

(٤٩٨) عبدالرحيم الخلادي، **قراءة في خطاب التسول، أنفاس من أجل الثقافة والإنسان**، يوليو ٢٠٠٩م.

(٤٩٩) ابن سعيد الأندلسي: **النجوم الزاهرة في حُلى حَضْرة القاهرة**، القسم الخاص بالقاهرة (تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م)، ٢٩، ٣٠.

(٥٠٠) ابن سعيد، **المصدر السابق**، ٢٩ .

(٥٠١) **المصدر السابق**، ٣٠، ٣١؛ قاسم عبده قاسم، **عصر سلاطين المماليك**، ص ٤٠.

(٥٠٢) النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) (ت ٧٣٣هـ): **نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الأول**، سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٧٩، ص٣٤٧، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت ٢٥٧هـ)، **فتوح مصر والمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥م، ص٦.

(٥٠٣) ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحاتة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م،٢/ ٨٠٥.

(٥٠٤) **رحلة العبدري**، ص ٣٢٠.

(٥٠٥) ابن دانيال الموصلي، **كتابُ طَيْفِ الخَيال**، ص ٣٩٧.

مع الواقع الاجتماعي في ظل تدنى المستوى المعيشي، والاعتماد على الوسائل الذاتية والخارجية للمتسولين على حد قول أحدهم:

نَحْنُ الْحَرَافِيشُ لَا نَسْكُنُ عِلَالِي الدُّورِ ... وَلَا نُرَائِي وَلَا نَشْهَدُ شَهَادَةَ زُورِ

نَقْنَعُ بِخِرْقَةٍ وَلُقْمَةٍ فِي مَسْجِدٍ مَهْجُورٍ ... مَنْ كَانَ ذَا الْحَالُ فَذَنْبُهُ مَغْفُورُ(٥٠٦)

وسكنوا في حجرات الجامع الأزهر أو الحجرات القائمة في مقابر القرافة(٥٠٧) أو الخرائب والأماكن المهجورة المدمرة بفعل العوامل الطبيعية، أو بفعل الصراعات والاضطرابات الداخلية، وتحت الأقبية، فمنهم من كان يقيم في خرائب، بظاهر القاهرة ككوم الزل" يأوي إِلَيْهِ أهل الفسوق من أوباش الْعَامَّة "(٥٠٨)، والتي عادة ما يشاركهم فيها الفئران والقوارض، والحشرات والهوام بشتى أنواعها(٥٠٩).

ولا شك أن **أقوى الأمكنة استقطابا للمتسولين** هي شوارع وساحات وأماكن غدت مرتعاً خصباً للتسول خصوصاً في الأماكن المزدحمة بالناس وتزداد تفاقمًا في الأماكن ذات البعد الديني كالمساجد:" ويقعدون على أبواب المساجد يشحذون المصلّين،"(٥١٠) أو أن" ينزل أحدهم إلى الجامع الأزهر(٥١١)، ويسأل الناس"(٥١٢) أو يسكن المقابر، والطواف بينها(٥١٣)، خاصة قرب مصلّى المغافر على الجنائز(٥١٤)، وفي المزارات والزوايا التي بالقرافتين قاطبة، وجوار مقام الإمام الشافعي، والليث رضي الله عنهما(٥١٥) وشرقيّ القرافة الصغرى بجانب مسجد الفتح، في الموضع الذي يعرف عند الزوّار بالبقعة(٥١٦)، وقرب المارستانات(٥١٧)؛

(٥٠٦) البُجَيْرَمِيّ، **تحفة الحبيب على شرح الخطيب**، ٤/ ١٨٩.

(٥٠٧) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ٢/ ٣٢؛ لابدوس، **مدن الشام**، ص ١٤١،عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥١.

(٥٠٨) المقريزي، **السلوك**، ٣/ ٤٠١.

(٥٠٩) المقريزي، **السلوك**، ٧/ ٦٩؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٤.

(٥١٠) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣.

(٥١١) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ١٩٧.

(٥١٢) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ١٢٢.

(٥١٣) ابن شاهين الظاهري، **الإشارات في علم العبارات**، ص٢٤٤.

(٥١٤) المقريزي، **الخطط** ٤/ ٣٣٣.

(٥١٥) انظر حوادث سنة ٩٢٨هـ، **بدائع الزهور** ٢/ ٤٨٠.

(٥١٦) المقريزي، **الخطط** ٤/ ٣٣٣.

(٥١٧) **المصدر السابق**، ٣٤٧/٤.

لصدور مراسيم قصر صرف الأطعمة والأشربة على الضعفاء والفقراء والمتسولين بالبيمارستانات ومجاوريها[٥١٨] أو بين القصرين، والمدارس والقباب[٥١٩] والخوانك والربط والزوايا والمشاهد والمقابر والقرافات ومساجد القرافات والجواسق والمصليّات ومعابد اليهود[٥٢٠]أو تحت القلعة[٥٢١] أو قرب الكنائس وموالد الأقباط من أجل الكسب وطلب الصدقات منهم و اعتاد المتسولون والشحاذون في عيد الميلاد من كل عام التجوال في الطرقات يسألون الأقباط، فمنهم من يتصدق عليهم بفانوس صغير لا يزيد ثمنه عن درهم.[٥٢٢]

ومنهم من يختار هذه الأمكنة ببراعة لمعرفته أن الناس –كمسلمين وغير مسلمين– سيساعدونه، واعتياد إجزال العطاء للفقراء في تلك الأماكن "وأخذ معه جانبًا من الدراهم للصدقة على ما جرت عادته كل مرة وسار في هذا الطريق"[٥٢٣]، وقد تتجاوز الصدقات ثلاثة آلاف دينار شهريًا[٥٢٤]. وقد يؤدي تزاحمهم على تلك الأماكن أن تزهق أرواحهم طلبا لصدقات الذهب:" فَاجْتمع تَحت القلعة مِنْهُم عَالم كَبِير وازدحموا لأخذ الذَّهَب فَمَاتَ فِي الزحام مِنْهُم سَبْعَة وَخَمْسُونَ شخصا مَا بَين رجل وَامْرَأَة وصغير وكبير"[٥٢٥].

ومنهم من يستغل لحظات الدفقة العاطفية تجاه الخالق أو لوعة الفقد ليضمنوا عطاء جزيلا[٥٢٦]. إضافة إلى الانتشار في الشارع العام، أو الأحياء الكبيرة كحي الجمالية والصاغة[٥٢٧]، ويكثر" الشحَّاذون في الطرقات العامة المكتظة"[٥٢٨] والأسواق التي لا تخلو من الباعة والناس ليل نهار[٥٢٩]:" يسأل الناس في رغيف يقتات به، ومنهم من يطوف في

(٥١٨) طلعت عكاشة، **المراسيم**، ص ٤٤.

(٥١٩) المقريزي، **المصدر السابق**، ٤/ ٢٢٨.

(٥٢٠) **المصدر السابق**، ٤/١.

(٥٢١) المقريزي، **السلوك** ٥/ ٤٢٩.

(٥٢٢) المقريزي، **تاريخ الأقباط**، ٢٣٦؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٩.

(٥٢٣) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٢٠٥٤.

(٥٢٤) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٣٢١.

(٥٢٥) المقريزي، **السلوك ٥**/ ٤٢٩.

(٥٢٦) **بدائع الزهور** ٢/٤٧٤.

(٥٢٧) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٢٠٥٤.

(٥٢٨) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٢.

(٥٢٩) **رحلة العبدري**، ص ٢٨١.

الأسواق ويسأل التجار والسوقة في درهم فلوس يشتري به كبشة فول يأكلها"[٥٣٠] أو في سوق الخضر يستجدي أو يسرق خضرة[٥٣١] ومن المألوف في القاهرة الأكل في الأسواق، والطرقات والمحافل والعرض[٥٣٢] مع اختيار المتسول لمواضع استراتيجية قد يتقاتلون من أجل الظفر بها[٥٣٣].

و كذا الجولان قرب حوانيت التجار، والأثرياء من أهل الذمة:" بل يشحت من النصارى واليهود والقسوس"[٥٣٤] ورصد الداخلين و الخارجين لاستغلال لحظات انتشائهم بالمال؛ ليستوقفنا تاجر من أهل الذمة امتهن الاشتغال في الجواهر والرقيق:" وعندما هم التاجر بالسفر وأثناء فواته خط الجمالية عارضته حسنة الشريفة ولقبها أم العيال وهى معتادة منه بالصدقة فأعطاها خمسة دنانير، فقالت: يا سيدي انظر عيالي أيتام وعريانين، فقال لها: إن أوهبني الله السلامة، فلك عندي طاقة بفتة وطاقة شاش وشقة حرير ومقطع قماش، فقالت له: بلغك الله السلامة"[٥٣٥].

ومن أقوى المحاور التي يستغلها المتسول المحور المرتبط بالبيمارستانات[٥٣٦] سواء بالجلوس بقربها أو الوقوف على الطرقات المؤدية إليها ذهابا و إيابا، و ذلك لاستغلال الموقف الذي يكون فيه أهل المريض و هم يتمنون له الشفاء العاجل، فبتلك الصدقات يعتقدون أنهم يقدمون خدمة لمرضاهم، ثم لأنفسهم، لذلك يكثر المتسولون في هذه المحاور، ومنهم من يستغل عاهته أو دَهن جسمه أو يدَّعون الاستسقاء والصفار والعلل الباطنة[٥٣٧] للإيهام بمرضه، أو ادعاء العمى من غير عمى أو يكتحلون بالصمغ على أطراف جفونهم فتنطبق

---

(٥٣٠) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٢٢٠.

(٥٣١) **سيرة علي الزيبق**، ١/ ٣٣٢.

(٥٣٢) **رحلة العبدري**، ص ٢٨٢.

(٥٣٣) المقريزي، **السلوك** ٥/ ٤٢٩.

(٥٣٤) السيوطي، **صفة صاحب الذوق**، ١/ ٥٧.

(٥٣٥) **المصدر السابق**، ص ٢٠٥٤.

(٥٣٦) البيمارَسْتان بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب وستان بمعنى مكان أو دار فهي إذا دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان كما ذكرها الجوهري في صحاحه، وكانت البيمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية، إلى أن أصابتها الكوارث ودار بها الزمن وحل بها البوار وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها. فصارت كلمة مارستان إذا سمعت لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين. المقريزي، الخطط ٤/ ٢٦٦؛ أحمد عِيسى: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ١/٤.

(٥٣٧) الجوبري، **المختار في كشف الأستار**، ص ١٤٣.

وتلزق فلا يشك من رآهم أنهم عميان ويقف الواحد منهم في الطرقات يشكو ثم يرفع ثيابه ليظهره للناس مما يؤدي إلى تقززهم و إلى تعاطف عدد منهم[٥٣٨].

ومن جهة أخرى يستغل بعض المتسولين فضاءات الحانات لاستغلال الإحساس بالذنب عند المخمورين[٥٣٩]، و ربما استغلال سخطهم على الواقع إلى درجة أن هناك من يعلنها جهرا بأن السكير قد يحن و يعطف و يعطيك ما يعطيه الخارج من المسجد أضعافا مضاعفة" وكان أحد الوزراء المسالمة يكثر فعل الخير والصدقة مع الانهماك في اللذة ومعاقرة الخمر"[٥٤٠] ورصدت سيرة الظاهر بيبرس حالة الازدواجية بين الديني والدنيوي، التي تتصف بها شخصية مصرية لعجوز رتبت صدقات للفقراء رغم امتلاكها لخمارتين لبيع الخمور للشباب العازبين، والتي تدفع البعض للقيام بأعمال منافية للدين، وأحياناً للأخلاق، بهدف تحقيق غاية ذات بُعد ديني[٥٤١].أو أن تصف المصادر التاريخية أحد المماليك بأنه: "كان كثير الشر شرس الخلق جماعاً للأموال مع البر والصدقة!"[٥٤٢]، أو أن تصف المصادر التاريخية: "أحد الأمراء الكبار بالقاهرة، وكان ظالماً جائراً كثير الحرمة مسموع الكلمة مع كثرة صدقاته للفقراء خصوصاً الغرباء"[٥٤٣]. وقد يصل الأمر بواعظ كان معتكف على الخمر لا يصبر عنه يومًا واحدًا"[٥٤٤]. أو تسمع عن شيخ منسر ولكن فيه شيء من المروءة يحن على الضعفاء والمساكين، وإذا رأى متسزل متسبب وفقير الحال يمنع عنه أهل السوء[٥٤٥] .

<u>والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: ماذا أثمرت كل هذه الدلالات من تغيرات علي واقع المتسولين؟</u>

لقد تمتع المتسولون بإحسان الطبقات الحاكمة، وقد انعكس ذلك علي الثراء النسبي الذى تمنعوا به خاصة وقت الازمات، لاعتقاد بعض الولاة والحكام وهم في محور الابتلاءات

---

[٥٣٨] **المصدر السابق**، ص ١٤٢.

(٥٣٩) **سيرة الظاهر بيبرس**، ١٥١٥.

(٥٤٠) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ٣/ ١١١.

(٥٤١) **سيرة الظاهر بيبرس**، ١٥١٥.

[٥٤٢] ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ٣/ ١٧٩.

[٥٤٣] **المصدر السابق**، ١/ ٣٥٨.

(٥٤٤) الجوبري، **المختار في كشف الأستار**، ص ١٢٥.

(٥٤٥) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٥١٥.

والأوبئة[٥٤٦] أن تلبيتهم لطلبات المتسولين ستساعدهم على درء المصائب المحدقة بهم إذا ما تعلق الأمر بالأمراض و العمليات الجراحية و حتى بالموت؛ ولما برأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١هـ/ ١٣١٠م من مرض ألم به رسم بـ" أن يصرف من الخزانة المعمورة من خاصّيّة مال السلطان ألف دينار عين مصريّة"[٥٤٧]"وغالب هؤلاء ما يعرفون الله إلا وهم تحت المرض، إذا جرى عليهم مصيبة يجودون في حق الناس ويفعلون الخير "[٥٤٨]. "فأصابت أحدهم حمى حادة، وتصدق في مدة ضعفه بصدقات كثيرة جداً"[٥٤٩]. ولما مرض السلطان الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م وأراد استجلاب دعاء الناس له فلجأ إلى التصدق[٥٥٠].

وقد تصل الصدقة إلى مائة دينار كما فعل السُّلطانِ المَلكِ الأَشرَفِ قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م)[٥٥١]، مع أولاد نجار فقير وقفوا للسلطان بقصة يلتمسون منه شيئًا من الصدقة[٥٥٢]. كما يطفو على السطح الخوف من الإصابة بنفس العاهة، إذ يعتقد البعض و هم أمام متسول يكشف عن إصابته أنهم إذا لم يتصدقوا فإنهم قد يصابون بنفس العاهة أو المرض[٥٥٣]. وحين زاد البلاء بأحدهم أعتق جميع جواريه، ومماليكه وعبيده ورسم بإخراج عشرة آلاف أردب قمح من الشونة، وفرق الأعطيات على المجاورين والمتسولين والفقراء. [٥٥٤]

أما عن ردود أفعال المتسول إزاء الآخر المحسن فتتجلى في عدة مظاهر حسب الطبيعة النفسية و درجة الرضا و نوع تعاطي الناس معه ؛" وانطلقت له النساء بالزغاريت،

---

(٥٤٦) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٣٢٠.

(٥٤٧) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ٩ / ٢٣٧.

(٥٤٨) **بدائع الزهور**، حوادث ٩٢٨هـ، ٢/ ٤٨١.

(٥٤٩) ابن حجر العسقلاني، **المصدر السابق**، ٢/ ٤٩.

(٥٥٠) المقريزي، **السلوك**، ٥ / ٤٣٠.

(٥٥١) الأشرف قايتباي: أبو سيف الدين قايتباي المحمودي الأشرفي من أبرز ملوك الجراكسة، وهو خاتمة ملوكهم العظام، اشتراه السلطان برسباي ثم اشتراه الملك الظاهر جقمق وأعتقه، وترقى في المناصب الإدارية فارتقى إلى أمير عشرة ثم صار طبلخاناة في عهد الظاهر خشقدم ثم أصبح الأتابك الأكبر زمن تولبغا ثم وصل إلى عرش السلطنة سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) واستمر في الحكم تسعة وعشرين عاماً، وامتاز عهده بالنشاط العمراني الواسع. انظر ترجمته: (العُليمي٢٠٠٩ ج ٢: ٣٢١- ٣٢٢؛ الغزي ١٩٤٥ج ١: ٢٩٨- ٣٠١).

(٥٥٢) **بدائع الزهور**، ١/ ٧٠.

(٥٥٣) محمد رجب النجار، **التراث القصصي في الأدب العربي**، دار ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٤م، ص ٥٣١.

(٥٥٤) **بدائع الزهور**، ٤٧٩/٢.

وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة"[٥٥٥]، "فارتفعت الأصوات للسلطان بالدعاء من الخاص والعام"[٥٥٦]، ومن ذلك الشكر أن يقرأوا له الفاتحة بنية الشفاء[٥٥٧] أو اعترافا بالجميل بما ينم عن إحساس بالسعادة مشفوع بالقناعة. و هناك الامتنان المبالغ فيه كأن يكثر الدعاء و الشكر إلى حد يفوق قيمة العطاء بدرجات كثيرة[٥٥٨] قد تشفع للسلطان في ذهنيات العوام لإبقائه على عرشه والحيلولة دون خلعه؛ لإحسانه وإشفاقه، وصدقاته[٥٥٩]. أو كما فعل خياط تستر على الظاهر برقوق لما كان له من الإحسان ما لا يمكن وصفه[٥٦٠]، و هناك استعجال النظر إلى العطية حيث يهتم بعضهم بالنظر إليها أكثر من الاهتمام بالشكر" فحين تمد إليه الأسمطة يقبل عليها:"فطارت القصعة كما قيل في المعنى من الأقاويل .. ولم يبقى لعياله شيئًا منها كما كان يزعم أنهم "أطفال يتضورون جوعا حتى الموت" "[٥٦١].

أما حين تنعدم العطية أو تكون أقل مما ينتظر[٥٦٢] فإنه قد يقابلها بالاستغراب أو الاستهزاء فيحدج المتلقي بنظرة نارية أو بكلام معين[٥٦٣]، و قد يصل الأمر إلى حد إرجاعها إلى صاحبها أو الاحتجاج، وكما لا يأبه المتسولون بمظهرهم العام ولا بالسمعة السيئة في المجتمع عنهم ،وإظهار الجنون، أو إلحاق الإهانات بأية شخصية إن تمكنوا من ذلك[٥٦٤]، فمن ألفاظهم عند شتم من يبغضونه:" يا خوندة[٥٦٥]، يا سلاخ[٥٦٦]، يا علق[٥٦٧]، يا

---

[٥٥٥] **نفسه**، ٢/٤٧٩.

[٥٥٦] **نفسه**، ١/ ٣٢٠.

[٥٥٧] **نفسه**، ٢/ ٤٧٩.

[٥٥٨] **نفسه** ٢/ ٤٨٠.

[٥٥٩] **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٣١٢٨.

[٥٦٠] ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٤٠٧.

[٥٦١] **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٠٥.

(٥٦٢) ابن شاهين الظاهري، **الإشارات في علم العبارات**، ص ٣٨٢.

[٥٦٣] **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٧٥٥.

(٥٦٤) عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٦.

(٥٦٥) خوندة أي سيدة. دُوزِي، **تكملة المعاجم** ٤/ ٢٤٤.

(٥٦٦) سَلاَّخ: ساخر، هازئ، متهكم، دُوزِي، **تكملة المعاجم** ٦/ ١١٩.

(٥٦٧) العِلْق: الغلام الفاسد، اصطلاح متأخر، يقصد به المؤاجر الذي يبذل جسده لقاء أجر. انظر. تيمور، **معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية**٤/٤٣٠؛ عبود الشالحي: **موسوعة العذاب**، الدار العربية للموسوعات بيروت، ١٩٩٥م، ٢/٤٣٠.

منكوح"[٥٦٨] و ربما الشتم:" والصياح على نِسَائِهِ وأفحشوا فِي سبهن."[٥٦٩]، "وَصَارَت الحرافيش والعوام يشتمون"[٥٧٠] أو يدعون على من بخل عليهم بقولهم:" أسأل الله العظيم رب العرش الكريم رب موسى وإبراهيم وزمزم والحطيم أن يرزقك بالوالي في هذا النهار ويأخذك من دون العالم أجهار وأنت مكتف اليمين على اليسار ويتكلم فيك الصغار والكبار"[٥٧١].

جاءت سيرة الظاهر لتناقش بطريقة احترافية هذه المواقف عبر صور عديدة متناقضة للاستجداء على لسان المتسول بعد تعرضه لرفض العطاء بقوله:" الله تعالى يبليك بالغربة والشتاتة وتشحت ولا تنفعك الشحاتة وتأخذ الصدقة ويكون فيها شقاك وينقطع من أهلك رجاك وتشرف من الضعف على الهلاك وتقيم في بلاد أعدائك ولا ينفعك إلا الذي خلقك وسواك"[٥٧٢].

أو يصل الأمر إلى الهجوم على أصحاب العطية "حَتَّى كَانَ مِنْهُم من تهجم السوقة الحرافيش عَلَيْهِ وتنهبه"[٥٧٣]، فما قاسى من الناس خيرًا بسبب تلك الصدقة، وحصل له غاية البهدلة من الناس"[٥٧٤]، وقد تبيح السلطة للشحاذين والمتسولين والفقراء نهب غلال الأهراء التي يخزنها الأمراء ويمتنعون عن بيعها لإجبار الأمراء على بيع غلالهم للحيلولة دون نهبها على يد المتسولين والسوقة[٥٧٥]. لنرصد حال فئات كبيرة الحجم دفعها إخفاق الدولة عبر التاريخ المملوكي إلى امتهان التسول، ودفعت هي ثمن هذا الفشل، واستعملتها الدولة حينا وقمعتها أحيانا، لكنها لم تستطع حل الأسباب التي تدفع إلى الشحاذة. وربما لم تكن الدولة مهتمة أو غير قادرة تمامًا على توريط نفسها في المشكلات الاجتماعية، ولم تخش أن غياب مثل هذا التدخل قد يؤدي إلى العنف أو الجريمة إضافة إلى معاناة مجتمعية، ولم تحاول الدول تنظيم شئون الناس اليومية، أو معظم سكان المدن في الواقع[٥٧٦].

---

(٥٦٨) اليوسفي، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، ص ١٧٨.

(٥٦٩) المقريزي، **الخطط** ٣/٣٤٣.

(٥٧٠) **المصدر السابق** ٥/١٠٦.

(٥٧١) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٠٥.

(٥٧٢) **المصدر السابق**، ص ١٧٥٥.

(٥٧٣) المقريزي، **السلوك**، ٣/ ٢٠١.

(٥٧٤) **بدائع الزهور**، ٢/ ٤٧٤.

(٥٧٥) حياة ناصر، **أحوال العامة**، ٢٦٢.

(٥٧٦) آدم صبره، **الفقر**، ص ٢١.

وغياب تدخل الحكومة على هذا النحو في حياة الفقراء والمتسولين ينبئنا بشيء عن مفهوم الدولة في مصر عصر سلاطين المماليك، متمثلا في ثلاث وظائف: الضرائب، والجيش، والنظام القضائي، ولم يكن لديها بعثات دبلوماسية دائمة، أو وزارات للرعاية الاجتماعية وبالتالي فإن سكان المدن لم يكن لديهم سوى تعامل محدود مع السلطات، باستثناء المحاكم أحيانًا [٥٧٧].

وقد تحقق مهنة التسول «ثراء» لامثيل له، تساعد بعضهم على اكتناز الذهب وامتلاك العقارات[٥٧٨]:" يكنز الفضة والذهب ورؤيته في القذارة عجب، يسأل وعنده ما يكفيه بالمزيد، فكأنه من نار جهنم يستزيد، لا يشتري له حاجة بفلوس"[٥٧٩] ومع تطور أساليبهم أصبحت طرق التسول أشكالاً عديدة تدر على صاحبها الثروة:" وعاد الشحاذ لا يقبل الكسرة ولا الرغيف ولا يأخذ إلاّ الفلس"[٥٨٠] فتجد امرأة في العصر المملوكي كانت تدعي الصلاح وتدخل بيوت الأكابر، وحينما توفيت فوجئ الجيران بثروتها التي جمعتها من التسول وتخطت ذهب عين ثلاثة آلاف دينار وأثاث البيت بنحو من خمسمائة دينار، مؤكدًا أن تلك الحادثة كانت صادمة بالنسبة للمؤرخ ابن إياس خاصةً وأن تلك السيدة – التي أخفت أموالها – كانت تدعي المرض والفقر. وعُد ذلك من النوادر ومع ذلك كانت تأخذ من الناس الصدقة"[٥٨١]، وعند وفاة امرأة كانت تستعطي عند جامع ابن طولون وجد عندها سبعمائة دينار ما بين ذهب وفضة، وعدة أمطار فيها فلوس جُدد، وربع غزل نحوا من ثمانمائة ربعة فتعجب الناس من ذلك[٥٨٢]، ومات آخر تجاه سوق اليوسفية فوجد مخفيًا عنده أربعة آلاف دينار ما بين ذهب وفضة، وكان رث الهيئة يدعي الفقر والفاقة[٥٨٣] .

امتلاك العديد من المتسولين للأموال لم يكن يعني تغييرًا في نمط حياتهم، ورغم ما وجد في إرث بعضهم وملكيته الكثير من الأموال للعيش حياة كريمة دون السؤال إلا أن الطبع غلب

---

[٥٧٧] **المرجع السابق**، ص ٢٢.

(٥٧٨) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٧٠٢.

(٥٧٩) السيوطي، **صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم**، ص٥٦.

(٥٨٠) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ٩/ ٣٢٠.

[٥٨١] **بدائع الزهور**، ١/ ١٣٠.

[٥٨٢] **المصدر السابق**، ص ١٠٨.

[٥٨٣] **نفسه**، ص ١٠٨.

التطبع، حيث كانوا يرفضون صرف ذلك على أنفسهم. إذ تم القبض علي متسول شحاذ سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م فتبين أن لديه مائة وسبعون دينارًا، وعندما سأله السلطان عن مصدر ماله ادعى أنه قد ورثه عن أمه، وحاول السلطان أن يثنيه عن ممارسة الشحاتة، بأن قرر له من ماله مبلغًا من المال، يكفيه في كل يوم حتى ينتهى المبلغ الذي وجد معه، فرفض وأخذ يصرخ:"أعيدوا لي مالي، لا حاجة لي بكسوتكم"(٥٨٤). وقال الصيرفي:" فحصل من هذا الخبز نفع عظيم، فلم يعلم أن أحدًا مات في هذا الغلاء بالجوع بل اغتنى فقراء كثيرون منه، فإنه بقى لهم عدة مواضع من بيوت الأمراء، والأكابر يأخذون منها الخبز ويبيعونه"(٥٨٥)،" وبلغ الخبز العلامة العال عشرين رطلا بدرهم. وربّما عمل معدّل الخبز الذى للشحّاذين ويبيعونه فجاء سبعون رطلا بدرهم"(٥٨٦).

وقد أنكر ابن الجوزي ما يفعله المتسولون لأخذهم مال من يستحق الصدقات:"ومنهم من يظهر الفقر مَعَ جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون عَلَى الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وَقَدْ كان أحدهم يلبس الصوف صيفا وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دِينَار"(٥٨٧). وحسْبُنَا ما أشار إليه موفق الدين بن عثمان في قوله: " كان رجلُ بمصر يسمى عفان بن سليمان المصري، قد وجد في داره مالاً مدفونا، فصار عفان يتصدق من المال على الفقراء".(٥٨٨)

ولا نسوق الشواهد السابقة للتدليل على أن عدداً من المتسولين كانوا قد أحرزوا ثروات كبيرة، وإنما لنشير إلى تداخل عناصر عديدة لإخفاء الأموال لدى العامة ـ خاصة أهل الشحاذة والنصب (٥٨٩)ـ مع الخوف من طمع وبطش سلطة المماليك أو الخوف من الحسد وطلب الستر وما إلى ذلك، حتى أصبحت لازمة شعبية تظل باقية رغم اختفاء السبب أحياناً، وإذا أضفنا تراث

(٥٨٤) **نفسه**، ص ٢٥١.

(٥٨٥) الصيرفي، **نزهة النفوس والأبدان في حوادث الزمان**، ١/ ٤٢٥.

(٥٨٦) بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر٩**/٣٢٠.

(٥٨٧) ابن محمد الجوزي، **تلبيس إبليس**، ١٦٧/١.

(٥٨٨) موفق الدين بن عثمان: **مرشد الزوار إلى قبور الأبرار**، (تحقيق: محمد فتحي، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٥م)، ص ١٨٢.

(٥٨٩) الشعراني، **إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء**، تحقيق آدم صبره، ص ٩.

التَقَّيَة[٥٩٠] اتضح عمق هذا الأسلوب؛ وتقضي التقية أن يكتم المرء (ذهبه ومذهبه وذهابه).[٥٩١] أي لا يبدي أو لا يظهر أياً منها وتكشف عن مدى الخوف والكبت والذي دفع الناس إلى عمل الحفر العميقة؛ لإخفاء أموالهم، والذاكرة الشعبية لم تنس بعد الحكايات الكثيرة، عن القدور التي يعثر عليها فجأة، وفيها سكة الذهب والفضة، ضربت في عصر بيننا وبينه قرون وقرون، ولا تزال ألسنتنا تستعمل إلى اليوم عبارات تدل على هذه الصورة، وهي (إخراج ما تحت البلاطة) وكأن هذه الحيلة نتيجة ظروف تاريخية، ووسيلة حماية مقصودة، وتتصل بالتطور التاريخي للبلاد، وهذا ما يزيد من أهميتها بوصفها جزءاً من تطور الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لمصر.

ثالثا: التبرير الاقتصادي و الاجتماعي للتسول:

يمثله الحديث عن طبقة مستعلية، تتفيأ ظلال النعيم، وتلهو بالمال تبعثره يمنة ويسرة، بينما الشعب الكادح يزرح تحت أغلال الفقر، ترهقه الضرائب، وتثقل خطوه أعباء الحياة وتفصل بينه وبين الأمل حواجز من اليأس والقهر و الفقر المدقع[٥٩٢] و عدم القدرة على إعالة الأسرة و الحديث عن الافتقار للسكن. وتلازم أزمة الغلاء والجوع والمرض والوباء، وتفشي الفقر[٥٩٣] حيث تكون الأخيرة نتيجة طبيعية للظاهرة الأولى، ولا يخفف من وطأتها سوى منظومة الأوقاف[٥٩٤] الاقتصادية الداعمة للمجتمع المملوكي وإغاثة جماهير عريضة من الفقراء والمعوزين والمتسولين[٥٩٥]، إضافة إلى جهود السلطة في توزيع الفقراء على المقتدرين المماليك والمصريين لتوفير طعامهم، ومحاولة لضبط الأسعار[٥٩٦]، في حين كان حصولهم على القوت الضروري والعلاج جزءًا من مسئولية الحكام[٥٩٧]. والأمثلة عديدة:

---

(٥٩٠). الإسحاقي المنوفي: **أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، ص ١٠٥ ؛الحميري: **الروض المعطار** ،ص٥٥٤.

(٥٩١). ميكل ونتز: **المجتمع المصري تحت الحكم العثماني** (ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م)، ص١٦.

(٥٩٢) فوزي محمد أمين، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي**، ص ١٣١.

(٥٩٣) طلعت عكاشة، **الفتاوى الدينية**، ص ٢٥٧.

(٥٩٤) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا**، ص١٠٢.

(٥٩٥) طلعت عكاشة، **الفتاوى الدينية**، ص ٢٨٧.

(٥٩٦) **المرجع السابق**، ص ٦٢، ١٥٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢.

(٥٩٧) حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢١٧.

كحال المرأة المتسولة التي تستجدى بمرض زوجها أو وفاته[٥٩٨] و عن يتُم أطفالها[٥٩٩]، أو صاحب عيال محتاج[٦٠٠] أو عدم القدرة على العلاج[٦٠١].

لكن في المقابل ينقل قاسم عبده في كتابه "النيل في العصر المملوكي" ٦٢ أزمة اقتصادية، وقعت بين عامي ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م حتى ٩١٩هـ / ١٥١٣م، بمعدل أزمة أو مجاعة أو كارثة كل ٤ إلى ٥ سنوات على مدار ٢٨٨ عامًا، وكان ذلك كافيًا لانتشار وترسيخ التسول كحرفة[٦٠٢]. ولا مناص في هذا الصدد من الإشارة إلى العلاقة الطردية بين نقص النيل واستفحال الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي شاعت في هذا العصر، بل وغير من العصور بحيث أصبح نقص النيل عاملاً مشتركًا في الأزمات مما أدى إلى اتساع ظاهرة التسول .

وينتبه **الأدب في العصر المملوكي** إلى المعاناة التي تدفع بالعديد من الأطفال تحت وطأة الحاجة والعوز والفاقة إلى النزول في معترك العمل والمهن، والتسول، والشحاذة، والتعرض لإهانات واعتداءات، ومتاعب لا تليق بطفولتهم الغضة[٦٠٣]. وتشير وثائق الجنيزا إلى عقبة كانت تواجه الفقراءَ، وهى مشكلةُ عدم القدرة على شراء الطعام، أي توفير المقومات الأساسية للحياة ذاتها. بخلاف ذلك، تشير الوثائق إلى تأثير ارتفاع الأسعار وزيادة نسب الفقر طويل الأمد على الأطفال بوجه الخصوص، حيث دقت أكثر من وثيقة ناقوس خطر

(٥٩٨) **الوثيقة رقم T-S NS J430** من مجموعة وثائق الجنيزا الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University Cambridge ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=8788

(٥٩٩) التدهور الاقتصادي الذي ساد فترات من عهد المماليك أدى إلى تفشي الفقر، والفقر يعني ضعف المناعة وبالتالي يصبح الفقراء أكثر عرضة للمرض. عبد العزيز سليمان نوار، **في تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ١٣٥، ١٣٦ ؛ طلعت عكاشة، **الفتاوى الدينية**، ص ٢٥٧.

(٦٠٠) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ٢٢٨٦.

(٦٠١) **الوثيقة رقمII .Moss، 198** من مجموعة وثائق الجنيزا الموجودة في Mosseri Collection، currently at Cambridge University، Cambridge تشير إلى ويصف أحد المرضى طبيبه المعالج بأنه "كأنه يقطع لحمه بالمقص" ويأتي مرتين في اليوم ولا يرحم فقره. ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=26753

(٦٠٢) قاسم عبده قاسم، **النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٦٨.

(٦٠٣) حسن حبشي، **الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية**، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٤م، ص ١٥٦.

لسرعة إنقاذ أطفال عانوا الجوع والمرض[٦٠٤] وضعف النمو وسوء التغذية[٦٠٥].

ولم تقتصر حالة العوز على العامة من المسلمين فقط بل شملت أهل الذمة، وعدد كبير من الفئات العاطلة الذين التقوا جميعًا في أسفل البناء الطبقي للمجتمع في إطار التسول والاستجداء وممارسة أعمال السلب والنهب للأقوات في وضح النهار[٦٠٦] إذ أفادت وثائق الجنيزا التي وصلتنا من القرنين الرابع عشر، والخامس عشر الميلاديين عن تفاوت الوضع الاقتصادي والاجتماعي في مصر وأدت الفاقة والفقر المدقع بالبعض إلى الدعوة للتلاحم والتكاتف فكتب البعض التماسات عديدة بغية مساعدة مالية أو عينية أو لقيمات يقمن الصلب[٦٠٧] من أغنياء الناس أو من بني جلدتهم من رؤساء الطوائف الدينية أو من الأثرياء[٦٠٨] أو من الأمراء المسلمين[٦٠٩].، وأفادت وثيقة مالية بها قائمة الأشخاص المعوزين

---

[٦٠٤] **وثيقة رقم** LetterT-S NS J430 تشير إلى معاناة امرأة يهودية كفيفة وفقيرة الحال وجهت استغاثة ليهود الطائفة في الفسطاط لدفع أربعة دنانير عنها تكلفة قيام طبيب مسلم يتولى علاجها هي وطفلتها المريضة بداء الاستسقاء. يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/8788/

[٦٠٥] **الوثيقة رقم** LetterT-S 6J3.18، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/3621/

[٦٠٦] أحمد ماجد عبد الله الجبوري، **أحوال العامة في مصر في عصر المماليك البرجية** (٧٨٤ – ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٧م)، رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الآداب، جامعة آل البيت، ٢٠١٥م، ص ٣١.

[٦٠٧] قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ٦١.

[٦٠٨] **الوثيقة رقم LetterT-S K25.152**، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/34881/

الوثيقة رقم LetterENA 2739.5، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقعGENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/11968/

الوثيقة رقم State documentT-S NS 113.14، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/23568/

[٦٠٩] نجد وثيقة جنيزا بها التماس من أحد فقراء اليهود يصف فيها حاله وأنه وصل لحال من الفقر والعدم ولا يوجد من يقوم أو مراعاته.

الوثيقة رقم State documentENA 3952.6، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

والمعدمين مقسمة بالتساوي بين سكان العاصمة والمقيمين القادمين من الإسكندرية والشرقية والغربية والقرى المحيطة بالعاصمة (جميعها معدومة تمامًا)، ومدن مثل أشموم، ودمياط، وقوص[٦١٠] .وربما اعتاد الفلاحون المجيء إلى العاصمة لبيع الفائض من إنتاجهم أو زيارة أفراد العائلة، ولكن الاضطرابات والبؤس الاقتصادي في الأقاليم قد يؤدي إلى عدم رغبتهم في العودة إلى قراهم، ففي ذي القعدة ٨٢٧هـ / أكتوبر ١٤٢٤م نشبت اضطرابات في الوجه القبلي والبحري زادت من عدم رغبة الفلاحين في العودة وعدم تنفيذ قرارات السلطة إليهم بالعودة[٦١١].

ويمكننا أن نضيف اتساعاً أكبر للصورة، ونستشهد بما ذهب إليه حسن حبشي من أن الاحتكار المملوكي للمحاصيل والسلع، لم يؤد إلى إفقار المجتمع المصري فحسب، وإنما أدى إلى حرمان الأهالي من المواد الغذائية الضرورية، وبالتالي، مقاومتهم الصحية "المناعة الطبيعية" للأمراض[٦١٢]. وأعان عليها الفقر والجدب، ولعل أهونها مرض الجرب[٦١٣] والحكة والحب الفرنجي، وضربان العظم والمفاصل، والخراريج في أبدن العميان، ودود الأبدان[٦١٤] ومعها تضخم ظاهرة التسول والسؤال بين طوائف الحرافيش والأوباش والبطالين والعميان

https://geniza.princeton.edu/documents/10531/

[٦١٠] **الوثيقة رقم State documentT-S Ar.38.95**، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع :GENIZA LAB Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/4588/

تمت الزيارة في ١٧ /٦ /٢٠٢٢م؛

[٦١١] المقريزي، **السلوك**، ٤/ ٦٧٢؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٩٩.

(٦١٢) حسن حبشي: **الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية**، ص١٣٢-١٥٨؛ حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢٦٨.

[٦١٣] فوزي محمد أمين، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي**، ص ٢٦٩.

[٦١٤] الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص٢٠٩.

ومرضى الرمد[٦١٥]. والجلدية والدمامل والقروح[٦١٦] والصفراء[٦١٧] والعاهات وازدحمت بهم طرقات وشوارع القاهرة يسألون الناس الصدقة[٦١٨].

وهكذا يمكن القول: أن الأزمات الاقتصادية قد أدت إلى ما يمكن أن نطلق عليه سوء تغذية جماعي لدى فئات كاملة من المصريين عانوا من أعراض المرض بسبب عدم استطاعتهم تناول الحد الأدنى من الغذاء الذي يقيم الأود ونتيجة لما سبق فقد زاد عدد الوفيات

---

[٦١٥] ثمة إشارات عديدة في وثائق الجنيزا القاهرية تؤكد انتشار أمراض العيون بين الطبقات الشعبية. للمزيد انظر: عمرو عبدالعزيز منير، **(الطُّرُقِيَّة) أطباء الطريق في مصر المملوكية** (حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس بمصر، إبريل ـ يونيه مجلد ٥٠ لعام ٢٠٢٢م) ؛ **الوثيقة رقم T-S 8J17.15** من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge , Cambridge ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=7665

تمت الزيارة في ١٨ /٦ /٢٠٢٢م؛

وأيضا تم تحريرها وترجمتها في :

Goitein S. D., "Portrait of a Medieval India Trader: Three Letters from the Cairo Geniza," Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 50, No. 3 (1987), Pp.449-464;

الوثيقة رقم T-S K15.102 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University, Cambridge ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=8520

تمت الزيارة في ١٧ /٦ /٢٠٢٢م؛

الوثيقة رقم T-S 13J21.13 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University, Cambridge ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=3325

تمت الزيارة في ١٧ /٦ /٢٠٢٢م؛

الوثيقة رقم T-S 13J23.14 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University, Cambridge ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=3348

تمت الزيارة في ١٧ /٦ /٢٠٢٢م؛

الوثيقة رقم AIU VII.E.17 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Alliance israélite universelle bibliothèque, Paris ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=30329

تمت الزيارة في ١٧ /٦ /٢٠٢٢م.

[٦١٦] الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص٢٠٩.

[٦١٧] عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥٠.

[٦١٨] حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢١٧.

وأكثرهم من فئة الأطفال والغرباء الذين لم يكتسبوا المناعة الكافية كالسكان الأصليين[٦١٩] لا سيما مع اشتداد وطأة الأوبئة[٦٢٠] والتغيرات المناخية والجفاف وتوقف نزول المطر[٦٢١] أو العواصف أو الزلازل[٦٢٢] أو الأمراض الموسمية التي تكثر بين الفصول بسبب سيلان الأخلاط في فصل الربيع[٦٢٣] أو بسبب المستنقعات الناجمة عن زيادة النيل وتراجعه، وتعفن الكثير من الحيوانات والحشرات والطيور التي يغمرها النيل عند الفيضان[٦٢٤] بشكل غير عادي أو حتى عدم حدوث الفيضان المناسب في وقته المتوقع [٦٢٥]،وتلف المحاصيل بسبب الدود[٦٢٦]، أو قدوم الجراد[٦٢٧] وتكبد الناس الخسائر الفادحة التي تفوق طاقاتهم المادية والمعنوية[٦٢٨] وتفاقم الأسعار[٦٢٩]، "وتناقص البرد وتزايد الحر وزاد الموت فيقال جاوزوا الألف في كل يوم ومعظمهم أطفال ورقيق من جميع الأجناس"[٦٣٠].

مما دفع بالعديد من المصريين إلى التماس الدعاء وخروج الجميع الكبير والصغير، الغني والفقير الرجل والطفل لأداء صلاة الاستسقاء[٦٣١] والاستغفار [٦٣٢] والدعاء إلى الله لرفع البلاء[٦٣٣] أو اللجوء إلى المساجد ليل نهار[٦٣٤]، وقراءة صحيح البخاري من أوله إلى

---

[٦١٩] عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥٠.

[٦٢٠] قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ١٣٦.

[٦٢١] حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ١٨٥.

(٦٢٢) قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ٩٠.

(٦٢٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٤/ ٣٣٨ ؛ طلعت عكاشة، **الفتاوى**، ص٢٥٨.

(٦٢٤) عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥٠؛ قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ١٥٧، ١٥٨.

[٦٢٥] حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢٦٤.

[٦٢٦] قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ١٣٨.

[٦٢٧] **المرجع السابق**، ص ١٣٩.

[٦٢٨] حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢٨٥.

[٦٢٩] **المرجع السابق**، ص ٢٦٤.

(٦٣٠) يشير ابن حجر إلى الاختلالات المجتمعية جراء تزايد موت الأطفال" فشا الموت بالطاعون بالقاهرة بعد أن كان فشا في قرى مصر البحرية وكثر بالإسكندرية وتروجة والبحيرة والغربية ومنوف – العليا – والمحلة وعدة قرى، ووصل في اليوم بالقاهرة إلى ثلاثين، – ثم وصل في العشرين من ذي القعدة في اليوم إلى الخمسين ثم إلى الستين –، ثم تناقص إلى الأربعين – والثلاثين والعشرين – فما دونها ثم رجع إليها، وأكثره في الرقيق والأطفال ثم تناقص إلى العشرين في أول ذي الحجة". ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ٤/ ٧٤، ١١٦.

(٦٣١) قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ص ١٥٢.

[٦٣٢] قاسم عبده قاسم، **النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك**، ص ٦٩.

(٦٣٣) المقريزي، **السلوك** ٤/ ٣٦٣ ؛ ٧ /١٣.

(٦٣٤) المقريزي، **السلوك** ٦/ ٩٨.

آخره[٦٣٥].

ومن العوامل الأخرى التي أدت إلى انتشار الأوبئة كون القاهرة محطة مهمة من محطات عبور وعودة حجاج المغرب من وإلى الحجاز، فمع اقتراب موسم الحج تضيق القاهرة على اتساعها بدخول ركب الحاج المغربي مع احتمالية انتشار الأمراض الوبائية" إلى أن دخل الحاج فتزايد الوباء، ومات من أطفالهم ورقيقهم عدد جم، ويقال إنه جاوز الألف في كل يوم"[٦٣٦]. وقد شاهد طافور في أثناء زيارته للقاهرة بعض الفقراء بأياديهم الغرابيل وهم ينخلون الرمال[٦٣٧]، فسأل عن معنى ما رأى، فعلم أنهم الزعر والشحاذون الذين جاءوا يلتمسون شيئًا من الفتات المتساقط على الأرض من ذلك الجمع الكبير من الرجال[٦٣٨] مما يقف كشاهد على تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتدني الوضع الصحي للفقراء والمتسولين واشتداد البؤس والفاقة والجوع والعوز [٦٣٩].

مع غياب مفهوم الدولة ومسئوليتها المباشرة عن الأوضاع الاجتماعية الأمر الذي كان يدفع بالفقير أن يقنع بالجوع والكفاف ويقبل فقره ويتكيف عليه ويلهث إلى فتات الأغنياء وهو فتات محقر اجتماعيًا فالذي يستهلكه هم ذوو المنزلة الوضيعة. ويقف ذلك الفتات المتساقط كرمزية غذائية فئوية ولدها واقع معيش[٦٤٠] دفع بالفقراء أن يجمعوا العظام، ويكسرونها ويطبخونها ثم يجمعون الودك الذي يخرج منها ليأتدموا به"[٦٤١]. وهو ما يمكن تفسيره في ضوء نظرية ثقافة الفقر لأوسكار لويس[٦٤٢] إذ إن لثقافة الفقر بنيتها الخاصة

---

[٦٣٥] طلعت عكاشة، **الفتاوى الدينية**، ص٢٤٦.

(٦٣٦) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ٤/ ٢٢٤.

(٦٣٧) يقصد بهم طائفة من المتسولين ذُو الْقصعَة والمسراد هَؤُلَاءِ قوم ينخلون التُّرَاب فِي الطّرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الْأَسْوَاق بِالْمَاءِ وَيخرجُونَ إِلَى البيادر فليقطون القصى وَهُوَ مَا بَقِي فِي السنبل من الْحَبّ بعد أَن يداس، الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٣/ ٤٣١

(٦٣٨) طافور، بيرو، **رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي**، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، وطبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٩.

(٦٣٩) محاسن الوقاد، **الطبقات الشعبية**، ص ٦٩.

(٦٤٠) سهام الدبابي الميساوي، **الطعام والشراب في التراث العربي**، ص ٦١٦.

(٦٤١) **المرجع السابق**، ص ٢٩٧.

(٦٤٢) ظهر مصطلح **"ثقافة الفقر"** لأول مرة في كتاب:" إثنوغرافيا الإثنوغرافية" وقد أجري بحث بهذا الخصوص على خمس أسر مكسيكية، عام ١٩٥٩ من قبل باحث الأنثروبولوجيا-الأمريكي أوسكار لويس، الذي اشتهر بتصويره لحياة سكان الاحياء الفقيرة، والتي يتناقل فيها الفقر عبر الأجيال ليتجاوز حدود الدول. وكتب لويس يقول: "الناس في ثقافة الفقر لديهم شعور قوي بالهامشية، والعجز، والتبعية، وعدم الانتماء. إنهم مثل الأجانب في بلدهم، مقتنعون بأن المؤسسات القائمة لا تخدم مصالحهم واحتياجاتهم. جنبا إلى جنب مع هذا الشعور بالعجز هو شعور واسع النطاق بالدونية، وعدم الجدارة الشخصية. ن الفارق كبير بين علاج الفقر وعلاج ثقافة الفقر، فعلاج الفقر أسهل بكثير، بحيث يُعطى الفقير ما يكفيه من أموال ومعونات حتى يخرج من دائرة الفقر، ولكن علاج

ومرتكزاتها العقلانية فهى وسيلة تدفع الفقراء أن يستمروا في الحياة بواسطتها أو من خلالها ونجد أن من أهم المبادئ التي يقوم عليها المكون الاقتصادي لثقافة الفقراء منذ العصر المملوكي هو عدم الاهتمام بجودة السلع التي يحصلون عليها بقدر اهتمامهم بالكمية وبخس ثمنها أو مجانيتها مع غياب ثقافة التنويع التي تراعى القيمة الغذائية للأطعمة(٦٤٣).

رابعًا: الجريمة والتسول.

رغم أن المتسولين ظهروا في مصادر الحسبة ومدونات التاريخ كنتوء شاذة أو كبؤرة للاحتيال المجتمعي، إلا أنهم في الوقت ذاته مثلوا لنا مرآة عاكسة لمجموعة من الاختلالات المجتمعية السياسية والاقتصادية والسياسات غير المتوازنة على المستوى الاجتماعي، مثل: البطالة، وعدم وجود وسيلة مشروعة للعيش: «فإن الإنسان إذا احتاج احتال»(٦٤٤)، بل وعدم وجود محل إقامة مستقر(٦٤٥)، وتفاقم ظاهرة التضخم الاقتصادي نتيجة التلاعب بقيمة الدينار المملوكي(٦٤٦) وتهالك الناس المقتدرين على شراء الأقوات وتخزينها(٦٤٧)"، وصار أكثر الناس لا يقدر إلا على النخالة كل قرص أسود بنصف درهم، وأكل الفقراء السلق والطين"(٦٤٨) الأمر الذي يستدعي بالمتسولين وغير القادرين إلى اتخاذ الطرقات والأسواق والتجمعات الشعبية ميدانًا لتسولهم واستدرار العطف(٦٤٩).

فقد تدهورت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في كثير من الأوقات بحيث أضحت القاهرة ملاذًا لكل الهاربين من دمشق ونابلس(٦٥٠) والشام(٦٥١) والصعيد والأرياف(٦٥٢)، حتى

ثقافة الفقر أمر لا يمكن التعامل معه بسهولة، فهو يحتاج إلى زمن طويل، وتغيير نمط حياة الفرد وحياة الأسرة التي تعيش تلك الثقافة، لتنتقل من ثقافة الفقر إلى ثقافة الغنى أو الاكتفاء. وإن كان الفقر يولد الفقر، ويزيد معدل الأمية والبطالة وما يتبعهما من تزايد الجريمة والسرقة والعنف، إلا أنه في كل حالاته أقل أثراً من ثقافة الفقر". للمزيد: عمر أمين مصالحة، **ما بين الفقر وثقافة الفقر**، صحيفة كل العرب، ٢٠٢٤/٠٩/٢١؛ يانيك لوميل، **الطبقات الاجتماعية**، ترجمة، جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٢٦.

(٦٤٣) أسماء محمد نبيل إحسان، **ثقافة الفقر وآليات التكيف مع الواقع الاجتماعي** (دراسة ميدانية)،٧١٥- ٧٧٨.

(٦٤٤) الجوبري: **المختار**، ص٩١.

(٦٤٥) سيد عشماوي: **الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث ،القاهرة**، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م، ص١٧.

(٦٤٦) حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢٦٣.

(٦٤٧) حياة ناصر، **أحوال العامة**، ص ٢٦٤.

(٦٤٨) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، ١/ ٧١.

(٦٤٩) بريس دافين: **إدريس أفندي في مصر**، ترجمة: أنور لوقا، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م، ص٤٧.

(٦٥٠) المقريزي، **الخطط**، ٢/ ٦١.

(٦٥١) البيومي إسماعيل، **مصادرة الأملاك**، ص ٣٣٣.

(٦٥٢) **سيرة على الزيبق، ١/ ٤٠٠.**

صاروا فوجًا فوجًا في الطرقات[٦٥٣]، ومات عدد كبير منهم من شدة الجوع، واتخذ بعضهم التكدي والتسول وسيلة للعيش[٦٥٤]. أخفقت القاهرة في استيعاب العمالة الهاربة من كل فج مع اختلال التوازن بين عرض العمال والطلب عليه مما أجبر السلطة على محاولة تقليل التدفق الريفي واستخدام العصا الغليظة لتأديب هؤلاء الرعاع ووشمهم تمهيدًا لإعادتهم للريف، وربط أبناء كل منطقة بمجموعة من الضرائب والخدمات العامة، ومنع انتقال الفلاح من غير إذن المقطع[٦٥٥] واستغلال الرأي الفقهي الذي يرى ضرورة إلزام الفلاح بالعمل في الأرض وعدم السماح له بالهجرة[٦٥٦] ونادى السلاطين على أهل الريف بالخروج من القاهرة والفسطاط والعودة لبلادهم[٦٥٧] مع حث أصحاب الإقطاعات بأن يعمروا إقطاعاتهم ويصلحوا الجسور ورد الفلاحين الفارين لقراهم أينما وجدوا[٦٥٨] والحث الأمراء والأثرياء بالتصدق على الفقراء والمعوزين والمتسولين وقت الأزمات[٦٥٩]

ولكن تخفق الدولة في التدابير والاجراءات التي اعتمدتها لمكافحة ظاهرة التسول، ولم تعد هذه التدابير فعّالة بما فيه الكفاية ولم يكن لديها الرغبة لتعزيزها، ولا يفتأ المقريزي بين حين وآخر ينبه إلى ما وصل إليه أمر المصريين من فقر وجوع حتى مات بعضهم، وتشرد آخرون، وهلكت دوابهم، ولجأ الفقراء والمتسولون إلى أكل كل ما تصل إلي أيديهم؛ لأن غريزة البقاء واستمرارية الحياة تصبح القيمة الأعلى، فمنهم من لجأ إلى أكل الطين، حتى بيع قرص الطين المحلى بدرهم.. حتى كان الناس يقعدون في انتظار البائع[٦٦٠]، وبيعت دجاجة واحدة بأربعة

---

(٦٥٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ٢/ ٣٢٧.

(٦٥٤) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ٢/ ٣٢؛ لابدوس، **مدن الشام**، ص ١٤١،عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥١.

(٦٥٥) عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥١.

(٦٥٦) ابن تيمة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، **الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ص ٢٣، ٢٩ ؛ ابن عابدين، محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، **حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٦م، ٦/ ٣١٢؛ عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية**، ص ٣٥٢.

(٦٥٧) المقريزي، **السلوك** ٤/ ٦٧٢.

(٦٥٨) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ٤/ ١٠٤ ؛ سحر السيد إبراهيم، **الهجرات وتطور مدينة القاهرة في عصر سلاطين المماليك** ،رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، جامعة الزقازيق، ٢٠٠١م، ص ١٩٤.

(٦٥٩) ابن إياس، **بدائع الزهور**، ١/ ٣٨٢؛ ٤/ ٩٤.

(٦٦٠) الجوبري، **مصدر سابق**، ص ١٧٢.

دراهم فضّة[٦٦١].

وكأن المقريزي بذلك يشير إلى تلك المفارقة الصارخة بين هؤلاء السادة وطلاب المال والرفه وبين هؤلاء النفر المعدمين من المصريين، وما وصلوا إليه من فاقة وبؤس، بعد أن صور أهل الجاه وما هم فيه من نعيم ورفه[٦٦٢]. يدفعهم هذا الواقع الذى عاشوه من الضيق إلى السلب والنهب والتسول والخداع والغش[٦٦٣]، وتحولوا إلى متسولين[٦٦٤] وأجروا أنفسهم للثوار والأطراف المتحاربة، وأحيانًا انضموا إلى الفرق المملوكية المتناحرة ونهبوا بيوت الولاة أو المهزومين.[٦٦٥] في ظل تجاهل الدولة والمجتمع للمتسولين والمهمشين، لتزداد الجريمة في المجتمع وقد لا يجد المتسول مقطوع اليد وسيلة لقوت يومه سوى السرقة مرات ومرات فيقبض عليه، ويتم قطع رجله بباب القلعة[٦٦٦]ليصل إلى حالة اليأس ومع عدم قدرة الدولة على علاج ظاهرة التسول وآثارها الاجتماعية ومواجهة الجريمة لا تلبث السلطة المملوكية أن تضيق عليهم وتنفيهم إلى الفيوم[٦٦٧] أو إلقاء القبض على بعض من يقوم بالنهب والسلب، وقطع أيديهم وأرجلهم وإشهارهم وتسميره أو الاكتفاء في تكفين بعض من يموت منهم على الطرقات ودفنهم، بالتعاون مع بعض الأمراء أو وقف الطرحاء والمارستانات[٦٦٨]، ولكن دون جدوى.

وتشير المصادر التاريخية المتوافرة عن هذا العصر إلى التجاء هؤلاء المتسولين إلى العنف كوسيلة للحصول على الحد الأدنى اللازم لضمان بقائهم على قيد الحياة لهذا جابوا الشوارع

---

(٦٦١) زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت ٩٢٠هـ)، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، ٧٩/٢.

(٦٦٢) المقريزي، **إغاثة الأمة**، ص ٤٥ – ٤٧ ؛ فوزي محمد أمين، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي**، ص ١٤٩.

(٦٦٣) بدر الدين الزركشي (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ)، **سلاسل الذهب**، تحقيق، محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، المدينة المنورة، ٢٠٠٢م، ص١٩.

(٦٦٤) البيومي إسماعيل، **مصادرة الأملاك**، ص ٢٣٩.

(٦٦٥) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص، ٢٧٢؛ البيومي إسماعيل، **مصادرة الأملاك** ٣٠١/١، ٣٣١.

(٦٦٦) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ٤٢٥.

(٦٦٧) ابن الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي الدوادار المصرى، الأمير(ت٧٢٥هـ) **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: دونلد س.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠٦؛ بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥ هـ)، **عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان – عصر سلاطين المماليك [٦٤٨ – ٧١٢ هـ]** ،تحقيق، محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١٠م، ١ / ١١٠.

(٦٦٨) ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي (ت٨٥١هـ)، **تاريخ ابن قاضي شهبه**، تحقيق: عدنان درويش، ج٣، ق٢، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م، ٦٧٩/١؛ المقريزي، **السلوك**، ٦٥/٧، ٢٠٤؛ ابن حجر، **إنباء** ١٣٦/٥، ١٣٧، ٤٠٩/٦؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٦.

والحارات بحثًا عن رزق أو استغلال أي فرصة للسرقة (خاصة الخبز، واختطافه من الأفران مثلما حدث في سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م من شدة الجوع دون الخوف من الدولة التي واجهت الاضطرابات بمزيد من القمع والعقاب وقطع الأيادي والأرجل وإشهارهم[٦٦٩] وتكررت الجرائم في سنتي ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م، ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م حتى أن المتسول كان يدور في الشوارع صائحًا بأعلى صوته:" أعطوني لله تعالى لبابة في قدر شحمة أذني أشمّها وخذوها، فلا يغاث، ولا يزال على ذلك الصياح حتى يموت، ولم يوجد ما يقوت به، وشحّت قلوب الناس لا سيما الأغنياء"[٦٧٠]" ويتضارب اثنان على رغيف من الخبز فيحنق أحدهما من الآخر فيضربه بسكين كان معه فقتله"[٦٧١] أو يتسابق المتسولون على سرقة أي شيء وكل شيء حتى الفلس والدرهم أو حبة فاكهة[٦٧٢] حتى المصاحف في الجوامع[٦٧٣] وامتدت الأيادي إلى سرقة العمائم[٦٧٤] النعال والأمتعة[٦٧٥] أو عمل زغل[٦٧٦] أو سرقة زيت الوقود[٦٧٧] وتجرأوا بشكل لافت ووصل الأمر إلى قطع الطرق أو أخذ بعض مراكب الغلال ونهبها ثم إحراقها[٦٧٨] وفي مجاعة عام ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م أقبلوا على اختطاف الخبز من أيدي الناس[٦٧٩]. بل أن مكدّيّ متسول اقترب من تاجر وسأله، فقال تاجر له: «يفتح الله» فخطف من يد التاجر أوراق حساب كانت في يده وفرّ بها، فتبعه التاجر وضربه بيديه، فتناول سكينا من جزّار خطفها منه وضرب بها التاجر فسقط ميتا في الحال، وأظهر المتسول السائل التجانن، فحُمل إلى البيمارستان، وذهب دم التاجر هدرًا.[٦٨٠]

في طيف الخيال لابن دانيال الموصلي، نجد شهادات بالغة الأهمية عن الفساد

---

[٦٦٩] ابن قاضي شهبة، **مصدر سابق**، ١/ ٦٧٩.

[٦٧٠] ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل في ذيل الدول** ٢/٧٧.

[٦٧١] **المصدر السابق** ٢/٧٧.

[٦٧٢] الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص، ١٦٥.

[٦٧٣] **المصدر السابق**، ص، ٨٥.

[٦٧٤] **المصدر نفسه**، ص، ٣٢٢.

[٦٧٥] **المصدر نفسه**، ص، ٢٧٢، ٣٤٦

[٦٧٦] **نفسه**، ص، ٢١٨.

[٦٧٧] **نفسه**، ص، ٢٢٩.

(٦٧٨) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ٤٢٥.

[٦٧٩] ابن تغري بردي، **حوادث** ٢١٢/١.

[٦٨٠] خبر التاجر في: **إنباء الغمر** ٣/ ٥٠٠، **وبدائع الزهور** ٢/ ١٤٧، **نيل الأمل في ذيل الدول**، ٤/ ٣٢٧.

والتسول والجريمة وعن طبيعة الحياة اليومية للمجتمع في العصر المملوكي[٦٨١]، سلطة غاشمة قاهرة، وشعب مأزوم مقهور، وعندما يسود الفساد والبطش، وتشيخ الأبدان، والأرواح، لا يبدو مستبعدًا أن يحل الغش والسقوط، وإذا ما كان ابن دانيال (ت٧١٠هـ/١٣١٠م) قد وصف (الأمير وصال) بطل البابة الأولى (طيف الخيال) كالآتي: "صاحب الدبوس (رمز السلطة) وَالناموس ... أنهش من ثعبان، وَأحْملَ من قَبَّان، وأنطح من كبش، وَأنتن من حُش، وأسرق من نُعاس، وَألوط من أبي نواس"[٦٨٢] فإن المقريزي (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) قد وصف المملوك كالآتي: ".. أزنى من قرد .. وألص من فأرة .. وأفسد من ذئب"[٦٨٣]. الزنا واللصوصية والفساد ثلاثية العصر المملوكي[٦٨٤].

يصل الفساد في العصر المملوكي إلى قمة السلطة وينتشر بين السلاطين والأمراء والقادة، ورجال الدين، وأدعياء العلم والولاية، والمتوقع أن يزداد الفقر والتسول والاستجداء حضوراً وانتشاراً لا بل فجوراً أثناء الحروب والتنازع والأزمات نتيجة الإجهاد الذي أصاب الدولة والمجتمع معاً جراءها. وبلغت هذه الحال حدًا لم يستطع معه بعض المؤرخين ـ أمثال: تقي الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) أو تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) ـ إلا المجاهرة في كتاباتهم بلوم السلاطين عليها[٦٨٥]. ويحدد المقريزي أسباب العلة في ثلاثة أشياء لا رابع لها – على حد قوله – أولها الرشوة، وثانيها غلاء الأطيان، وثالثها رواج الفلوس، وقلة ما بأيدي الناس من الدراهم[٦٨٦]، وجميعها تنبع من منبع واحد هو الشره للمال[٦٨٧] مفتاح كل جريمة وفساد.

وفطن السبكي إلى موطن الداء في الدولة، ومكمن العلة، وكان يدرك أن الأقبال

---

(681) Guo L.، Arabic Shadow Theatre 1300-1900، P. 119.

(٦٨٢) ابن دانيال، **مصدر سابق**، ص ٧.

(٦٨٣) المقريزي: **الخطط** ٣/ ٣٧٣.

(٦٨٤) بلغ الفساد ذروته في مصر المملوكية مع تفاقم نظام الاحتكار إبان عهد السلطان برسباي (٨٢٥هـ ـ ٨٤٢هـ) وترتب عليه آثار خطيرة أبرزها ارتفاع أسعار حاجات المعيشة الضرورية مما أدى إلى ضعف القدرة الإنتاجية وضعف المقاومة الصحية وكان من جراء ذلك تفشي الأوبئة والطواعين. للمزيد حسن حبشي: **الاحتكار المملوكي**، ص١٣٢-١٥٨.

(٦٨٥) **المرجع السابق**، ص ١٣٤.

(٦٨٦) فوزي محمد أمين، **المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي، ص ٢٨٩**.

(٦٨٧) **المرجع السابق، ص** ١٤٧.

على الدنيا، والنهم إلى المال هما آفة الأخلاق، وعلة انقلاب المعايير واضطراب القيم[٦٨٨] وأنكر السبكي على المماليك تركهم الفقراء والعلماء يتضورون جوعًا،:" فإن ترك العلماء والفقراء جياعًا في بيوتهم"[٦٨٩] ومع انحسار روح التراحم والتكافل في المجتمع وقت الجوائح الكبرى كان أقصى ما كان يتبع حينذاك هو الدعاء في المساجد لرفع ذلك الغضب الإلهي ،"ولم يزالوا يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء[٦٩٠] إلى أن كشف الله ذلك عنهم"[٦٩١]. ولا هم للمحتسب يومئذ سوى منع النساء من الخروج[٦٩٢] أو منعهن من التردد على المقابر لدرجة أن المحتسب منع امرأة من الخروج "خلف جنازة ولدها فأرمت بنفسها من أعلى الدار فماتت"[٦٩٣] وانشغل المحتسبون بتتبع النسوة، وردعهن بالعذاب والنكال"[٦٩٤] بينما تنشغل الأيادي البائسة بالحصول على كسرة خبز أو التوسل ببراءة الأطفال لإطعام أفواه جائعة[٦٩٥].

وتدلنا الشواهد السابقة على أثر اهتمام المماليك بالضرائب وسعيهم إلى المال والثروة، وما من سبيل توصلهم إليها إلا سلكوها، فأسرفوا في فرض الضرائب، وفتحوا خزائنهم للرشا، لم يتعفف عنها صغير منهم أو كبير، أما أنات المحرومين، وصرخات المعوزين والمتسولين، فلا تلق لهم بالاً ولا تحرك منهم ساكنًا، وإن شئت فاقرأ في خطط المقريزي عن ثروة" قوصون الساقي"[٦٩٦] فتى السلطان الناصر محمد، وحسبك أن تعلم أنه بعد أن نهبت العامة والمتسولون والفقراء داره انحط سعر الذهب حتي بيع المثقال بأحد عشر درهمًا لكثرته في أيدي الناس[٦٩٧].

عبر المصريون عن سخطهم على الأحوال الاقتصادية والسياسية بالسخرية كلما ضاقت بهم السبل وتجلى ذلك في سب الدولة و مؤسساتها أو سب الأوضاع و التنديد

---

(٦٨٨) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١٩ ؛ فوزي محمد أمين، **مرجع سابق**، **ص ١٤٧**.

(٦٨٩) السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ١/٢١.

(٦٩٠) **المصدر السابق**، ١/١٢٠.

(٦٩١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ٧/ ٢٤٥.

(٦٩٢) السبكي، **مصدر السابق**، ١/ ٣٥، ٣٧ ؛ طلعت عكاشة، **الفتاوى الدينية**، ص ٢١٥ – ٢٣٠.

(٦٩٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٥/ ٩٨.

(٦٩٤) **المصدر السابق**، ١٥/ ٩٨.

(٦٩٥) حسن حبشي: **الاحتكار المملوكي**، ص ١٥٦.

(٦٩٦) الأمير المملوكي البحري الأمير سيف الدين قوصون الساقي الناصري، وذلك عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م.

(٦٩٧) المقريزي، **الخطط**، ٢/ ٤٨٢ ؛ فوزي محمد أمين مصطفى، **المجتمع المصري**، ص ١٣٢.

بالتفاوت الطبقي؛ بين طبقات العمال والصناع والسوقة والسقائين والمُكَارين والمعدمين والمتسولين، ومعاناة مجتمعية لأفراد هذه الطبقة من ضيق وعسر بالنسبة إلى المماليك وغيرهم من الطبقات، مع تحول عدد كبير من العامة والطبقة الوسطى إلى متسولين ولصوص هدفهم الحصول على لقمة العيش(٦٩٨)، وتقلص عدد الأثرياء وترديهم إلى هوة العوز والتسول إذ ذكرت المصادر أن في عهد السلطان الغوري" بَطل الْمِيرَاث فِي أَيَّامه وَصَارَ إِذا مَاتَ أحد يَأْخُذ مَاله جَمِيعه للسلطنة وَيتْرك أَوْلَاده فُقَرَاء لذل السؤال"(٦٩٩)، ووضع العقبات الجسام في طريق الوريث الذي يطالب بحقه في ميراث نخلف بموت أحد والديه حتى تعجز الورثة عن الطلب فتترك المطالبة، ومن ثم تستولي الدولة على هذه الأموال(٧٠٠).

وجدير بالذكر أن إبطال الميراث كان من أهم العوامل التي أدت لإفقار أسر بكاملها حيث حل السلطان محل الورثة الشرعيين واستولى على أموال مورثهم تاركًا إياهم بلا مورد للرزق، ولم يكن عجيبًا أن يلجا الموسرون إلى وقف جزء من ممتلكاتهم على ورثتهم الشرعيين بوصفهم مستحقين للوقف ولعامة المسلمين من بعدهم مخافة مصادرة أموالهم والحوطة عليها(٧٠١).

لجوء النظام المملوكي إلى المصادرات تارة وإلى العنف تارة أخرى مع زيادة الضرائب لم يكن يعكس إلا ضعف وهشاشة النظام، وإذا كانت السلطة المملوكية ضعيفة يقف على رأسها نظام يبدو قويا لكنه يظل أضعف من أن يسيطر على فقر الطبقات الدنيا وتضخم ظاهرة التسول وزيادة معدلات الجريمة، كذلك المجتمع المصري مجتمع ضعيف ومتنافر لا يستطيع الضغط على النظام للحصول على حاجاته الدنيا، ولكن تبقى حقيقة ساطعة هي أن السلطة المملوكية بهذا الشكل كانت تزداد ترهُّلا وتحلُّلا، وتزداد الحلول معها تعقيدا وتأزُّما مما كان ينبئ بمستقبل غير مبشّرٍ بأي حال.

خامسا: الموقف المجتمعي والسلطوي من المتسولين:

---

(٦٩٨) **النجوم الزاهرة**، ج ٦، ص ٦٧؛ محمد رجب النجار: **الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك**، (مجلة عالم الفكر، المجلد ١٣، العدد ٣)، ص ٧٩.

(٦٩٩) عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ٤/ ٦٣.

(٧٠٠) قاسم عبده قاسم، **النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك**، ص ٧٦.

(٧٠١) البيومي إسماعيل، **مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية**، ص ٩١.

قبل أن نتطرق إلي الموقف السلطوي من المتسولين، يجب أن نشير في عجاله إلي **الموقف المجتمعي** من هذه الفئات؛ إذ تعددت مظاهر تلقي الناس لطلبات التسول ولعل أقواها يتأرجح بين التعاطف وعدم الاكتراث، إذ في الوقت الذي نجد البعض يتعاطف مع المتسول من منطلقات متباينة كالحس الإنساني والرابطة الدينية و تقدير الظروف، وطلبًا لتيسير الأمور(٧٠٢) واستحضار ماض فيه حرمان وقهر:" حكى أَن أحد الفقراء كَانَ مَعَ فقره كثير الصَّدقَات وَأَنه رُبمَا قطع من عمَامَته وَأعْطى فَقِيرا يسْأَله"(٧٠٣)... نجد البعض لا يحركون ساكنا ولو من الناحية النفسية، و قد يكرهون المتسولين أو يتهمونهم جميعا بامتهان هذه الحرفة بدون استثناء:" وكثير من الحرافيش اتَّخذوا السؤال صناعة "(٧٠٤) أوتقريعهم:"وإن سلَّمنا أنه يجب فلم قلت: إنّي ما جدت، وما انحصرت القسمة فيك" (٧٠٥)، أو مناظرتهم:"وآخر غلبت عليه المناظرة، فاستعملها مع حرفوش لا يدري ما يقال له"(٧٠٦).

بما ألفه الناس من أهل مصر "فإنهم يصدقون ويرعون الصحبة ويوفون بالعهد ويؤدون الأمانة لا تبرح الأضياف تغشى منازلهم على ما تيسر من مكارمهم فى حال اليسر والعسر وهم فى ذلك على طول الأيام لازمين طريقة واحدة فى الكرم والصبر!!" (٧٠٧) كما أنك ترى: "الفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج فى ظواهرها ودواخلها"(٧٠٨) وحسبنا ما كتبه (ابن خلدون) عن عطف أهل مصر على الفقراء والغرباء لدرجة تدفع بفقراء العالم للنزوح إليها بقوله:" ويبلغنا لهذا العهد عن أحوال القاهرة ومصر من الترف والغنى في عوائدهم ما يقضى منه العجب منى إن كثيرا من الفقراء بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لذلك لما يبلغهم من أن شأن الرفه بمصر أعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس أن ذلك لزيادة إيثار فى أهل تلك الآفاق على غيرهم أو أموال مختزنة لديهم وأنهم أكثر صدقة

---

(٧٠٢) **سيرة الظاهر بيبرس**، ص ١٦٥٨.

(٧٠٣) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ٢١٤/٨.

(٧٠٤) السبكي، **معيد النعم**، ١/ ١١٣.

(٧٠٥) **المصدر السابق**، ١/ ٧٦.

(٧٠٦) **المصدر نفسه**، ١/ ٧٦.

(٧٠٧) ابن سعيد المغربي الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسىٰ (ت٦٨٥هـ)، **الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط**، تحقيق، زكي محمد جسن، سيدة إسماعيل كاشف، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٥٣م، ص٩.

(٧٠٨) ابن سعيد الأندلسي: **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة**، القسم الخاص بالقاهرة، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٩.

وإيثارا من جميع أهل الأمصار"[٧٠٩]

فمنح الصداقات لم يتوقف أبدا عن كونه عملا من أعمال التقوى فى القاهرة زمن المماليك – على سبيل المثال – ومن سوء الحظ أن ما نعرفه قليل عن أعمال الخير التى كان عامة الناس يقومون بها وكما هو الحال فى دفع الزكاة كانت أعمال الخير الصغيرة هذه تتم دونما ضجة ولم تخلف أية سجلات مكتوبة يستخدمها المؤرخون مادة وثائقية إلا فى حالات الأشخاص الذين اشتهروا بتقواهم الفائقة وكانت أعمالهم الخيرية تسجل أحيانا لكى يوضح بها المؤرخون طيب خلقهم[٧١٠] وثمة شخص من أصحاب الإسهامات الأسطورية هو الحاج على بن محمد النوسانى (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦هـ) الذى كان مدرسا فى بلدة صندفا بالغربية وقد كان رجلا ثريا بالمقاييس الريفية ترك ألف جاموسة لورثته وكان مشهورا بأنه يتصدق بألف درهم يوميا كما نجد أحد الأتقياء وهو الصوفي الشيخ مسلم بن عنتر البدوي (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) والذي كان لصا تائبا إلا أنه صار من مريدى شيخ الطريقة الرفاعية وتسبب فى توبة ستمائة لص وسكن القرافة حيث أقام سماطا كان يحضره الفقراء[٧١١].

لقد ادركت **السلطة المملوكية** مدى تأثير فئة المتسولين في المجتمع وقد وصفتهم المصادر بأنهم:" طائفة كبيرة أهل صلابة وفسق"[٧١٢] وبالتالي ضرورة اتباع سياسة متوازنة تجاههم تتميز باستخدام أقل الوسائل عنفًا أو غض الطرف أحيانًا عن ممارساتهم[٧١٣] ومع زيادة أعداد المتسولين، دفعت الدولة إلى الاعتراف بهم في أوقاتٍ، وغض الطرف عنهم في أوقات أخرى، في حين أن طرق التخلص منهم لم تكن مجدية، تستوقفنا مظاهر نذكر منها: محاولة الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م بجمع العجزة عند خان السبيل، ثم ترحيلهم إلى الفيوم، وتوفير رواتب لهم، سرعان ما عاد معظمهم إلى القاهرة[٧١٤].

ثم نجد محاولة مشابهة سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م حين أمر الناصر محمد كل

---

(٧٠٩) ابن خلدون: **المقدمة**، الجزء الثانى، طبعة مكتبة الأسرة،١٩٩٩م ص٨٠٥.

(٧١٠) آدم صبره: **الفقر والإحسان في مصر**، ص٨٧.

(٧١١) **المرجع السابق**، ص٨٨.

(٧١٢) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ)، **رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م ،١/ ٢١٤.

(٧١٣) عامر نجيب، **الحرافيش**، ص١١.

(٧١٤) العيني، **عقد الجمان** ١/ ٤٢٨؛ المقريزي، **السلوك**، ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣؛ آدم صبره، **الفقر**، ص ٩٩.

المجذومين والبرصاء بمغادرة القاهرة نحو الفيوم[٧١٥]، كما أن السلطات كانت تحاول أحيانًا إخلاء الشوارع والساحات من المتسولين، ففي سنة ٧٤١هـ" تصدر الأوامر إلى والي القاهرة، بالقبض على الحرافيش وتقييدهم وسجنهم، خوفا من غائلتهم ونهبهم الناس، فتتبعهم وقبض عليهم في الليل من بيوتهم ومن الحوانيت، حتى خلت السكك، منهم"[٧١٦]. وبذل الظاهر برقوق جهدًا مماثلا[٧١٧] في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٢م لإبعاد المجذومين والبرصاء ومقطوعي اليد عن القاهرة وضواحيها[٧١٨].ولعل آخر محاولة للسيطرة على المتسولين في القاهرة خلال عصر المماليك بأن أرسل الظاهر برسباي مجموعة قطعت أيديهم على متن سفينة متجهة إلى الأناضول[٧١٩]

ويذكر ابن إياس في بدائع الزهور، في حوادث ٨٤١ هـ /١٤٣٧م، أن الأشرف برسباي، عندما عاد من إحدى رحلاته، قرر توزيع الأموال على فقراء القاهرة، الذين تجمعوا حوله، حتى سقط عن فرسه، ما جعله حانقًا عليهم، وبناء على تلك الواقعة طلب لقاء من يسمى" سلطان الحرافيش" ومن يسمى" شيخ الطوائف" لمنع الجعيدية من الشحاذة والسؤال والتسول في الطرقات وإلزامهم بالتكسب، إلا للعميان والعرجان[٧٢٠] وذوي العاهات[٧٢١].أما الناصر فقد:" بلغه توقف الحال وطمع السوقة في الناس، وكان يريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثارا قبيحة، ويشهر منهم جماعة"[٧٢٢].

وقد يصدر المنع في صورة مرسوم سلطاني يقضي بمنع الشحاذة والسؤال:" ثمَّ نُودي فِي الْقَاهِرَة ومصر بألا يتَصَدَّق أحد على حرفوش وَأي حرفوش شحذ صلب فآوى كل أحد فقراءه فِي مَكَان وَقَامَ لَهُم من الْغذَاء بِمَا يمد رمقهم"[٧٢٣]،" فامتنعوا من الشحاذة وخلت الطرقات مِنْهُم وَلم يبْق من السُّؤَال إِلَّا العميان والزمناء وأرباب العاهات وَلم نسْمع بِمثل ذَلِك. فَعم

(٧١٥) المقريزي، **السلوك**، ٢/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٧١٦) المقريزي، **الخطط** ٢٠١/٣.

(٧١٧) المقريزي، **السلوك** ٣/ ٧٧٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ١/ ٤٥٤.

(٧١٨) آدم صبره، **الفقر**، ص ٩٩.

(٧١٩) **المرجع السابق**، ص ٩٩.

(٧٢٠) الشعراني، **تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**، ص١٠٦.

(٧٢١) المقريزي، **السلوك** ،٧/ ٣٥٣؛ قاسم عبده قاسم، **الحياة اليومية**، ٤٣.

(٧٢٢) المقريزي، **الخطط ٣**/ ٢٦٤.

(٧٢٣) المقريزي، **السلوك**، ٤/ ٣٧٥.

الضّيق كل أحد وانطلقت الْأَلْسِنَة بِالدُّعَاءِ على السُّلْطَان وَتمنى زَوَاله فَأَصْبح فِي يَوْم الْأَرْبَعَاء سابعه مَرِيضا قد انتكس وَلزِمَ الْفراش"[٧٢٤]، " وَفِي هَذِه الْأَيَّام: تزايد بالسلطان مَرضه"[٧٢٥]. ويبدو من تكرار النداء لمنع المتسولين في الأسواق وأماكن التجمع العامة أن هذه الأوامر لم تكن تطبق دائمًا، وإنما كان التجاوز عنها وعدم احترامها يمثل القاعدة على نحو ما بين المقريزي في وصفه لمثل هذه الأمور:" كضرب ربَاب أَو كطنين ذُبَاب"[٧٢٦].

ومع ذلك لم يكن المنع والإخلاء هو الوسيلة الوحيدة في تعامل السلطة مع ظاهرة الشحاذة، إذ تجتهد السلطة أحيانًا في مد يد العون إلى أولئك المتألمين الجياع مع توزيعهم على الأغنياء[٧٢٧] وقد حدث هذا مرارًا طوال عصر سلاطين المماليك [٧٢٨]، أو التصدق على المتسولين والمريدين في الأماكن الدينية التي يتبرك بها الناس ويحرصون على ارتيادها أو رد مال السهمين: سهم الفقراء وسهم المساكين، وصلة أرزاق الفقراء[٧٢٩]. وينبغي أن نلاحظ أن هذه التصرفات كانت بمثابة إحسان وصدقة للتخفيف من حدة الأزمات على عامة الناس، ولم يكن موقفًا رسميًا التزمت به الدولة تجاه رعاياها[٧٣٠]، وهو ما يكشف عن العلاقة بين الدولة ورعاياها في سياق المفاهيم السياسية السائدة في تلك الحقبة، وأن حالات التصدق كانت مسألة خاصة أساسًا، يقوم بها الأفراد بصورة غير علنية، وقد تدخلت الدولة في حالات بعينها، مثل الإعانات العاجلة أو الإفراج عن المدنيين من السجن أو الإشراف على ممتلكات الفقراء، بيد أن هذه كانت استثناءات تبرهم على القاعدة أما المحاولات المتقطعة لطرد المتسولين من شوارع القاهرة، أو منع الرجال القادرين جسديًا من التسول، فقد باءت بالفشل الذريع، ولا يبدو أن علاج التسول والفقر كانت تشكل أية سياسة مستقرة وثابتة[٧٣١]. وأغلب المحاولات ردود أفعال تجاه مواقف بعينها، ولم تكن سياسات طويلة المدى، لافتقار الدولة

---

(٧٢٤) **المصدر السابق** ،٧/ ٣٥٣.

[٧٢٥] **المصدر نفسه**،٧/ ٣٥٥.

(٧٢٦) **نفسه**، ٥/ ٣٥٢.

[٧٢٧] **نفسه**، ٤/ ٣٧٥.

[٧٢٨] قاسم عبده قاسم، **النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك**، ص ٧٢.

(٧٢٩) طلعت عكاشة، **المراسيم وأثرها الاقتصادي في مصر والشام عصر سلاطين المماليك**، ص ٤١.

(٧٣٠) قاسم عبده قاسم، **مرجع السابق**، ص ٧٢.

(٧٣١) آدم صبره، **الفقر**، ص ٢١.

إلى وسائل للقيام بأي إصلاح.[٧٣٢] ولكن السلاطين نجحوا فعلا في فرض قدر من النظام على نشاط الشحاذين، وصار المتسولون تحت إشراف شيخهم[٧٣٣].

والسؤال الآن: وسط كل هذه التداعيات السلبية هل هناك جانب إيجابي عند التاريخ للمتسولين؟

سادسا: المتسولون من وجهة نظر مغايرة:

علي الصعيد الداخلي، رغم الإصرار على منع التسول أحياناً فقد سمحت السلطات للسجناء بالتسول تحت حراسة شرطية، وهكذا تكشف السلطات المملوكية عن ازدواجيتها التي تتبدى في التناقض بين الإنشاء والأخبار وبين القول والعمل وبين الداخل والخارج[٧٣٤] فقد اعتادت السلطة على استغلال الفقراء والمتسولين[٧٣٥] بتسخيرهم للقيام بالأشغال العامة وحفر الخلجان، وأعمال الحفر العامة، وإنشاء العمائر السلطانية، عندما أراد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ما بين عامي (٧٣٨ – ٧٣٩هـ/١٣٣٦ – ١٣٣٧م) إقامة عدد من المنشآت العامة أصدر مرسومًا بإلقاء القبض على المقيدين الذين يخرجون للتسول وعلى الخلق في الطرقات والفقراء بين القصرين وهم نيام أو عند خروجهم من الصلاة وقت السحر لعمل الجسر المستجد[٧٣٦] حتى عُدم المتسولون من الطرقات لكثرة ما أخذ منهم لنقل التراب[٧٣٧] وعندما أراد بناء جسر في وسط النيل أمر والي القاهرة بجمع المتسولين وقبض على كل من وجدوه منهم في الطرقات والمساجد والجوامع[٧٣٨]، كما تم إجبار عدد من المتسولين على العمل في بناء جسر بحكر ابن الأثير سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٧م وتصادف ذلك مع اشتداد الحر، ومات عدد من شدة الحر أو من الردم تحت التراب[٧٣٩] ووفي سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، نادى الوزير منجك بأن من يرغب من المتسولين بالعمل في إنشاء الجسر بين الجيزة والروضة

---

[٧٣٢] **المرجع السابق**، ص ١٠١.

(٧٣٣) **المرجع نفسه**، ص ٩٩.

(٧٣٤) أحمد زايد: **المصري المعاصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، **٢٠٠٥**، ص٢٦.

(٧٣٥) الصيرفي، **إنباء الهصر بأنباء العصر**، ص ٢٨٧.

[٧٣٦] المقريزي، **السلوك** ٢٤٧/٣؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢١.

[٧٣٧] المقريزي، **الخطط** ٣/ ٢٩٣.

[٧٣٨] المقريزي، **الخطط ٣**/ ٢٩٥؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٢٣.

[٧٣٩] اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت ٧٥٩هـ)، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر**، تحقيق، أحمد حطيط، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م، ص٤٥٠.

سيأخذ أجرته درهم وربع درهمًا وثلاثة أرغفة عن كل يوم، وهى حالة نادرة تقوم فيها السلطة المملوكية بدفع الأجرة لهم(٧٤٠). وقد شاع عن الأمير منجك أنه لم يسخر أحدا ولا استعمل الناس إلّا بالأجرة، وقد جمع منجك الحرافيش والأسرى، وردم على الجسر التراب وقوّاه(٧٤١)،:" فتطلب كلّ أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل التراب، حتى عدمت الحرافيش، ولم تكن توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل التراب ورميه"(٧٤٢). وخصص أحد الولاة لدواداره بعض الفلاحين ليقررهم في عمارة بعض البلاد الخراب، وكان مشكور السيرة كثير الرفق بالفلاحين عارفاً بعمارة الأرض(٧٤٣).

والثابت تاريخيًا أن السلطات المملوكية أجبرت العديد من السجناء على التسول تحت الحراسة المشددة لجمع مال الضريبة التي تؤدى إلى الدولة وأسعفنا المقريزي بشواهد عديدة منها قوله:" وأمّا سجون الولاة؛ اشتهر أمرهم أنهم يخرجون مع الأعوان في الحديد حتى يشحذوا وهم يصرخون في الطرقات الجوع، فما تصدّق به عليهم لا ينالهم منه إلّا ما يدخل بطونهم، وجميع ما يجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجان وأعوان الوالي، ومن لم يرضهم بالغوا في عقوبته"(٧٤٤). وأشار فيلكس فابري إلى مشاهدة استجداء الأسرى للصدقات خلال زيارته للقاهرة سنة ١٤٨٣م إذ قابل مجموعة رجال زعموا أنهم أسرى يحرسهم جنود وكانوا يشحذون منه(٧٤٥) وعندما مر السلطان شيخ بأحد الفقراء يسأل الناس شيئًا من القوت قال له أنا أسير وهذا قيدي فتأسف عليه وقام بإعالته(٧٤٦).

رغم أن المصادر التاريخية ساقت إلينا عددا من الحوادث التي وقعت للمتسولين نتيجة عنف شديد تعرضوا له، إلا أن النظرة الفاحصة للموقف السلطوي تجاه المتسولين في العصر المملوكي يساعد على توسيع الرؤية لإدراج حياة التسول ضمن نطاق الحياة العامة للمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك؛ حيث يمكن الرصد بدقة وعمق تجربة وجود

---

(٧٤٠) المقريزي، **الخطط ٣**/ ٢٩٧.

(٧٤١) **المصدر السابق**، ٣/ ٢٩٨.

(٧٤٢) **المصدر نفسه**، ٣/ ٢٩٣.

(٧٤٣) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**٣/ ٤١٢.

(٧٤٤) المقريزي، **الخطط** ٣/ ٣٢٨.

(745) Felix Fabri, the voyage in Egypt, Paris, 1975, p. 441.

؛ آدم صبره: **الفقر والإحسان**، ص ١٠٧.

(٧٤٦) المقريزي، **درر العقود** ٢/ ١٢٨.

المتسول بكل تناقضاتها وتعقيداتها، ومشاركته في الحياة العامة و للتوقف أمام التحديات التي تواجه المتسولين والأحكام المسبقة الموجهة ضدهم، وكيف يمكن أن تعكس هذه التصورات عدم فهمنا لواقعهم. يطرح هذه الرؤى عبر تساؤلات يثيرها المتسولون حول مفاهيم أساسية ظلت مستمرة معهم، عبر الزمان والمكان، لعل أهمها الضعف الإنساني، والوجود الهامشي، مما يسمح بتعرضهم للعنف والقهر، بل يصل بهم الحال إلى الموت في كثير من الأحيان.

والسؤال الذي نطرحه في ذات الوقت هل أسهمت هذه السياسات في خلق فئات اجتماعية من المتسولين تندمج في قطاع الدولة المملوكية؟

الراجح أن الدولة المملوكية أسهمت ولو بالنذر اليسير في عملية الحراك الاجتماعي، وربما قامت بذلك عن غير قصد وهى تقوم بتعبئة العوام والمتسولين في الأشغال العامة والحفر وغيرها من المشروعات ،ولم يقتصر الأمر على ذلك فإنها قامت بتعبئة القوى (غير الإنتاجية) لنقف أمام ديناميكية قامت بها الدولة، ربما أسهمت في دفع هذه النماذج على تخطي وضعيتها الاجتماعية، لتندمج في قطاع الدولة وتتجاوز مكانتها المتدنية المنبوذة، فإذا لم تحملهم الدولة على العمل بقوا عاطلين، إذ ما حاجة المتسول إلى العمل وفي استطاعته أن يعيش ببضع فلوس أو دراهم أو كسرات خبز في اليوم، فإذا ما حصل عليها فإنه لا يفكر في شيء سوى أن يكون سعيدًا بتضييع الوقت دون أن يؤدي عملا قط ،ووفقًا لهذا الإطار الفكري للسياسة الاحتكارية للدولة المملوكية عملت على تعبئة الأيدي العاملة في مشروعاتها، ومع ميل عامة الناس لا سيما المتسولين إلى التكاسل والفتور فقد تجبر الأحوال في كثير من الأوقات على حركة العمل حتى تصير طبيعة وينتج عنها تقدم، ولعل دفع السكان والمتسولين إلى المشاركة في الأشغال العمومية أن يتم وضع بين أيديهم المقاليد العامة للعلم والصناعة(٧٤٧). وبخلاف الكثير من المدن الأوربية في العصور الوسطى لم تبد النخبة القاهرية الاهتمام المتزايد بتقديم مساعدة دائمة للعاطلين والمتسولين الذين كانوا يملأون شوارع المدينة(٧٤٨).

أما في **مدن الغرب الأوربي** فقد لعب الحجم المتزايد للفقر في المدن الأوروبية إلى زيادة رغبة السلطات في إجبار الفقراء على قبول العمل لقاء المساعدة، والحد من حركات

(٧٤٧) زينب البكري، **عامة القاهرة**، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ٣٢٩. بتصرف.

(٧٤٨) آدم صبرة، **الفقر**، ص ٢٨٦.

الأعداد المتزايدة باستمرار من المتسولين الذين كانوا يتوقعون أن تقوم المؤسسات البلدية والكنسية برعايتهم، والسيطرة على الخلل الاجتماعي الذي يسببه الفقر. ولا يمكن القول أن فقراء ومتسولي القاهرة المملوكية كانوا خاضعين لنفس النظام الذي تم إقراره في أوروبا إذ كانت فلورنسا في أوائل القرن الخامس عشر تمتلك ثلاثًا وثلاثين مستشفى وكانت بعض نقاباتها(٧٤٩) تقدم المساعدة لمئات الأشخاص والدفع بهم إلى العمل(٧٥٠).

وعلي الصعيد الخارجي، كان تأثير **الحروب الصليبية** على المنطقة العربية أعمق كثيراً من تأثيرها على أوربا هذا الصراع الطويل المضني ترك آثاره على شتى جوانب الحياة في المنطقة العربية كان منها تأثيرها في ثقافة المجتمع بالمعنى الواسع للثقافة ؛ آدابه وفنونه فكره وفلسفته ورحلات أبنائه، ومثله وقيمه التي دارت حولها أشكال التعبير الفكري وألوان الإبداع الفني والأدبي التي تضمنتها الفنون والآداب الشعبية، ومنها حكايات سيرة الظاهر بيبرس(٧٥١) ولعل أهمية سيرة الظاهر بيبرس تكمن في تعريفنا كيف" حاكت الحروب الصليبية علاقات التعايش، وهو ما يضيف إلى الصورة الازدواجية بين العداء والإعجاب"(٧٥٢)

كانت **الحروب الصليبية** فصل هام في تطور العصور الوسطى لكونها تعبيراً على نماذج أساسية من الفكر والسلوك(٧٥٣)، وقد وجد المتسولون والفقراء عطفًا من سلاطين المماليك الذين حرصوا قبل الخروج إلى الحروب لمواجهة الصليبيين على العطاء للفقراء والمتسولين تقربًا إلى الله تعالى راجين أن يحقق لهم النصر(٧٥٤)، وآثر عن بعض المتسولين الإسهام في الاضطرابات والمشاركة بالسلب والنهب للصليبيين أثناء الدفاع عن مدينة دمياط ضد الهجوم الصليبي عامي ٦١٥هـ / ١٢١٨م، ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ؛ بحيث يقومون بسلب كل من تم قتله

(٧٤٩) يرجع وجود النقابات في أوروبا إلى أواخر القرن الحادي عشر في إنجلترا لخدمة أصحاب الظروف القاسية والمرضى وأعضاء النقابات وتحقيقًا للمصالح المشتركة التي منها دعم أعضائها الذين يواجهون ظروفًا صعبة. وتعدد أنواعها في أوروبا العصور الوسطى، وكان من ضمن مهامها توزيع الصدقات للمرضى والرهبان والفقراء والمتسولين. انظر: أسامة حسيب، **دور النقابة وتنظيمها في إنجلترا نقابة ساوثامبتون إنموذجًا ق ١٣ م**. مجلة التاريخ والمستقبل، مجلد ٣٤، ع ٦٧، يناير ٢٠٢٠م، ص ١٥٧.

(٧٥٠) آدم صبرة، **الفقر**، ص ٢٨٧.

(٧٥١) قاسم عبده قاسم: **بين التاريخ والفولكلور**، دار عين، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٦٨.

(٧٥٢) ماجدة مخلوف، **صورة الآخر**، ص ١٨٢. بتصرف.

(٧٥٣) نورمان ف. كانتور: **التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية**، القسم الثاني، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط٢، دار المعارف، القاهرة ،١٩٨٦، ص ٣٩٢.

(٧٥٤) محمد فرج حافظ خفاجي، **الصدقات في العصر المملوكي** ،مجلة فكر وإبداع، ج١٠٦، عدد نوفمبر، القاهرة ٢٠١٦م، ص ٢٢٦.

وتجريده من السلاح واللباس والعتاد[٧٥٥]،

،واستفاد المتسولون كثيرًا من الاحتفالات العامة التي كانت تقام قبل وبعد الحروب والمعارك مع الصليبيين، فعندما عاد الظاهر بيبرس من حملة أرسوف منتصرًا على الصليبيين سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م، أخذ بالتصدق على الفقراء والمتسولين والعامة أثناء مرور موكبه في شوارع القاهرة[٧٥٦]،وشاركوا مع السلطان قلاوون في وقعة حمص عام ٦٨٠هـ / ١٢٨١م، فلما انتصر الجيش المملوكي بدأوا بنهب ما تركه التتار ورائهم[٧٥٧] ونجد الأشرف خليل بن قلاوون حين عقد العزم على تصفية الوجود الصليبي في عكا جمع الفقراء والمساكين والشحاذين والأيتام ليلة الجمعة ١٨ صفر ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، وتصدق بمال كثير[٧٥٨] وكذلك الأمر بعد معركة كسروان ٦٩١هـ / ١٢٩٢م، ودخول الأشرف خليل منتصرًا أخذ الحرافيش والمتسولون بنهب الحرير الذي سار عليه، فأمر السلطان بالنداء في الأسواق كل من حصل على شيء من الحرير لا يجوز لأحد استعادته منهم[٧٥٩].

وقبل خروج الظاهر برقوق لرد هجمات تيمور لنك في سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٤م، مضى إلى ضريح السيدة نفيسة، وقبر الإمام الشافعي ووزع صدقات كثيرة على الفقراء والمتسولين[٧٦٠].وأثناء قدوم وفد من المغزل في عام ٨٤٨هـ / ١٤٣٤م إلى القاهرة قام عدد من الحرافيش والمتسولين بالاعتداء على أعضاء الوفد أفحشوا فى النهب حتى أخذوا خيولهم، وكان قيمة ما نهب لهم من الفصوص الفيروزج الكرمانى والشقق الحرير والمخمّل والمسك وأنواع الفرو وغير ذلك نيّف على عشرين ألف دينار وأكثر[٧٦١]، وتكسب بعض الشحاذين ومن صناعة القلاع التي ينشئها الأمراء لاستقبال السلاطين أثناء عودتهم من الحروب أو من السفر ، وكان كل من ساهم في تصنيع هذه القلاع له مقابل أجرة معينة[٧٦٢]

---

[٧٥٥] الدواداري، **زبدة**، ص ١٩٩؛ العيني، **عقد**، ١/١٨١؛ عامر نجيب، **الحرافيش** ٣٦.

(٧٥٦) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الأول**، سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٧٩م، ٣٠/٧٣.

[٧٥٧] الدواداري، **زبدة**، ص ١٩٩؛ العيني، **عقد**، ١/١٨١؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٣٥.

(٧٥٨) المقريزي، **الخطط ٤/**٥٢٠.

[٧٥٩] العيني، **عقد**، ١/ ٢٣٦.

(٧٦٠) المقريزي، **الخطط** ٥/٣٥٣.؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي**، ٣/٥٠٩؛ محمد فرج حافظ خفاجي، **الصدقات في العصر المملوكي**، ص ٢٢٧.

(٧٦١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة١٥**/٣٦٥.

(٧٦٢) العيني، **عقد** ١/٤٢٧ ؛ عامر نجيب، **الحرافيش**، ص ٤.

كما تصدق السلطان الغوري على الفقراء والمتسولين بمال كثير أمام ضريح الشافعي، والإمام الليث بن سعد قبل خروجه لمواجهة العثمانيين في مرج دابق ٩٢٢هـ / ١٥١٦م[٧٦٣]. وتبين لنا أنه على الرغم من عدم وجود آلية مستديمة لعلاج ظاهرة التسول في العصر المملوكي فلم يعدم المتسولون مناسبات استثنائية نعموا فيها بالعطف والحدب عليهم حيث عمد الحكام والأمراء إلى التصدق عليهم في مناسبات متنوعة، ولكن دون أم يكون هذا التزام رسمي من الدولة.

على الجانب الصليبي والأوربي كان الرجال والنساء من (النخبة والعامة) يشاركون في الصلوات اليومية ومنح الصدقات الخيرية لصالح الحملات الصليبية وفي سبيل مساعدة المرضى والمشردين والمتسولين والمجاذيب. كما كان للنساء دور مميز بين العامة، متساويًا مع الرجال في التنقية الروحية للمجتمع المسيحي. في عام ١٢١٧م، ودعمًا للحملة الصليبية الخامسة، أعاد البابا هونوريوس الثالث (Honorius III) (١١٤٨ ـــــ ١٢٢٧) تكرار تعليمات أسلافه[٧٦٤]؛ لإطلاق مواكب طقوسية شهرية بين العامة في فرنسا وألمانيا دعمًا للفقراء والمعوزين جراء الحملات الصليبية[٧٦٥].وأضحت هذه الصلوات والشعائر الدينية الداعمة للحملات الصليبية معتادة في جميع أنحاء العالم المسيحي اللاتيني، سواء كانت لدعم حملات صليبية فردية، أو ردًّا علىٰ أي أخبار عن انتصارات المسلمين في الأراضي المقدسة، علىٰ الرغم من اعتماد مناطق مختلفة في أوروبا تعبيرات وممارسات مختلفة قليلًا تتصل أساسًا بدعم الحملات الصليبية والفقراء والمعوزين[٧٦٦].حتىٰ بعد سقوط مدينة عكا في يد المماليك عام ١٢٩١م، استمرت البابوية في دعوة المؤمنين للصلاة والتبرع من أجل الدفاع عن مملكة أرمينيا ودعم فرسان المشفىٰ الذين يحاربون المسلمين

(٧٦٣) ابن إياس، **بدائع الزهور** ٣٨/٥.

(٧٦٤) في عام ١٢١٢م، واستعدادًا لحملة الملك ألفونسو الثامن ملك قَشْتالة ضد المسلمين في إسبانيا، أمر البابا إنوسنت الثالث بتسيير مواكب طقوسية يشارك فيها الرجال والنساء ويصلون إلىٰ الله لدعم حملتهم.ورعاية للفقراء كما أمر إنوسنت الثالث في رسالته الدورية للحملة الصليبية الخامسة، Quia Maior (١٢١٣م) بإطلاق مواكب طقوسية/شعائر دينية شهرية علىٰ النحو نفسه؛ إذ يجب علىٰ الرجال والنساء دفع الصدقات الخيرية والصلاة لله لتحرير الأراضي المقدسة من المسلمين. للمزيد: هيلين ج. نيكلسون، **النساء والحَملات الصَّليبية**، ترجمة، عمرو منير، دار العين، القاهرة ٢٠٢٤م، ص ٢١٠.

(765) Rousseau, 'Home Front and Battlefield', pp. 36–7; Gaposchkin, Invisible Weapons, pp. 204–206, 217–19; Bird, Peters, and Powell, eds and trans., Crusade and Christendom, pp. 82–85, 111–12.

(٧٦٦) هيلين ج. نيكلسون، **النساء والحَملات الصَّليبية**، ص ٢١١.

ويقدمون الدعم للفقراء والمتسولين والمرضى(٧٦٧).

كذلك كان على **النســاء الفرنـج** علىٰ الرغم من عدم مشــاركتهن في القتال، كن يؤدين دورًا داعمًا من خلال الصــلاة ورعاية المرضــىٰ والفقراء والحدب على المجاذيب والمجذومين المتسولين(٧٦٨).إذ تبرعت النساء أيضًا للراهبات اللواتي قدمن دعمًا خيريًّا للفقراء وللمأسورين الجدد والســابقين من الحروب الصــليبية، كما جمعن الأموال لدفع مبالغ الفدية لأولئك الذين أُسِــروا على يد الجانب العربي؛ مثل الرابطة التثليثية، التي تأســســت في نهاية القرن الثاني عشر وعملت في شبه الجزيرة الأيبيرية والشرق الأوسط(٧٦٩)

خاتمة:

حاولت هذه الدراسة تناول فئات لم تحظ بالاهتمام الكافي في حقل الدراسات التاريخية، فكشفت عن التسول والمتسولين، وفئاتهم وطريقتهم التي احترفوها بإتقان عند السؤال، وقد بينت الدراسة إلي حد كبير كيف استطاع هؤلاء تكوين عالم خاص بهم وحدهم له سماته المميزة استنادا إلي لغة خطاب تتخذ من استغلال كل من الوازع الدين والعاطفة طريقا للتحايل علي الناس.

ومن ناحية أخرى، حققت هذه الممارسات ثروات لا بأس بها لدى المتسولين، غير أن هذه الممارسات لم تكن تحمل الخير في مجملها، إذ ابتدعت طرقا للاحتيال بل وارتكاب الجرائم، لذا نجد أن موقف الدولة تجاه المتسولين صحيح قد عملت على منح الصدقات والإحسان إليهم في فترة الازمات، واتخذ ذلك صورًا كثيرة كإنشاء التكايا وترتيب الأوقاف، إلا أنها قد واجهت ممارسات التسول بشتى الطرق.

وبالرغم من ذلك لامست الدراسة جوانب مضيئة لهذه الفئات علي الصعيد الداخلي

---

(٧٦٧) المرجع السابق، ص ٢١٢.

(768) Hospitaller Women in the Middle Ages, edited by Anthony Luttrell and Helen J. Nicholson (Aldershot: Ashgate, 2006); Udo Arnold, 'Die Frau im Deutschen Orden', in Stationen Einer Hochschullaufbahn: Festschrift für Annette Kuhn zum 65. Geburtstag, edited by Udo Arnold, Peter Meyers, and Uta C. Schmidt (Dortmund: Ebersbach 1999), pp. 261–76; Myra Miranda Bom, Women in the Military Orders of the Crusades (New York: Palgrave Macmillan, 2012).

(769) Friedman, Encounter Between Enemies, pp. 187–211; Alan Forey, 'The Military Orders and the Ransoming of Captives from Islam (Twelfth to Early Fourteenth Centuries)', Studia Monastica 33 (1991): pp. 259–79.

والخارجي، بل إنها كان لها دور في الحروب الصليبية، وهذا له دلالته المهمة، إذ إنه يعنى أن الهدف المرجو من هذه الدراسة ليس النيل من هذه الفئات من خلال نظرة استعلائية تاريخية، وإنما علي النقيض من ذلك فهي كأي فئة أخري لها جوانب مظلمة وأخري مضيئة، وظيفتها الأساسية كشف الستار عن هذه الفئات المهمشة.

إن هذه المحطات التي مرت منها الدراسة قد لامست العديد من الجوانب المرتبطة بالتسول وبالخطاب الذي يوظفه المتسولون لغة و إيماء، رغم أن الموضوع في أصله كبير و شاسع يحتاج إلى أبحاث مطولة؛ لنؤكد في الختام أن تاريخ التسول في مصر المملوكية جدير بالتتبع و التحليل نظرا لتداخل عدة عناصر ومعطيات كواحد من أبرز النصوص والملفوظات التي قد تبلي فيها نظريات تحليل التسول كظاهرة اجتماعية البلاء الحسن، خصوصا إذا استحضرت التطورات التي وصلت إليها بتوسيع آلياتها و بانفتاحها على العديد من الحقول المعرفية.

ثبت المصادر والمراجع العربية والأجنبية

١- الوثائق - وثائق الجنيزة:

١- الوثيقة رقمMoss. II، 198 من مجموعة وثائق الجنيزا الموجودة في Mosseri Collection، currently at Cambridge University، Cambridge تشير إلى ويصف أحد المرضى طبيبه المعالج بأنه "كأنه يقطع لحمه بالمقص" ويأتي مرتين في اليوم ولا يرحم فقره.

ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=26753

٢- الوثيقة رقم T-S NS J430 من مجموعة وثائق الجنيزا الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University Cambridge ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=8788

٣- وثيقة رقم LetterT-S NS J430. يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/8788/

٤- الوثيقة رقم LetterT-S 6J3.18، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/3621/

٥- الوثيقة رقم LetterT-S K25.152، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقعGENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/34881/

٦- الوثيقة رقم LetterENA 2739.5، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:

https://geniza.princeton.edu/documents/11968/

٧- الوثيقة رقم State documentT-S NS 113.14، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال

موقعGENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:
https://geniza.princeton.edu/documents/23568/

٨- الوثيقة رقم State documentENA 3952.6، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقعGENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:
https://geniza.princeton.edu/documents/10531/

٩- الوثيقة رقم State documentT-S Ar.38.95، يمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقعGENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي:
https://geniza.princeton.edu/documents/4588/

١٠- الوثيقة رقم T-S 8J17.15 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge , Cambridgeويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :
https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=7665

١١-الوثيقة رقم T-S K15.102 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University, Cambridgeويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :
https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=8520

١٢-الوثيقة رقم T-S 13J21.13من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University, Cambridgeويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :
https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=3325

١٣- الوثيقة رقم T-S 13J23.14 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Taylor-Schechter Genizah Collection- Cambridge University, Cambridgeويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقعGENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :
https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=3348

١٤-الوثيقة رقم AIU VII.E.17 من مجموعة وثائق الجنيزة الموجودة في Alliance israélite universelle bibliothèque, Paris ويمكن الاطلاع على نص الوثيقة من خلال موقع GENIZA LAB: Princeton Geniza Project من الرابط التالي :
https://genizaprojects.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=30329

* * *

٢- المصادر العربية:

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٣- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ)، معالم القربة في أحكام الحسبة، طبعة كمبردج، ١٩٣٧م.

٤- ابن الأنباري، عبد الرحمٰن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين (ت٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

٦- ــــــــــــ، المنتظم فِي تاريخ الأُمم والملوك، تحقيق: مُحمد عَبد القادر عطا، مُصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٧- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي (ت٧٣٧هـ)، المدخل، دار التراث، القاهرة، ١٩٢٩م.

٨- ابن الدهان، محمد بن محمد بن سليمان بن غالب: إرخاء الستور والكلل في كشف المدكات والحِيَل وإيضاح الجد منها والهزل، (مخطوط بمكتبة رضا رامبور بالهند، برقم ٢٥١٣م.

٩- ابن الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي الدوادار المصرى، الأمير (ت٧٢٥هـ) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونلد س.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠- ابن الصيرفي، علي بن داود بن إبراهيم المعروف بالخطيب الجوهري وبابن الصيرفي (ت٩٠٠هـ)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

١١- ابن الطوير، أبو محمد المرتضىٰ عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت٦١٧هـ)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، فرانتس للنشر، شتوتغارت، ١٩٩٢م.

١٢- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

١٣- ابن الوردي، زين الدين (ت٧٤٩هـ)، رسالة النبا عن الوبا، تحقيق: رائد عبد الرحيم، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، عدد ٥، نابلس، ٢٠١٠م.

١٤- ابن إياس، أحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٥- ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري (ت٧٣٦هـ)، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخهارمان، المعهد الألماني للآثار، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١م.

١٦- ابن بسام المحتسب، محمد بن أحمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٧- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، الصلة، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٨- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري (ت٣٨٧هـ)، إبطال الحيل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٩- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م.

٢٠- ـــــــــــ، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧م.

٢١- ابن تيمة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م.

٢٢- ـــــــــــ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥م.

٢٣- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.

٢٤- ـــــــــــ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تصحيح: سالم الكرنكوي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٥- ـــــــــــ، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق، حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٦٩م

٢٦- ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت٩٧٤هـ)، الفتاوىٰ الحديثية، دار الفكر، القاهرة، د.ت.

٢٧- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (ت٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٨- ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، أبو مروان (ت٤٦٩هـ)، المقتبس من أنباء الأندلس، تحقيق: محمود مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٩- ابن خاقان، أبو النصر الفتح محمد بن عبد الله (ت٥٣٥هـ/١١٤٠م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، القاهرة، د.ت.

٣٠- ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ)، المقدمة، الجزء الثانى، طبعة مكتبة الأسرة،١٩٩٩م .

٣١- ـــــــــــ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاتة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٢- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٣- ـــــــــــ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء٣، تحقيق: محمد محيي الدين، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.

٣٤- ابن دانيال، شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد المُوصِلىٰ الخُزَاعي (ت٧١٠هـ)، كتابُ طَيْفِ الخَيال: تحقيق جديد لكتاب ابن دانْيالَ، تحقيق، عمرو عبد العزيز منير، بريل، لايدن ٢٠٢٤م .

٣٥- ـــــــــــ، طيف الخيال، اعتناء، بول كاله، كامبريدج، ١٩٩٢م.

٣٦- ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٧- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٨- ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي (٣٠٦-٣٨٧هـ)، فضائل مصر وأخبارها، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٩- ابن سعيد الأندلسي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

٤٠- ابن سعيد المغربي الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ)، الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط، تحقيق، زكي محمد جسن، سيدة إسماعيل كاشف، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٥٣م.

٤١- ـــــــــــ، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.

٤٢- ابن شاهين الظاهريّ الملطيّ، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل ثم القاهري الحنفيّ (ت ٩٢٠هـ)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٣- ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ)، الإشارات في علم العبارات، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٤- ابن طوق، التعليق يوميات شهاب الدين احمد بن طوق ٨٢٤ – ٩١٥هـ / ١٤٣٠ – ١٥٠٩م مذكرات كتبت بدمشق في اواخر العهد المملوكي ٨٨٥ – ٩٠٨هـ / ١٤٨٠ – ١٥٠٢م، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ٢٠٠٠م.

٤٥- ابن عابدين، محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٦م.

٤٦- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت ٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥م

٤٧- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت٤٢٤هـ)، رسالة في الحسبة، ضمن كتاب: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٤٨- ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت٦٩٢هـ)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق: أيمن سيد، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م

٤٩- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي (ت٨٥١هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق: عدنان درويش، ج٣، ق٢، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م.

٥٠- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩مـ .

٥١- أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز الأندلسي (ت٥٢٨هـ)، الرسالة المصرية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ضمن: نوادر المخطوطات، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٢م .

٥٢- أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م.

٥٣- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري (ت٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٥٤- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥٥- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت ٢٠٢٠م .

٥٦- أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٨م.

٥٧- إخوان الصفا: الرسائل، تحقيق: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر ١٩٥٧م.

٥٨- إسماعيل البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ملحق كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين، إستانبول، وزارة المعارف، ١٩٤٥م.

٥٩- إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ): إيضاح المكنون في الذيل علىٰ كشف الظنون، (عني بتصحيحه وطبعه علىٰ نسخة المؤلف: محمد شرف الدين، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٩م).

٦٠- الباقلاني، أبو بكر (ت٤٠٣هـ / ١٠١٣م)، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر، نشره: ريتشارد مكارثي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.

٦١- البُجَيْرَمِيّ، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، دار الفكر، القارة ١٩٩٥م.

٦٢- بدر الدين الزركشي (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ)، سلاسل الذهب، تحقيق، محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، المدينة المنورة، ٢٠٠٢م.

٦٣- بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥ هـ)، عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان – عصر سلاطين المماليك [٦٤٨ – ٧١٢ هـ] ،تحقيق، محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠١٠م.

٦٤- بريس دافين: إدريس أفندي في مصر، ترجمة: أنور لوقا، القاهرة، دار أخبار اليوم، ١٩٩١م.

٦٥- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م .

٦٦- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٧- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.

٦٨- الجبرتي، عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٣٧هـ)، تاريخ عَجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

٦٩- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٧٠- الجُنْدي اليمني، محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين (ت٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٥م.

٧١- الجوبري، عبد الرحيم بن عمر (ق٧هـ): المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق: مانويلا دنجلر، ٢٠٢٠م

٧٢- ـــــــــــــ، المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار، تحقيق: منذر الحايك، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٤م.

٧٣- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، منتخب من صحاح الجوهري، طبعة المكتبة الشاملة، ٢٠١٠م.

٧٤- حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبد الله كاتب چلبي (ت١٠٦٧هـ)، كَشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنىٰ، بغداد، ١٩٤١م.

٧٥- الحجازي، أحمد بن محمد الشهاب (ت٨٧٥هـ)، روض الأدب، دراسة وتحقيق: عبد الباسط لبيب عابدين، أطروحة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، قسم الدراسات الأدبية، جامعة أسيوط، ١٩٩٠م.

٧٦- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت٥١٦هـ)، مقامات الحريري، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.

٧٧- الرازي، أبو بكر، محمد بن زكريا (ت٣١٣هـ)، الحاوي في الطب، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م

٧٨- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٧٩- الزمخشري، جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩م .

٨٠- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٨١- سيرة الحاكم بأمر الله الفاطمي، سيرة شعبية في ٢٠ جزء، ج٢ ،مخطوط بمكتبة الأبحاث، غوتا، ألمانيا ،برقم Ms. orient. A 2599.

٨٢- سيرة الظاهر بيبرس، ٦ أجزاء، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.، ص ١٩٩٦م.
٨٣- سيرة علي الزيبق، تحقيق محمد رجب النجار، هيئة قصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٥م .
٨٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، دار ابن حزم، دار ابن حزم، القاهرة،١٩٩٤م.
٨٥- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
٨٦- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تحقيق، علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ١٩٩٤ م
٨٧- الصديق الشافعي، محمد بن أبي السرور (ت١٠٨٧هـ)، القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، تحقيق: إبراهيم سالم، إبراهيم الإبياري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢م.
٨٨- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م.
٨٩- ـــــــــــ، المختار من شعر ابن دانيال، تحقيق: محمد نايف الدليمي، مكتبة بسام، بغداد، ١٩٧٩م.
٩٠- ـــــــــــ، رسالة في علم الموسيقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.
٩١- طافور، بيرو، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، وطبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٩٢- عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.
٩٣- العبدري، أبو عبد الله محمد بن مسعود، ت ٧٠٠ هـ: رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٩م.
٩٤- العمري، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.
٩٥- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٩٦- كبريت، محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي (ت١٠٧٠هـ)، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٥م.
٩٧- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت٨٤٥هـ)، تاريخ الأقباط القول الإبريزي للعلامة المقريزي، تحقيق، عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة ١٩٩٨م.
٩٨- ـــــــــــ، السُلوك فِي مَعرفة دول الملوك، نشر: محمد مصطفىٰ زيادة طبعات ١٩٤١، ١٩٥٧، ١٩٥٨، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، بيروت، ١٩٧٢م.
٩٩- ـــــــــــ، الخطط المقريزية المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٠٠- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الأول، سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٧٩م.
١٠١- الهجويري، السيد علي بن عثمان بن أبو علي الجلابي، ت٤٦٥ هـ، كشف المحجوب لأرباب القلوب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
١٠٢- الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيىٰ بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ)، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٢٣م.
١٠٣- يوسف الشربيني، هزّ القحوف بشرح قصيد ابي شادوف، تحقيق، همفري ديفيز، القاهرة ٢٠٠٠م.
١٠٤- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت ٧٥٩هـ)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق، أحمد حطيط، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦م.
١٠٥- اليوسي: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي، ت ١١٠٢هـ: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١ م.

* * *

٣- **المراجع العربية:**

١- إبراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢- إبراهيم حمادو، تطور شخصية المكدي في المقامات من الهمذاني إلى الحريري، حوليات الجامعة التونسية، تونس ١٩٨٦م.
٣- إبراهيم مشارة، ثورة الحريري: مقاماته في بعدها الاجتماعي وامتدادها الأوروبي، أنفاس للثقافة والإنسان، 22 مايو ٢٠٢٢م.
٤- إبراهيم مصطفىٰ، وآخرون: المعجم الوسيط (القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٣م).
٥- أحمد الحسين، أدب الكدية في العصر العباسي، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٦م.

٦- ـــــــــــــ، الأحنف العبكري شاعر المكدين والمتسولين، مجلة التراث العربي، مج ٢٤، ع ٦٩، دمشق ٢٠٠٤م .

٧- أحمد راوي محمد عبد الجابر: الرياضة في مصر الإسلامية من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي (٣٥٨-٩٢٣هـ/٩٦٩-١٥١٧م)، أطروحة دكتوراة، كلية السياحة والفنادق، قسم الارشاد السياحي، جامعة الفيوم، ٢٠٢١.

٨- أحمد صبحي منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.

٩- أحمد عبد الرازق، الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١١م.

١٠- أَحمد عِيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.

١١-أحمد ماجد عبد الله الجبوري، أحوال العامة في مصر في عصر المماليك البرجية (٧٨٤ – ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٧م)، رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الآداب، جامعة آل البيت، ٢٠١٥م.

١٢-أحمد محمد الشحاذ، الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة، بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م.

١٣-آدم صبره: الفقر والإحسان في مصر عصر سلاطين المماليك، ترجمة قاسم عبده قاسم، سلسلة المشروع القومي للترجمة، العدد ٥٠٩، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٤-أسامة حسيب، دور النقابة وتنظيمها في إنجلترا نقابة ساوثامبتون إنموذجًا ق ١٣ م. مجلة التاريخ والمستقبل، مجلد ٣٤، ع ٦٧، يناير ٢٠٢٠م.

١٥-أشرف خليل إبراهيم خليل شعلان، أضواء على بعض ممارسات الزعر في مصر في العصر الفاطمي "٣٥٨-٥٦٧ هـ. / ٩٦٨-١١٧١ م."، المجلة العلمية، كلية الآداب، جامعة طنطا، ع٥١،، ٢٠٢٣م .

١٦-أفراح رحيم علي، أثر الكدية على المجتمع في العصر العباسي، مجلة آداب ذي قار، جامعة ذي قار – كلية الآداب، ع ٤٠، ٢٠٢٢م.

١٧-ألفت جمال محمد، انتهاك حرمات المساجد في مصر خلال العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب، جامعة الوادي، ع ١٧.

١٨-إلهام إسليم سلمان، المقامات المفهوم والعناصر والنشأة، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، ع١٥، مج٣، ٢٠٢٨م.

١٩- أمل عبد العزيز محمد غازي، الأبعاد الاجتماعية والنفسية للملابس في الرواية العربية دراسة سيميائية، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع ٢٥، يوليو ٢٠٢٣م.

٢٠-آمنة محمود عودة الذيابات، تنظيمات الزعر والحرامية في دمشق عصر المماليك الجراكسة ٧٨٤ – ٩٢٣ هـ /١٣٨٢ – ١٥١٧ م من خلال كتابي مفاكهة الخلان وإعلام الورى لابن طولون الدمشقي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٣٥، ع ١٣٧، الكويت ٢٠١٧م .

٢١-أوين ديفيز: السحر مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة: رحاب صلاح الدين، ط١،، هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

٢٢-إيرَا لابدوس، مدن إسلامية فى عهد المماليك، ترجمة، علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٣-إيلاف عاصم، الحرافيش والزعر في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣ هـ. / ١٢٥٠-١٥١٧ م، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع ١، كلية التربية، جامعة الأنبار ٢٠١٠م.

٢٤-أيمن حسن ضميرية، دراسة وتحقيق لمخطوط ذم الهول والذعر من أحوال الزعر والعصبيات وما يحصل في ذلك من الفتن والبليات للإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي ابن المبرد الصالحي الحنبلي (٨٤١هـ – ٩٠٩هـ): (من الورقة /٩٠ – ب/ إلى / ١٦٧ – أ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والقانون، جامعة أم درمان، السودان ٢٠٠٣م .

٢٥-بسمة حسني غنيمي، المؤسسات الخيرية ودورها الاجتماعي في مصر عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠١٩م.

٢٦-البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م.

٢٧-ـــــــــــــ، الوفود السياسية لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك (مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد (٣٠)، يناير ٢٠٠٢م).

٢٨-حسن حبشي، الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٤م .

٢٩-خالد أبو الليل، صورة اليهودي في التاريخ والقصص الشعبي العربي، مجلة الدراسات الشرقية، ع٤٧، القاهرة ٢٠١١م.

٣٠-رشا فؤاد النمكي، الزعر والحرافيش في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا ٢٠١٢م.

٣١-رمضان ششن: فهرس المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، (إسطنبول، مركز التاريخ والتراث والثقافة والفنون، ١٩٩٧م).

٣٢-ريما صالح القرناس، رعاية الفئات المحتاجة في مكة والمدينة خلال العصر المملوكي، مركز تاريخ مكة، ٢٠٢٠م.

٣٣-رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ٢٠٠٠م.

٣٤-ريهام علي يحيى، المهمشون في الحجاز ودورهم في الحياة العامة خلال العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م، كلية الآداب، جامعة لملك عبد الغزيز، ٢٠٢٤م.

٣٥-زينب البكري، عامة القاهرة، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠١٩م.

٣٦-سحر السيد إبراهيم، الهجرات وتطور مدينة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ،رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، جامعة الزقازيق، ٢٠٠١م.

٣٧-سحر السيد عبد العزيز: العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري (الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١م).

٣٨-سعدية موسى الزهراني، الفقر والإحسان في بلاد الشام وأثرهما على الحياة العامة ومواجهة الغزو الصليبي والهجمة المغولية خلال المدة ٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩٠م دراسة تاريخية حضارية، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى ٢٠٢٣م.

٣٩-سعيد بنحمادة، الإعاقة والمعوقون بالمغرب والأندلس في العصر الوسيط، محاولة في فهم أنماط الفعل والتفكير والاحساس، رؤية للنشر، القاهرة ٢٠٢١م.

٤٠-سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٢م.

٤١-سلطان الصواط، الفقر والإحسان في الحجاز وأثرهما على الحياة العامة ٤٠١ - ٦٠٠هـ / ١٠١٠ - ١٢٠٣م)،رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ٢٠٢٢م.

٤٢-سلوى عبد الحميد: نظرة في العلم الاجتماع المعاصر. القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٨.

٤٣-سيد عشماوي: الجماعات الهامشية المنحرفة في تاريخ مصر الاجتماعي الحديث ،القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م.

٤٤-شريفة محمد العتيبي، رعاية الفئات المحتاجة وآثارها في بلاد الشام خلال العصر المملوكي - رسالة دكتوراه جامعة القصيم ٢٠١٧م.

٤٥-شلبي إبراهيم الجعيدي، طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤٦- طلعت عكاشة، المراسيم وأثرها الاقتصادي في مصر والشام عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات، القاهرة ٢٠١٨م.

٤٧-ـــــــــــــ،الفتاوى الدينية وأثرها في المجتمع مصر والشام عصر سلاطين المماليك، دار عين، القاهرة، ٢٠١٨م .

٤٨-طه هاشم الدليمي: المكدون في التراث العربي (بغداد، مجلة التراث الشعبي، ع١١ السنة ٦، ١٩٧٥م).

٤٩-عامر نجيب موسى بركات، الحرافيش زمن المماليك ؛ دمشق٢٠١٢م.
٥٠-عامر نجيب موسى ناصر، الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، دار الشروق للنشر، رام الله، ٢٠٠٣م.
٥١-عبد الباسط عياش ،طائفة الشحاتين موجز تاريخ فشل دولة، المنصة، عدد مارس ٢٠١٩م.
٥٢-عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٥٣-عبد العزيز سليمان نوار، في تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
٥٤-عبد الكريم عبد الله محمد، سيمياء اللباس في مدونات الأدب القديمة ،مجلة العلوم الإنسانية والإدارية،ع١١، مركز النشر والترجمة، جامعة المجمعة ،٢٠١٧م.
٥٥-عبد الله إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،٢٠٠٧م.
٥٦-عبد الله سالم المعطاني: ابن شُهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة الملك عبد العزيز. ١٩٧٧م.
٥٧- عبد الله عبد الرزاق، انتشار الإسلام في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٦م.
٥٨- عبدالرحيم الخلادي، قراءة في خطاب التسول، أنفاس من أجل الثقافة والإنسان، يوليو ٢٠٠٩م.
٥٩-عبير الدوسكي، الخدمات العامة لدولة المماليك البحرية في مصر" رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد ٢٠١٠م.
٦٠-عطارد شكري: مصر المملوكية في بابات ابن دانيال، مجلة الفنون الشعبية، ع٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩م.
٦١-علاء طه رزق، السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠١٤م.
٦٢-ـــــــــــ، عامة القاهرة عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٨٩م.
٦٣- عمر أمين مصالحة، ما بين الفقر وثقافة الفقر، العرب للصحافة والتوزيع، ٢٠٢٤م.
٦٤-عمر عبد المنعم إمام، ظاهرة الأحمق المقدس، بين الرفض والقبول المجتمعي في العصر البيزنطي الباكر، حولية التاريخ الإسلامي، مجلد ١٦، ٢٠٢٣م.
٦٥-عمرو عبد العزيز منير، أهل الحيل والألعاب السحرية في عصري الأيوبيين والمماليك، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة ٢٠١٩م.
٦٦-ـــــــــــ، بهلوان الحبل في مصر المملوكية دراسة تاريخية (مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية بكلية الآداب . جامعة كفر الشيخ بمصر) يناير ٢٠٢٢م .

٦٧-ـــــــــــــ، (الطُّرُقِيَّة) أطباء الطريق في مصر المملوكية (حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس بمصر، إبريل ـ يونيه مجلد ٥٠ لعام ٢٠٢٢م) .

٦٨-عودة رافع عودة الشرعة، الزعر فى دمشق أواخر العصر المملوكى، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت، مج ٢٠، ع ٤٠، الأردن، ٢٠١٤م.

٦٩-فاضل جابر ضاحى، ورود نورى حسين الموسوى، وسائل التسلية للطبقة الحاكمة في عصر المماليك الشراكسة، مجلة كلية التربية، العدد الثامن عشر. جامعة واسط ٢٠١٨م.

٧٠-فوزي محمد أمين مصطفى، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الأول، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٠م.

٧١-قاسم عبده قاسم: بين التاريخ والفولكلور، دار عين، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧٢-ـــــــــــــ، الحياة اليومية عصر سلاطين المماليك، دار عين، القاهرة ٢٠٢٢م.

٧٣-ـــــــــــــ، النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.

٧٤-ل. ا. ماير، الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي ؛ مراجعة وتقديم: عبد الرحمٰن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

٧٥-لطف الله قاري: الحبر والمداد في كتب الصناعات الشاملة، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٥٥، ج١، ٢٠١١م.

٧٦-لطفى أحمد سيد أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك فى مصر(٦٤٨ -٩٢٣ هجرية ١٢٥٠ - ١٥١٧ ميلادية)، أطروحة (ماجستير). كلية الآداب. قسم التاريخ، جامعة عين شمس ١٩٨٧م.

٧٧-لنا عبد الرحمن، اتيان هلمير يدخل عالم المتسولين من باب الفلسفة، اندبندنت عربية، ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٣م.

٧٨-ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.، ص ١٣٤.

٧٩-مارينا وورنر: السحر الأغرب مشاهد فاتنة من وحي ألف ليلة وليلة، ترجمة: عبلة عودة، أبو ظبي، مشروع كلمة ٢٠١٦م.

٨٠-مالك بشير عبد القادر، علي مسعود صالح، التسول بين الحاجة والامتهان وكيفية العلاج، جامعة سبها -كلية الآداب، ٢٠١٩م.

٨١-مالك نظير يحيا، الكدية في "البخلاء" للجاحظ، مجلة جامعة تشرين للبحوث، دمشق، ٢٠١٣م.

٨٢-مجدي عبد الرشيد بحر، القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

٨٣-محاسن محمد على حسن الوقاد: الطبقات الدنيا فى القاهرة فى عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، ١٩٩١.

٨٤-محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م.

٨٥-محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي «المعتقدات والمعارف الشعبية»، (القاهرة، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢م).

٨٦-محمد السيد محمد فياض، ظاهرة الخوف وأثرها على المجتمع في مصر في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ع ٣٠، ٢٠١٩ م.

٨٧-ـــــــــــ، عناصر النهب واللصوصية في مصر العصر الفاطمي، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة ٢٠١٥م .

٨٨-محمد تقي الدين الهلالي، ثلاث مسرحيات عربية مثلت في القرون الوسطى، بغداد، ١٩٤٨ م .

٨٩-محمد حيدر، دور دولة المماليك في إدارة مؤسسات الفقراء في بلاد الشام ٦٤٨/ ٩٢٣هـ ـ ١٢٥٠ / ١٥١٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية ٢٠١٩م.

٩٠-محمد رجب النجار، الشعر الشعبي الساخر في عصور المماليك، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، المجلد الثالث عشر، الكويت، ١٩٨٢م.

٩١-ـــــــــــ، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد ١١٠، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧.

٩٢- ـــــــــــ، التراث القصصي في الأدب العربي، دار ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٤م.

٩٣-ـــــــــــ، الشطار والعيارين، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٤٥)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢م.

٩٤-محمد عبد الغني الأشقر: تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ١٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

٩٥-محمد غنيم محمد الصياد، الطوائف الحرفية ودورها في الحياة العامة في مصر الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٦م.

٩٦-محمد فرج حافظ خفاجي، الصدقات في العصر المملوكي ،مجلة فكر وإبداع، ج١٠٦، عدد نوفمبر، القاهرة ٢٠١٦م.

٩٧-محمد ناسمي، تداخل بعض أنواع التراث الشعبي في نداءات الباعة، مجلة الفنون الشعبية، العدد ٢٤ ،وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١٨م.

٩٨- محيي الدين حمدي، شعر المكدين، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، مج ١٧، ع ٦٦، دمشق ١٩٩٧م.

٩٩-مزمل حسن صديق الطيب: حياة السلاطين ووسائل تسليتهم ورياضتهم فى دولة المماليك الجراكسة، (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية، العدد، جامعة الفيوم، ٢٠٢١.

١٠٠-نبيل محمد عبد العزيز: الملاعيب في عصر السلاطين المماليك، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٢م.

١٠١-نجوى كمال كيرة، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤م.

١٠٢-نسيبه جاد سليمان جاد: أرباب الحرف والصناعات في المجتمع المصري في العصر المملوكي الأول (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢م)، أطروحة ماجستير، كلية السياحة والفنادق، قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية، جامعة الاسكندرية، ٢٠١٤.

١٠٣-نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الثانى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط٢، دار المعارف، القاهرة ،١٩٨٦م.

١٠٤-هالة السيد محمد، المهمشون في مصر عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان ٢٠٢٠م.

١٠٥-هيفاء محمد عاصم: وسائل التسلية والترفيه فى مصر فى العصر الفاطمي، (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١)، أطروحة ماجستير، مجلة كلية التربية، قسم التاريخ، العدد السادس، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٦.

١٠٦-هيلين ج. نيكلسون، النساء والحَملات الصَّليبية، ترجمة، عمرو منير، دار العين، القاهرة ٢٠٢٤م.

١٠٧-وديعة طه النجم، شخصية المكدي عند الجاحظ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٥٩م.

١٠٨- يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة، جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨م.

* * *

٣- المراجع الأجنبية:

1. Abou-Ghazi, E., "Mamluk Studies in the Arab World." in: A Handbook of Modern Arabic Historical Scholarship on the Ancient and Medieval Periods, Brill, Leiden, 2021, Pp. 481-533.
2. Al-G¨awbari¯, ‘Abd al-Rahma¯n ibn ‘Umar: Al-G¨awbari¯ und sein Kas¨f al-asra¯r-ein Sittenbild des Gauners im arabisch-islamischen Mittelalter (7/.13. Jahrhundert): Einfuhrung, Edition und Kommentar, Manuela Hog¨lmeier, Klaus Schwarz, Berlin, 2006.

3. Assaf, S., Texts and Studies in Jewish History (in Hebrew), Mosad ha-Rav Ḳuḳ, Jerusalem ,1946.
4. Ayalon, D., Studies on the Mamlūks of Egypt (1250-1517), Collected Studies Series, CS 62, Variorum Reprints, London, 1977.
5. Badawi, M. M., "Medieval Arabic Drama: ibn Dāniyāl", *Journal of Arabic Literature*, Vol. 13 (1982), Pp. 83-107
6. Briquet C. M., & Stevenson, A., Les filigranes. Dictionnaire historique des marques du papier dès leur apparition vers 1282 jusqu'en 1600, par. C.M. Briquet, Paper Publications Society, Amsterdam, 1968.
7. Buturović, A., Sociology of Popular Drama in Medieval Egypt: Ibn Dāniyāl and his Shadow Plays, (Ph.D. Dissertation, McGill University, 1993).
8. Daftary, F., Historical dictionary of the Ismailis, Scarecrow Press, Lanham, Md., 2012.
9. Felix Fabri, the voyage in Egypt, Paris, 1975.
10. Goitein , S. D., A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Vol. II: The Community, University of California Press, Berkeley -Los Angeles, 1999.
11. Goitein S. D., "Portrait of a Medieval India Trader: Three Letters from the Cairo Geniza," Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 50, No. 3 (1987).
12. Goldziher I., Stellung der Alten islamischen Orthodoxie zu den antiken, Verlag Georg Reimer, Berlin, 1916.
13. Guo L.، Arabic Shadow Theatre 1300-1900، P. 119.
14. Guo, L., "Mamluk Historical Rajaz Poetry: Ibn Dāniyāl's Judge List and Its Later Adaptations", *Mamlūk Studies Review*, Vol. 14, 2010, Pp. 43- 62.
15. Guo, L., Arabic Shadow Theatre 1300-1900: A Handbook, Brill, Leiden-Boston, 2020.
16. Guo, L., The Performing Arts in Medieval Islam: shadow play and popular poetry in Ibn Dāniyāl's Mamluk Cairo, Brill, Leiden, Brill, 2011.
17. Guo, L., "IBN DĀNIYĀL'S "DĪWĀN": IN LIGHT OF MS AYASOFYA 4880", *Quaderni di Studi Arabi*, Vol. 5/6, Arabic Poetry: Studies and Perspectives of Research (2010-2011), Pp. 163-176

18. Guo, L., "Paradise Lost: Ibn Dāniyāl's Response to Baybars' Campaign against Vice in Cairo" *Journal of the American Oriental Society*, Vol. 121, No. 2 (Apr. - Jun., 2001), Pp.219-235.
19. Guo, L., "The Devil's Advocate: Ibn Daniyal's Art of Parody in His Qasidah No. 71", *Mamlūk Studies Review,* Vol. VII, No. 1 (2003), Pp. 177-209.
20. Hayes, E., "Perversion and Subversion: Mother Guidance and Illicit Sexuality in Ibn Dāniyāl's Shadow Play", in: Queering the Medieval Mediterranean: Transcultural Sea of Sex, Gender, Identity, and Culture, (eds.) Felipe Rojas & Peter E. Thompson, Brill, Leiden, 2021, Pp. 95-116.
21. Höglmeier, Manuela: Al-Gawbari und sein Kashf al-asrar, Berlin: Klaus-Schwarz-Verlag, 2006. p, 14.
22. Myra Miranda Bom, Women in the Military Orders of the Crusades (New York: Palgrave Macmillan, 2012).
23. Udo Arnold, 'Die Frau im Deutschen Orden', in Stationen Einer Hochschullaufbahn: Festschrift für Annette Kuhn zum 65. Geburtstag, edited by Udo Arnold, Peter Meyers, and Uta C. Schmidt (Dortmund: Ebersbach 1999).

* * *